د. نبيل راغب

عصر الحريم

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه



عصر الحريم

١

سطعت أنوار الدور الأول من عمارة حشمت بك ذات الأدوار العشرة ، المطلة على نيل الجيزة فى المنطقة بين كوبرى الجامعة وكوبرى الجيزة أو كوبرى عباس كما يحلو لنظيرة هانم أرملة حشمت بك أن تسميه . العمارة حديثة البناء وبهية المنظر . أقيمت محل الفيلا القديمة للأسرة بفضل حكمة نظيرة هانم التى نجحت فى إقناع المرحوم زوجها حشمت بك ببيع بعض الأراضى التى تبقت لأسرتيهما بعد تطبيق قوانين الإصلاح الزراعى ، وإضافة ثمنها إلى أموالهما فى البنك . ومن حاصل الجمع بين عائد العقارات وعائد المدخرات تم بناء العمارة الجديدة بعد هدم الفيللا القديمة العريقة . فقد كانت نظرية نظيرة هانم تؤكد دائما لزوجها أن قيمة الأموال فى تناقص مستمر ، كما أنهما فقدا الصبر وطول البال فى معاملة الفلاحين والأجراء الذين يفلحون أرضهما الزراعية . كذلك فإن وحيدهما مجدى المدلل المرفه الذى تخرج فى كلية الحقوق بعد تسع سنوات من النجاح والرسوب ، قد أثبت عجزه عن متابعة شئون أطيان الأسرة . لكن أمه نظيرة هانم لم تصب بخيبة أمل فيه ، بل كانت تفخر بأن ابنها المدلل المرفه لا يعرف القيام بعمل جاد لأنه لم يخلق له . وقد عاش معظم أفراد أسرته بنفس أسلوبه منذ مجىء أجدادهم الأتراك والشراكسة إلى مصر . كانوا يملكون ولا يعملون . ولا غرو — فى نظر نظيرة هانم — أن يسير ابنها على النهج نفسه .

وقد أثبتت الأيام صحة نظريتها . فبعد إقامة العمارة الكبيرة ظل حشمت بك ينعى الفيللا القديمة ويتحسر على أيامها الذهبية الذاهبة إلى يوم رحيله

عن هذا العالم . لكن نظيرة هانم لم تكن تحب إسرافه فى العاطفة ، وكانت ترجع هذا الجانب فى شخصيته إلى الفرع المصرى الصميم فى عائلته والذى امتد بقوة حتى وصل إلى أمه التى وقفت كسد مصرى منيع ضد الطوفان التركى الشركسى داخل الأسرة . ولو تركت نظيرة هانم الأمر لزوجها لظلت الآن فى الفيللا تنعى من بناها . لكن مع بدايات تطبيق سياسات الانفتاح الاقتصادى والاستثمار الأجنبى تمكنت من تأجير أربعة طوابق كاملة من العمارة لشركة استثمار أمريكية بمبلغ خرافى جعل الأسرة تعيش فى بذخ مثل أغنى الأغنياء فى أوروبا وأمريكا ، بذخ لم يكن عائد الأطيان يتيحه بأية حال من الأحوال .

وكانت ثقة نظيرة هانم فى حنكتها الاجتماعية والاقتصادية تتزايد مع الأيام . كانت تفهم القرارات الاقتصادية التى تصدرها الدولة أو التى تزمع أن تصدرها وسرعان ما تعيد حساباتها الشخصية والأسرية حتى تخرج بأكبر مغنم من القرارات الجديدة . كل هذا دون القيام بأية دراسة فى مجال الاقتصاد ، بل إن تعليمها لم يزد على حدود الشهادة الابتدائية القديمة . فمثلا عندما شرعت فى بناء العمارة الجديدة وجدت حمى التأميم تجتاح كل العقارات ، فما كان منها إلا أن أقامت الدور الأول الذى سكنته مع زوجها وابنها وابنتها . وبمجرد انقشاع حمى التأميم وظهور أعراض حمى الانفتاح الاستثمارى والاستهلاكى . سارعت إلى الانتهاء من إقامة العمارة التى ارتفعت إلى الطابق العاشر ولا زالت أساساتها تحتمل الارتفاع إلى الطابق العشرين .

وهكذا أثبتت نظيرة هانم أن عصر الحريم الذى عاصرت أواخره ، والذى حكم على المرأة أن تقبع فى عقر دارها لتضع نفسها فى خدمة أهواء الرجل

ونزواته ، هذا العصر نفسه قدم امرأة من نوعها ، ذات إرادة حديدية امتدت لتسيطر على زوجها نفسه . ومع ذلك ظل العصر قابعا داخلها على المستوى الاقتصادى والاجتماعى . كان زواج الفقيرة من الغنى أو الغنية من الفقير بمثابة جريمة ضد نظام الكون فى نظرها ، جريمة أبشع من خيانة الزوجة الثرية لزوجها الثرى . فإذا كانت المرأة لعبة الرجل ، فلا أقل من أن تنص قواعد اللعبة على أن يلعب الثرى بثرية مثله ، أما إذا نجحت الفقيرة فى الزواج من غنى فإنه لابد أن يتحول إلى لعبتها لأنها استخدمت أسلحة غير الثروة ، أسلحة لا يملكها هو ولا قبل له بمواجهتها .

أما الحب والتفاهم والفكر المشترك فلم يكن من القيم التى تؤمن بها نظيرة هانم . بل كانت فى الواقع تحتقرها . فهى لم تتزوج نتيجة لحب ، وهى سعيدة تماما بهذا . فقد كان من الممكن أن يضعفها الحب فى مواجهة زوجها ، وأن تنقاد له بحيث تقضى بقية حياتها بين الأطلال . أما الآن فإن العمارة تتيح لها قضاء فصل الصيف بين ربوع أوروبا ، وزيارة ابنتها المقيمة فى سويسرا مع زوجها رجل الأعمال اللبنانى . وبرغم أنها لم تقتر على نفسها وعلى ابنها ، فإن لديها الآن فائضا يمكنها من استئناف تعلية طوابق العمارة .

لكن حساباتها المحكمة قابلت عقبة أوشكت أن تهز ثقتها فى نفسها ، وخاصة فى هذه الليلة التى سطعت فيها أنوار الدور الأول من العمارة ، والتى شهدت فيها أول هزيمة لها ، تمثلت فى حفل خطبة ابنها مجدى إلى فريدة زميلته بالكلية التى أكد فضلها عليه فى اجتياز امتحان الليسانس دون أن يعيد السنة كعادته فى السنوات السابقة . لكن هذا لم يكن سببا كافيا — عند نظيرة هانم — كى يتزوج مجدى ابن الأصول العريقة من فريدة ابنة الطبقة المتوسطة أو حتى تحت المتوسطة . لكن عزاءها الوحيد أن الخطبة أرحم من الزواج

لأن محاولات فسخها ستكون قائمة على قدم وساق . فالفوضى لم تغمر الكون بعد ، ولولا تهديد ابنها بالانتحار إذا لم يتزوج من فريدة ، لما رضخت على الإطلاق ، ولما حدث ما يحدث الليلة . تعلمت أن تحنى رأسها للعاصفة وهى فى عنفوانها ، وبمجرد أن تخفت حدتها تشرع أسلحتها فى الحال . وإذا كانت قد نجحت فى تفادى عاصفة التأميمات ، فليس أسهل عليها من تفادى عاصفة الحب التى تكاد تقتلع ابنها المدلل المرفه من جذوره القديمة . والحمد لله أن الأمر لا يزال فى طور الخطبة .

لم تندم نظيرة هانم على تدليل ابنها مثلما ندمت الآن . فقد عودته على الحصول على كل شىء يطلبه حتى ولو طلب لبن العصفور . وعندما ظن أنه وقع فى حب فريدة كان من الطبيعى أن يحصل عليها كأى مطلب آخر . وعندما تصدت له فى بادىء الأمر ، شعرت أنها ارتكبت خطأ فاحشا . ذلك أن كل ممنوع مرغوب وخاصة عند المدللين مما زاد من قدر فريدة فى نظره وأحس أن لا حياة له بدونها وخاصة أنها كانت من الجمال والجاذبية ما يجعله أسيرا لسحرها الذى جمع بين جمال الخلقة واكتمال العقل . وعندما تأكد من موقف أمه تجاهها أسرع باستخدام آخر سلاح لديه وهدد بالانتحار ، فما كان من أمه إلا أن تراجعت انتظارا واستعدادا لموقعة أخرى تختارها هى بنفسها لتعويض هزيمة الليلة .

كانت قاعة المدخل قد أعدت لإقامة حفل الخطبة التى تمت إجراءاتها بحضور الأهل والأصدقاء من طرف الأسرتين . جلست فريدة على فوتيل مذهب من طراز لويس السادس عشر مشابه تماما لذلك الذى جلس عليه مجدى ملاصقا لها فى حين تناثر أعضاء الأسرتين فيما يشبه المستطيل غير المنتظم . فقد عادوا من القاعة الداخلية حيث امتد البوفيه الفاخر الذى يحمل

ما لذ وطاب والذى انهال عليه أفراد أسرة الخطيب فى حين مد أفراد أسرة الخطيبة أيديهم فى خجل واستحياء لتناول ما خف من الطعام ، وكانوا أول من غادروا البوفيه إلى قاعة المدخل حيث احتلوا ضلعا واحدا من أضلاع المستطيل غير المنتظم . وعندما أجهزت أسرة الخطيب على البوفيه احتلت الأضلاع الباقية من المستطيل . وكان تعليق نظيرة هانم على سلوك أسرة فريدة : أنهم لم يتعودوا على مثل هذه الأطايب ولذلك لم يعرفوا كيف يتناولونها ؟! وكان تعليقها قد لقى آذانا مذهولة عند نادر رئيس فريدة فى الشركة وجارها فى السكن وهو فى طريقه إلى مقعده فى المدخل فقال لنفسه : ولو كانوا قد انهالوا على الأطايب كما فعلت أسرتك لقلت إنهم انتهزوا فرصة العمر لحشو بطونهم الفارغة !!

احتلت أسرة مجدى الضلعين الآخرين للمستطيل ، فلم يحدث امتزاج حقيقى بين الأسرتين . كان أفراد كل أسرة على حدة يتجاذبون أطراف الحديث حول اهتماماتهم الخاصة . وهى ظاهرة أسعدت نظيرة هانم ووجدتها طبيعية للغاية . بل إنها لاحظت فرقا فى لون البشرة بالإضافة إلى الفوارق الطبيعية فى مستوى الملبس والمظهر الأنيق . كانت السمرة والشعر الخشن من السمات التى ميزت أسرة فريدة ، فى حين سادت البشرة البيضاء والشعر الأصفر — سواء الطبيعى أو المصبوغ — أسرة مجدى . وهى الفوارق التى انعكست على الخطيبين الجالسين فى الضلع الأمامى للمستطيل .

كانت فريدة ترتدى فستانا من الشيفون فى لون السماء الصافية ، فى حين بدت سمرتها المترقرقة تحته مثل مياه النيل المتدفقة تحت شمس أغسطس . وشكلت عيناها الواسعتان السوداوان مع شعرها الفاحم اللامع الناعم الطويل لوحة تفوح بعبق التاريخ المصرى كله ، لوحة تناغمت مع أطياف سبتمبر

الذى جعل القاعة تبدو مكيفة الهواء بلا أجهزة كهربية .

اكتملت اللوحة بالتناقض اللونى الذى أحدثه مجدى بشعره الذهبى ، وشاربه الأصفر الدقيق ، وبشرته البيضاء ، وجسمه الملئ، وحلته الزرقاء الداكنة . وكانت الألوان كلها زاهية مبهرة تحت ضوء الثريات الساطعة مما جعل نظيرة هانم تقارن بين ابنها وتلك الجالسة بجواره وتقول لأختها يلدز هانم بصوت مسموع برغم الموسيقى الخفيفة الصادحة فى القاعة : هل يعقل أن يمتزج هذا البياض الناصع المشرق بهذه السمرة الداكنة الكئيبة ؟!

ابتسمت يلدز هانم و لم ترد ، لكن نظيرة هانم لاحظت ما يشبه الشماتة فى ابتسامتها الغامضة .

لم يرفع نادر عينيه من على وجه فريدة الجميل . فهو من المعجبين بجمالها والمتحمسين لعقلها . كان يتمنى أن يتزوجها منذ أن سكنت أسرتها فى المنزل المواجه لمنزله فى شارع الترعة البولاقية . كانت فى تلك الأيام تخطو خطواتها الأولى فى التعليم الثانوى . وعندما اختلطت أمه اليونانية — كعادتها مع الجيران — بأمها ، طلبت منه أن يساعدها فى اللغة الإنجليزية التى كان متفوقا فيها بحكم دراسته فى المدرسة الإنجليزية . ورحب بمساعدتها من القلب برغم أنه كان فى السنة النهائية فى كلية التجارة ويطمح فى التفوق على زملاء الدفعة . كان درس الإنجليزية بهجته الوحيدة التى كانت تصل إلى حد النشوة مع ابتسامة فريدة المشعة من عينيها والمتجسدة فى شفتيها المكتنزتين .

مرت الأيام وتخرج نادر فى كلية التجارة بتفوق لكنه أقبل على الأعمال الحرة نتيجة لروح المغامرة التى بثتها فيه أمه . وتنقل بين الشركات المصرية والأجنبية وجرفته دوامة الحياة بعيدا عن فريدة التى كانت قد انشغلت عنه بدورها بعد التحاقها بكلية الحقوق . وأصبح يراها مرة أو مرتين كل شهر

عندما تقف بالصدفة فى شرفتها فيحييها مبتسما ابتسامة خفيفة سرعان ما ترد عليه بمثلها ثم يذهب كل إلى حال سبيله .

استقرت الأمور الاقتصادية بنادر واستطاع أن يصبح من كبار المساهمين فى الشركة العالمية للاستثمار التى أصبح فيها مسئولا عن قسم المشروعات المشتركة ودراسات الجدوى . وقد حانت أمامه فرص عديدة للانتقال إلى شقة من الشقق الفاخرة القريبة من مقر عمله فى شارع طلعت حرب فى قلب القاهرة ، لكن ارتباطه العاطفى بشارع الترعة البولاقية جعله فى نظره أجمل شارع فى العالم . ويبدو أن فريدة كانت قابعة فى ركن ناء داخله بحيث شدته إليها بخيوط غير مرئية .

وعندما تخرجت فى كلية الحقوق زاره أبوها الأستاذ صبرى فى منزله ورجاه مساعدته فى توظيفها لأنه لا يعول كثيرا على الوظيفة الحكومية التى أفنى فيها عمره دون طائل . ووعده نادر بالمساعدة . وكانت الزيارة سببا فى إحياء آماله القديمة فى الارتباط بهذه المخلوقة الرائعة جسما وعقلا . وكانت شركته فى حاجة فعلا إلى قسم مستقل للشئون القانونية . فلماذا لا تكون فريدة الخميرة الصالحة لهذا القسم الجديد بكفاءتها وذكائها وتفوقها فى دراستها القانونية ؟!

وعملت فريدة فى الشئون القانونية للشركة بمرتب لا يحلم به أى زميل من زملائها . وكان إعزازها لنادر يفوق الوصف . كانت تتفانى فى إنجاز عملها حتى لو قضت اليوم كله دون طعام ، ولديها القدرة على استيعاب تعليمات نادر قبل أن ينطق بها . كانت تستمتع بإلقاء تحية الصباح عليه فى مكتبه ومشاهدة وجهه الأبيض الصبوح وشاربه الأسود الكث ودعابته الرقيقة الحاضرة . كانت تحب فيه اعتزازه بنفسه وببلده برغم زيارته المتعددة

لأوروبا بصفة عامة ولليونان — بلد أمه — بصفة خاصة ، وكأنه قد جمع داخله عراقة الحضارتين : المصرية واليونانية .

ظن نادر فى إقبال فريدة عليه حبا ، وأوشك أن يفاتحها فى موضوع الزواج ، لكنه كثيرا ما تردد لأن شيئا خفيا كان يؤكد له بين الحين والآخر أن فريدة يمكن أن تحبه حبا حتى العبادة ، لكنها فى الوقت نفسه لا يمكن أن تحبه حب امرأة لرجل . جعله هذا الإحساس الغامض المتناقض يتريث لعل الأيام تثبته أو تنفيه تماما .

وقد أثبتته الأيام عندما اعتادت فريدة أن تفتح له قلبها وأن تحكى له عن أسرارها ومشاكلها . صارحته ذات مساء وهى فى عربته فى طريقهما إلى المنزل بعد يوم طويل من العمل الشاق بقصتها مع مجدى كاملة ، وكيف أنها أحبت فيه ارتباطه الشديد بها وإعزازه لها برغم الفوارق الطبقية بينهما ؟ وكيف كان فاشلا فى دراسته دائم الرسوب ، واجتهد من أجل إرضائها ونال الليسانس دون أن يعيد العام ؟! وكيف أن حياته أصبحت مستحيلة بدونها ؟!

ثم فوجئ نادر بفريدة وهى تقص عليه قصة خطبتها لابن عمها فاروق ضابط الآداب عندما كانت فى السنة الثانية الجامعية .كانت أمها قد عرفت قصتها مع مجدى فخافت من الارتباط بطبقة لن تجر عليها سوى المتاعب لأنه على حد قولها « اللى يبص لفوق يتعب » . وانتهزت فرصة تقدم فاروق لخطبتها ودفعت زوجها إلى التحمس للمشروع ، وكان التيار أقوى من فريدة التى لم تجد مفرا من الرضوخ فى النهاية . وتمت الخطبة فى حفل صغير اقتصر على والدى الخطيب والخطيبة وإخوتهما .

ولم يمر شهر على الخطبة إلا وظهر فاروق على طبيعته . كان فظا خشنا

لا يثق فى أية امرأة على وجه الأرض ، وامتد الشك ليشمل فريدة . كان يذهب ليراها فى الكلية ثم يقوم حتى ساعة متأخرة من الليل باستجوابها عن كل تصرفاتها مع زملائها سواء أكانت تحية أم ابتسامة أم كلمة أم حوار ؟! ثم اجتاحه الشك لدرجة أنه بدأ يشككها فى جدوى دراستها الجامعية ، لأن البيت — فى نظره — هو المكان الطبيعى للمرأة حيث لا يمكن أن تمسها كلمة من قريب أو بعيد .

ووقعت فريدة بين نارين : نار فاروق بفظاظته وخشونته وشكه وحجره على حريتها ، ونار مجدى الذى ارتبط بها وصدمته خطبتها صدمة أوشكت أن تلقى به خارج الكلية أو خارج الحياة نفسها . كان قد تعود على الاعتماد عليها فى كل شيء ، كما تعود الاعتماد على أمه من قبل . وفجأة وجد سنده الجديد فى الحياة يتخلى عنه ، لدرجة أنه لم يتمالك نفسه من البكاء أمام زملائه عندما تأكد من خطبتها .

أدركت فريدة — قبل فوات الأوان — أن الأمور لا يمكن أن تسير على هذا المنوال . واتضح أمام عينيها البون الشاسع بين فظاظة فاروق وخشونته وشكه ومعاملتها معاملة العبيد على الرغم من انتمائه إلى نفس طبقتها بل ونفس أسرتها ، وبين رقة مجدى وتهذيبه وثقته الكاملة فيها واعتماده على رأيها فى كل كبيرة وصغيرة على الرغم من الفوارق الطبقية بينهما . وقد تأكد حبه لها عمليا بعد أن شعرت بضياعه وتحطيمه لنفسه ولمستقبله فى أعقاب خطبتها لفاروق . عندئذ سيطر الجانب القوى فى شخصيتها على فكرها وسلوكها وقررت أن تحسم الأمور بصرف النظر عن النتائج المحتملة والمتوقعة . وصارحت والديها بإصرارها على فسخ خطبتها لفاروق ، وعندما فشلت كل سبل الإقناع فاتح أبوها خطيبها برغبتها فإذ به لا يجد أية مقاومة تذكر ، بل

بدا سلوكه وكأنه أوشك على التخلص من حمل ثقيل .

وفسخت الخطبة و لم يكن قد مضى عليها سوى أشهر معدودة وكانت فرحة مجدى قد شملت العالم كله وخاصة أنه تأكد أنها فسخت خطبتها لابن عمها من أجله خصيصا . وعاد حبه لها جارفا قويا . فقد أصبحت دنياه وأمله ومستقبله . ووجدت فى حبه الجارف الرقيق تعويضا عن كل الخشونة التى لقيتها على يدى ابن عمها . بل وزاد حبها له عندما وقف صامدا أمام كل محاولات أمه لإعاقة ارتباطه بها ، لدرجة أن أمه الجبارة المسيطرة رضخت واستسلمت أخيرا ، بل ووافقت على عقد الخطبة ، واشترطت فقط أن يقام الحفل فى منزلها الذى يليق بمستوى عائلتها . وهى ملاحظة جرحت فريدة لكنها آثرت دفن جرحها من أجل مجدى ، وإن كانت قد لاحظت نفس الجرح عند والديها وخاصة عند أمها التى تعرف رأيها جيدا فى زواج الفقراء من الأغنياء . لكن يبدو أن الوالدين قد دفنا جرحهما وتمنيا السعادة لابنتهما . أما أمينة أخت فريدة الصغرى فكانت فرحتها غامرة بزواج أختها الكبرى من الشاب الثرى الذى تحبه وتمنت أن يرزقها الله بشاب مثله .

استمع نادر إلى هذه القصة العجيبة التى وقعت لجارته دون أن يعلم عنها شيئا ، وتعجب لحياة رجل الأعمال الذى تجرفه فى دوامتها لدرجة أنه لا يشعر بوجود أقرب الناس إليه .

كانت عربته قد عبرت نفق شبرا وبلغت مطالع الترعة البولاقية . أحس — بغريزة رجل الأعمال — بالمتاعب التى تنتظر فريدة مع مجدى بعد أن قصت عليه كل الملابسات والظروف ، لكنه خشى أن تفسر أية نصيحة لها على محمل خاطئ ، وخاصة أنها كانت قد قطعت شوطا مع مجدى لا يمكن التراجع فيه . ولذلك تبدو النصيحة المخلصة أحيانا مثل طلق نارى يحدث

ضجيجا ولا يصيب هدفا ، كما يتحتم على الإنسان أحيانا أن يخوض التجربة حتى نهايتها ، مهما كان الثمن الذى سيدفعه . ولذلك لم يملك سوى أن يهنئ فريدة ويتمنى لها حظا سعيدا مع مجدى ، وهى تهبط من عربته إلى بيتها . لم يشعر بأية غضاضة فى كل ما قصته عليه . بل على النقيض من ذلك تماما . زاد إعزازه وتقديره وإعجابه بشخصيتها القوية وقلبها الكبير وجاذبيتها الآسرة .

وتمت الخطبة التى كان نادر أول المدعوين لها . لكن المواقف والتعليقات التى التقطها أكدت له كل مخاوفه . يكفى منظر أم الخطيب التى لم تحاول أن توجه أية كلمة ترحيب لأسرة الخطيبة أو حتى لأمها ، ومنظر الأسرتين كأنهما معسكران يستعدان لخوض معركة : المعسكر الأول بخواتمه الماس والساعات الذهبية والملابس المستوردة من عواصم الأناقة ، والمعسكر الآخر بنظراته التائهة المندهشة الحائرة الوجلى الناقمة على ترفع البشر على البشر .

كانت الموسيقى الخفيفة لا تزال تصدح من أحد أجهزة التسجيل ، فأراد نادر أن يذيب الجليد فنهض ممسكا بكل من يدى مجدى وفريدة طالبا منهما بصوت عال أن ينهضا للرقص فإذا بنظيرة هانم تقول له على مسمع من الجميع !

— لا تحرجها إذا كانت لا تعرف الرقص !!

غمرت الحمرة وجه فريدة ، لكن نادر لم يستسلم لهذه الهجمة المباغتة وهو رجل الأعمال الذى يجيد التعامل مع كل أنواع البشر . قال بنفس صوته العالى .

— ليس شرفا كبيرا أن يعرف الإنسان الرقص . كل ما أردته إثارة جو من الانطلاق والبهجة يشعر به جميع الحاضرين دون استثناء .

بوغتت نظيرة هانم بالرد المفحم ، واجتاح الحرج مجدى من أم رأسه حتى إخمص قدميه ، فى حين ومضت عينا أم فريدة بوميض التحدى والتشفى . وسرعان ما نهض مجدى من مكانه وجذب فريدة وهو يقول لأمه :

ـــ الغلطة غلطتى يا ماما .. فأنا لم أخبرك أن فريدة لا تعرف الرقص فحسب بل تجيده أيضا !!

سارت فريدة بخطوات آلية مع مجدى إلى منتصف المستطيل فى حين أسرع نادر إلى جهاز التسجيل واختار شريطا لموسيقى ذات إيقاع سريع مرح وعاد مصاحبا الإيقاع بالتصفيق مما أثار استياء يلدز هانم ، وتضاعف استياؤها عندما تقدم نادر من ابنتها شهيرة الشقراء الساحرة التى كانت ترتدى فستان سهرة من اللون الوردى الفاتح ، فى حين تركت شعرها البلاتينى يتهدل على ظهرها وكتفيها هنا وهناك وخاصة عند المفرق الذى أحدثته الوردة الحمراء التى اشتبكت مع خصلاتها فى عراك لذيذ . ذهلت يلدز هانم لجرأة نادر عندما انحنى وأمسك بيد شهيرة جاذبا إياها برقة وهو يقول :

ـــ أتسمحين لى بهذه الرقصة يا فندم ؟!

وقبل أن تفتح شهيرة فمها بكلمة ، كان قد جذبها فأسرعت بإطفاء السيجارة فى يدها وسارت خلفه معجبة بجرأته وسرعان ما كانا فى الحلبة بجوار مجدى وفريدة . وفى دقائق كانت الحلبة تعج بالراقصين والراقصات ، لكن معظمهم كان من الأسرة الأرستقراطية .

سأل نادر شهيرة وقد شعر بالتصاق جسدها به أكثر من اللازم :

ـــ لم أتشرف بعد بسيادتك ؟!

ـــ أنا شهيرة عبد الحميد . ابنة خالة مجدى وليسانس لغة ألمانية ..

ـــ تشرفنا يا فندم .. وأنا نادر قدرى .. بكالوريوس تجارة ..

ورئيس قسم المشروعات ودراسات الجدوى بالشركة العالمية للاستثمار .

ثم ضحك وقال :

ـــ نصفى مصرى والنصف الآخر يونانى !!

ابتسمت شهيرة فى أنفة وهى تزيد التصاقها بنادر :

ـــ أما أنا فنصفى تركى .. والنصف الآخر شركسى .. وقد سمى أبى على اسم السلطان عبد الحميد ..

لم يسترح نادر لهذه العنجهية الفارغة فقال :

ـــ لم أقصد بكلامى التمسح باليونان .. فأنا فخور بمصريتى .. ومن يعيش على أرض مصر بصدق لابد أن يقع فى غرامها ..

لم تهتم شهيرة كثيرا لرأيه بل سألته :

ـــ أمتزوج أنت ؟!

ابتسم قائلا :

ـــ لم يحدث لى الشرف بعد !

ثم أضاف متسائلا :

ـــ رأيت دبلة ماسية وأخرى ذهبية فى إصبعك ؟!

ـــ نعم .. أنا متزوجة ..

ـــ لم أتشرف بلقاء زوجك السعيد الحظ ؟!

ـــ اعتذر عن حضور الخطبة لبعض المشاغل .

اندمج نادر وشهيرة مع الراقصين والراقصات فى حين مالت نظيرة هانم على أذن يلدز هانم وسألتها :

ـــ كيف حال شهيرة ؟!

ـــ لا يسر .. يبدو أن الطلاق أصبح ضرورة لا مفر منها !!

دقت نظيرة بيدها على صدرها برقة فلمع خاتمها السوليتير وقالت :

— كيف يحدث هذا وزوجها من عائلة أرستقراطية غنية .. إنه لن يجد أفضل من شهيرة : مال وجمال وعلم .. لابد أن عينا أصابتهما ..

— فعلنا المستحيل لوقف تدهور الموقف .. ذهبنا إلى ضاربى الودع وقارئ الفنجان وعلماء الفلك .. لكن كل شيء سار من سيىء إلى أسوأ ..

— وكيف حال شهيرة الآن ؟!

— إنها لا تهتم كثيرا بما يجرى .. فهى تقضى حياتها مع صديقاتها بالنادى وأسعد لحظاتها تلك التى تقضيها مع حريش !

سألت نظيرة هانم وحب الاستطلاع يمسك بخناقها :

— من حريش هذا ؟!

— إنه مدرب التنس الذى جعل شهيرة على مستوى أية بطلة عالمية !!

— لكننا لم نسمع عن اشتراكها فى أية مباراة ؟!

— إنها تلعب للهواية ولقتل وقت الفراغ !

أضافت نظيرة هانم قولها :

— كانت شهيرة تمثل فى نظرى خير زوجة لمجدى !!

قالت يلدز هانم فى استسلام :

— كل شيء قسمة ونصيب !!

قالت نظيرة هانم وهى تضغط على مخارج الألفاظ :

— وأحيانا يكون كل شيء دراسة وتخطيط ..

حاولت يلدز هانم تغيير مجرى الحوار فتساءلت :

— سمعت أن العروس كانت مخطوبة من قبل لابن عمها ؟!

— من قال لك هذا الكلام ؟!

ــ مجدى نفسه .. لكنه لم يقل لى سبب فسخ خطبتها ؟!

ــ قال لى إن السبب عدم الاتفاق فى الرأى والسلوك !

ــ إنه الكلام العام الذى يقال فى مثل هذه المناسبات .. أما السبب الحقيقى فلا تعرفه سوى الأطراف المعنية !!

أعادت نظيرة هانم قولها بتأكيد أشد وطأة :

ــ ألم أقل لك إنه فى بعض الأحيان يكون كل شىء دراسة وتخطيطا ..

لكن يلدز هانم نظرت إلى أختها و لم تفهم مغزى قولها .

٢

استيقظ الأستاذ صبرى مبكرا كعادته حتى فى يوم الجمعة فوجد أن زوجته الست بهية قد سبقته إلى المطبخ لإعداد الإفطار . وعندما ذهب إلى غرفة المائدة وجد كل شىء منسقا مرتبا نظيفا . وبجوار الأكواب اللامعة المرصوصة فوق المائدة كانت جريدة الصباح فى انتظاره . أخذها واسترخى على مقعد ركنى ، وبدأ يتصفحها بعد أن وضع نظارته على أرنبة أنفه لكنه لم يستوعب أى شىء مما وقعت عليه عيناه . فقد سرح بفكره فى أحداث الليلة الماضية التى ذكرته بضجيج السيارات المسرعة فى شارع الترعة البولاقية والذى نسيه نتيجة لتعوده عليه .

دخلت الست بهية حاملة أطباق الفول المدمس والجبن الأبيض وألقت بتحية الصباح على زوجها وهى تقوم برصها على المائدة . رد صبرى التحية وهو يقوم بضبط الطاقية فوق رأسه ثم سألها :

ــ هل استيقظت البنتان ؟!

— مررت على غرفتهما فوجدت أمينة تغط فى نوم عميق .. فى حين تقلبت فريدة فى فراشها عدة مرات ..

— لا أريد أن أتناول الإفطار بدونهما !!

— سيبرد الشاى .. وأنت تحب احتساءه ساخنا !!

— هل انتهيت من إعداده ؟!

— وضعته على النار بمجرد سماعى لقدميك وأنت خارج من غرفة النوم . وسأحضره حالا ..

— وهو كذلك .. لكن حاولى إيقاظ البنتين ..

— دعهما على راحتهما ..

سمع صوت الشاى يفور فى المطبخ فهرعت بهية إليه صائحة :

— الشاى فار .. الشاى فار ..

كانت الست بهية فى فستان البيت الأخضر خفيفة فى حركتها وخطوتها برغم ترهلها وثقل وزنها . عادت وفى يدها إبريق الشاى .. وضعته على دائرة صغيرة من الورق المقوى وجلست إلى المائدة داعية زوجها :

— قم للإفطار .. لو انتظرت البنتين فربما تناولته ظهرا ..

نهض الأستاذ صبرى متثاقلا وهو يلملم أطراف جلبابه الناصع البياض . جلس إلى المائدة ولا تزال الجريدة فى يده لكن بهية أخذتها منه وألقتها على المقعد الركنى قائلة :

— لا شىء أهم من الإفطار !

وقامت بصب الشاى فى كوب زوجها الذى قال لها :

— كنت أريد أن أناقشك فى أحداث الليلة الماضية قبل النوم لكنك رحت فى سبات عميق بمجرد أن وضعت رأسك على الوسادة ..

ـــ لقد عدنا فى الثانية صباحا .. والصباح رباح ..

ـــ قلبى غير مستريح لما شاهدته بنفسى أمس ..

ـــ لم يكن بأيدينا شىء نستطيع عمله !! كان التيار أقوى منا .. وبنات هذه الأيام ينفذن ما فى رءوسهن بصرف النظر عن أى اعتبار آخر ..

قال صبرى وهو يحتسى رشفة من الشاى :

ـــ لكننا نشاركهن المسئولية فى النهاية ..

ابتسمت بهية ابتسامة سخرية وهى تتناول لقمة بالفول المدمس :

ـــ القرار قرارهن والمسئولية مسئوليتنا ..

قال صبرى فى استسلام وهو يزدرد قطعة من الجبن يعقبها برشفة شاى :

ـــ هكذا خلفة البنات ..

ـــ قلت لها هذا الكلام منذ زمن .. فكان ردها أنها سمعت كلامنا ووافقت على خطبتها لفاروق .. وحدث بعد ذلك ما حدث ..

ـــ صحيح كان فاروق عنيفا وشكاكا أكثر من اللازم .. لكنه مهما كان فهو أفضل وأكثر رجولة من هذا المدلل « ابن أمه » !!

ـــ على كل حال .. كل شىء قسمة ونصيب .. ولا داعى لإثارة هذا الموضوع مرة أخرى معها لأن ارتباطها بمجدى أقوى من أية محاولة لتغيير تفكيرها ..

توقفت بهية عن مضغ الطعام وتصنتت بأذنها اليمنى تجاه غرفة البنتين وهى تقول لزوجها :

ـــ أسمع حركة فى سريرها .. يبدو أنها استيقظت ..

ـــ ربنا يهنيها ويسعدها .. هذا هو كل ما نطلبه ..

ابتسمت بهية وقالت فيما يشبه الهمس :

— حفظك الله لنا .. يا أبا فريدة ..

ظهرت فريدة عند باب غرفة المائدة وفى عينيها حمرة خفيفة . كانت ترتدى قميص نوم فستقيا يكشف عن جاذبيتها ورقتها فى حين كان شعرها يكاد يحتفظ بنفس شكل البارحة . قالت بصوتها الهامس ذى البحة الرقيقة :

— صباح الخير ..

ابتسمت الأم فى حين قال الأب وهو يفيض حنانا :

— صباح الفل على عروسنا الجميلة ..

قبلتهما فريدة فى حركة كالفراشة وجلست بينهما إلى المائدة وسرعان ما صبت لها أمها كوبا من اللبن الساخن ودفعت إليها طبقى الجبن والفول المدمس والخبز البلدى وهى تقول :

— كفاك نحافة .. ألم ترى بالأمس كيف كان الدم يطفر من وجوههم فى حين كنت على وشك الذوبان بينهم ؟!

— إن مجدى يحبنى هكذا ؟!

— ولماذا لم يلتزم هو بنفسه بقواعد الرجيم والرشاقة ؟!

— لقد وعدنى بإنقاص وزنه خمسة كيلو جرامات على الأقل !!

— هذا إذا حصل على موافقة الست والدته ؟!

شعر الأب بأن زوجته على وشك تعكير صفو ابنته دون أن تدرى فسأل فريدة :

— ألا تزال أمينة نائمة ؟!

أجابت فريدة وهى ترتشف كوب اللبن :

— حاولت إيقاظها فرفضت وقالت إن الكلية على وشك أن تفتح وهى تريد أن تستغل المدة المتبقية فى النوم المتأخر ..

ابتسم الأب وقال :

ـــ أجيال تعبد الكسل !!

ردت فريدة على أبيها فى دلال واضح :

ـــ من فضلك يا سى بابا .. حدد كلامك ..

داعب صبرى وجنة ابنته ملاطفا :

ـــ أنت يا حبيبتى استثناء من القاعدة !!

استأنفت الأم هجومها عندما وجدت ابنتها وقد اكتفت بكون اللبن :

ـــ الزواج ليس لعبة يا فافى .. لابد أن تأكلى جيدا حتى تتحملى مسئولياته .. كفاك مسئولية الولادة ..

كانت فريدة على دراية مسبقة برأى أمها فى هذا الموضوع ومع ذلك آثرت أن تعيد تأكيد موقفها :

ـــ لم يعد الإنجاب أخطر مسئولية يستعد لها الزوجان !!

ـــ وكيف نعمر الأرض ؟!

ضحكت فريدة ضحكة بها لمسة من التهكم الرقيق :

ـــ إننا على وشك أن نخرب الأرض بالانفجار السكانى ..

ـــ لن أدخل معك فى فلسفتك التى لا أول لها ولا آخر .. لكن أحب أن أقول لك إن مجتمعنا مغرم بنثر الأقاويل حول الزوج الذى لا ينجب ..

ـــ إن حياتنا ليست رهنا بآراء الآخرين !!

ـــ ألم تسأموا بعد من مناقشة نفس القضايا التى لن تصلوا فيها إلى نتيجة ؟!

نظر الثلاثة إلى مصدر الصوت فوجدوا أمينة تقف مبتسمة بالباب . كان شعرها أقصر بكثير من شعر أختها لكنه بنفس السواد والنعومة ، وكانت

تشبه أختها إلى حد كبير لكنها لم تكن تملك نفس الجاذبية والرقة . أما حركاتها فى قميص نومها القصير الأحمر فتذكر أباها بحركات ولد شقى ، وكثيرا ما كان يضحك ويقول : يبدو وهى فى بطن أمها قد قررت فى آخر لحظة أن تصبح بنتا !!

قال الأب ضاحكا :

ــ أهلا بالولد الشقى الغلباوى !!

جلست أمينة إلى المائدة وصبت لنفسها كوبا من اللبن وقالت مداعبة أختها :

ــ كانت حفلة أمس كالحلم .. عشنا فى جو مختلف تماما ..

قالت الأم على سبيل إيقاف تيار الحماسة الجارف الذى بدأته أمينة :

ــ لا تنخدعى بالمظاهر .. المهم الجوهر ..

لم تسكت أمينة :

ــ مجدى شاب لطيف مهذب تتمناه أية فتاة !!

أعادت الأم الكرة :

ــ نرجو أن تثبت الأيام كلامك هذا !!

تدخل الأب مرة أخرى بعد أن قام لقراءة الجريدة فى مقعده الركنى :

ــ لا داعى لهذا التشاؤم يا بهية ..

قالت فريدة فى محاولة لحسم الجدل :

ــ من حق كل إنسان يا بابا أن يعبر عن رأيه .. وخصوصا أن التشاؤم أو التفاؤل لن يغيرا من الواقع الذى يؤكد أننى سأتزوج من مجدى !

دقت الأم على صدرها وقالت لفريدة :

ــ قولى إن شاء الله .. كل شيء بإذنه ..

قالت فريدة وقد انتهت من كوب اللبن وقطعة من الجبن :

ــ طبعا . كل شيء بإذنه ..

ثم نظرت إلى ساعة الحائط العريقة عندما دقت التاسعة .. نهضت مسرعة إلى غرفتها وهى تقول :

ــ سيحضر مجدى فى العاشرة .. ويجب أن أكون مستعدة .

سألها أبوها :

ــ إلى أين ؟! إن شاء الله ..

ــ لا أعرف يابابا !! كل ما قاله لى إنه سيمر ليأخذنى فى العاشرة ..

ــ فى المرة القادمة لابد أن تسأليه .. ولابد أن نعرف نحن لأننا مسئولون عنك إلى يوم الزواج بإذن الله ..

ــ الموضوع فى منتهى البساطة يا بابا .. عندما يصل سأطلب منه الصعود كى يخبرك عن وجهته ..

ــ بارك الله فيك يا حبيبتى ..

ــ ولا حرمنا الله منك يا أروع بابا فى الدنيا ..

قالتها واختفت فى غرفتها . وسرعان ما قالت الأم :

ــ لولا نادر الله يعمر بيته لدخنا أمس فى البحث عن تاكسى .. من الواجب على الخطيب ألا يكتفى بتوصيل خطيبته إلى بيتها .. فليس المفروض على نادر أن يأخذنا فى عربته ..

علقت أمينة ضاحكة وهى تقوم فى أعقاب أختها :

ــ وليس من المفروض أن نكبس على نفس الأحباء فى ليلة مفترجة مثل ليلة أمس ..

كانت الأم على وشك أن ترد لكن أمينة كانت قد اختفت هى الأخرى .

فقالت لزوجهاالذى ألقى بالجريدة فى سأم :

— جيل عفاريت . حتى هذه المفعوصة لها رأى فى كل شىء .. فى حين كان رأى البنت فى بيت أبى جريمة لا تغتفر ..

ابتسم زوجها وقال :

— لابد أن أباك كان رجلا سعيدا !! لكن يبدو أن الزمن قد دار دورته وأصبح رأى الرجل فى بيته جريمة لا تغتفر ..

— وخاصة الرجل المنقاد لأمه ؟!

أشاح صبرى بيده فى ملل وقال :

— لا داعى يا بهية للتعريض بمجدى سواء من قريب أو بعيد .. فإن هذا قد يأتى بنتائج عكسية تماما ..

— يبدو أنك تنوى وضع يدك فى المياه الباردة ؟!

— أنا خائف على مستقبل فريدة مثلك تماما .. لكننى فى الوقت نفسه واثق فى تفكيرها وعقليتها وقدرتها على اختيار الصالح لها !!

— لا يقع سوى الشاطر !!

— لا تحولى الموضوع إلى مشكلة عويصة .. وفى اعتقادى أن فريدة قادرة بعد زواجها على دفع مجدى إلى التخلص من سيطرة أمه .. خاصة وأنه يحبها وعلى استعداد لتلبية كل طلباتها ..

ثم ابتسم صبرى ابتسامة عريضة فيها كثير من السخرية والخبث مما أثار دهشة بهية التى سألته :

— ما الذى جعلك سعيدا هكذا ؟!

— منذ أن تزوجنا والسعادة تغمرنى كلما وجدتك تبدين عين العقل فى مناقشة موضوع ما .. وأحيانا أستسخف رأيى وسرعان ما أنقاد لرأيك المتزن

الموضوعى .. لكن بمجرد أن أفعل هذا فإنك تغيرين رأيك بسرعة البرق وتقولين كلاما مختلفا تماما .. عندئذ لا أسمح لنفسى بالانقياد لك .. وليكن ما يكون ..

تساءلت بهية محاولة التهكم من رأى زوجها :

ــ وما علاقة هذا بموضوع زواج فريدة ؟!

ــ عندما قلت لك إن قلبى غير مستريح .. قلت لى والحكمة تقطر من كلماتك : لم يكن بأيدينا شىء نستطيع عمله .. وأن كل شىء قسمة ونصيب .. ولا داعى لإثارة هذا الموضوع معها لأن ارتباطها بمجدى أقوى من أية محاولة لتغيير تفكيرها .. فى الحقيقة خجلت من نفسى عندما استمعت لهذه الحكمة المتدفقة وغيرت موقفى فى الحال .. لكن بمجرد ظهور فريدة لم تستطيعى منع نفسك من التعريض بمجدى وممارسة دور الحماة من الآن .. فاضطررت إلى القيام بدور « الفرملة » لك ..

أحدثت بهية صوتا بشفتيها كأنها تمص ليمونة وقالت :

ــ والله أمرك عجب يا سى صبرى .. إنك لا تعرف قلب الأم !!

ــ تتكلمين كما لو لم يكن للأب قلب ؟!

ــ سأحرمك من هواية الجدل والمناقشة التى تعشقها ؟!

لزم صبرى الصمت الباسم فى حين دوى بوق موسيقى لسيارة فاخرة فقالت بهية :

ــ يبدو أن المحروس وصل ؟!

وسرعان ما رأت ابنتها أمينة وهى تجرى نحو الشرفة فى خفة الأرنب الرشيق .

٣

وضع نادر التقارير التى كتبتها فريدة على مكتبه بعد أن انتهى من قراءتها وقد بدت على وجهه علامات الارتياح العميق الذى انتقل بدوره إلى وجهها وهى تجلس أمام مكتبه . ابتسم نادر ابتسامته العذبة التى تعشقها فريدة وقال :

ــ أنت لا تعرفين يا فريدة كم نحن سعداء بك هنا فى الشركة .. فلم نكن قادرين على ملاحقة التغييرات التى تكاد تطرأ بصفة مستمرة على قوانين الاستثمار والاستيراد والتصدير .. والعملاء الأجانب يريدون إنجاز أعمالهم بأسرع ما يمكن .. وليسوا على استعداد لانتظار تفسيراتنا القانونية المسهبة والمتشعبة ..

ضحكت فريدة ضحكة سريعة فبرزت غمازة وجنتها اليسرى التى لا يشبع نادر من مشاهدتها ، ثم قالت :

ــ لقد اكتشفت يا أستاذ نادر أن ما درسته بكلية الحقوق شىء .. وما يمر على فى الشركة من قوانين شىء مختلف تماما .. ولذلك فأنا أقوم بدراسة كل شىء من جديد ..

ــ أنا أعلم المجهود الشاق الذى تبذلينه .. حتى فى فترة استعدادك للخطبة لم تتخلى لحظة عن إحساسك بالمسئولية تجاه عملك .. ولذلك قررت الشركة منحك علاوة إضافية ..

انتابت فريدة حمرة الخجل فزادت من سحرها عندما قالت وقد ركزت عينيها على البنطلون الجينز الذى ترتديه :

ــ لم يمض عام بعد على حصولى على العلاوة الماضية ؟!

ــ أنت تستحقين كل خير .. ثم إن الشركة تستفيد ماديا من سرعة إنجازك لعملك .. ولابد أن يعود عليك جزء من هذه الفائدة ..

نهضت فريدة وقد امتزج خجلها بعرفان عميق بالجميل :

ــ أفضالك على لا أول لها ولا آخر .. ولا أعرف متى أرد أى جزء صغير منها ؟! هذا الإحساس كان يلح على منذ قمت بتدريسى اللغة الإنجليزية فى الثانوى .. وكلما تزايد هذا الإحساس ، شعرت بعجزى عن رد واحد فى المئة من أفضالك ..

نهض نادر بدوره وهو يقول بصوت مفعم بالحنان الدافق :

ــ لا أحب أن أسمع منك مثل هذا الكلام !! فنحن جيران وإخوة وأهل بحكم العشرة الطويلة .. وليس بين الأهل أفضال .

ترقرقت عيناها بغلالة رقيقة من الدمع اللامع ، فلم يحتمل نادر الشحنة العاطفية التى يكاد يتفجر بها الموقف فقال لها بلهجة الرئيس عندما يصدر تعليماته إلى مرءوسيه :

ــ تفضلى أنت الآن بدون مطرود إلى مكتبك . ولا تنسى المرور على عند الانتهاء من العمل .. فالطريق بدونك ممل للغاية ..

ــ لا تتعب نفسك يا أستاذ نادر .. أرجو أن تكون على حريتك لأن مجدى سيمر على لتوصيلى إلى المنزل ..

ابتسم نادر وقال متسائلا :

ــ ألهذا السبب حرمت من أنسك طيلة الأسبوعين الماضيين ؟!

لم ترد فريدة بل أرخت عينيها فسألها نادر :

ــ هل مجدى من الشباب الذى تلسعه نار الغيرة بسهولة ؟!

— لم يكن هكذا قبل الخطبة ؟! لا أعرف سر تحوله !!

— ولهذا سألتك متعجبا !! لأن بيئته الأرستقراطية المتفرنجة تعتبر هذه الغيرة إحدى علامات التخلف الحضارى !! لكن يبدو أن جمالك زاد فى عينيه بعد أن اقترب منك أكثر .. ومن هنا كانت لهفته عليك ..

تضاعف خجل فريدة عندما ذكر نادر جمالها و لم تدر ماذا تقول فآثرت الصمت ، استأنف نادر حديثه :

— لن أجبرك على الوقوف هكذا .. ربنا يسعدك مع مجدى .. إنه شاب لطيف مهذب رقيق .. ويكفى أنه يحبك ..

أحنت فريدة رأسها انحناءة خفيفة وتراجعت إلى الخلف متلعثمة فى قولها :

— متشكرة .. عن إذنك ..

واستدارت فى طريقها إلى الباب لكن نادرا أحس كأنها بخطواتها المتباطئة المترددة تريد أن تفضى بشىء فسألها وكان لا يزال فى وقفته خلف مكتبه المصمم بالأسلوب الحديث البسيط :

— هل نسيت شيئا ؟!

عادت فى الحال إلى مواجهته حتى بلغت وقفتها السابقة وقالت :

— أستاذ نادر .. لقد تعودت أن أستشيرك فى كل ما يرتبط بمستقبلى ومصيرى ..

— وأنت تعلمين أن هذا شىء يسعدنى للغاية ؟! تفضلى .. اجلسى .. لن نظل واقفين هكذا !!

عاد الاثنان إلى جلستهما السابقة . قالت فريدة متفادية بقدر طاقتها التلعثم الذى أمسك بخناق لسانها :

— لم أدرك إلا بعد الخطبة كم حارب مجدى من أجل إتمامها !! إن أمه

تمارس عليه ضغوطا عنيفة متزايدة .. و لم تحاول إخفاء رفضها لى ولكل ما يمت لى بصلة ..

ــ وما موقف مجدى ؟!

ــ إنه لا يزال على إصراره وصموده !

ــ وهل تشعرين بأن إصراره وصموده سيستمران ؟!

ــ إنه لا يستطيع الحياة بدونى !

ــ ما دام يحبك كل هذا الحب .. فلابد أن تسانديه فى موقفه !!

ــ كيف ؟! إننى أريد أن أستشيرك فى هذه النقطة بالذات !

ــ هل تقبلين منى رأيا صريحا ؟!

ــ وأنا لا أريد منك سوى صراحتك التى تعودتها !

ــ لاتؤاخذينى إذا قلت لك إن الفوارق الاجتماعية والاقتصادية لا تذوب فى مواجهة نار الحب إلا فى الروايات الخيالية والمثالية .. أما على أرض الواقع فإنها تشكل قدرا لا يمكن الفكاك منه ..

ــ أنا مدركة لكل هذا .. لكن ما العمل ؟!

ــ العمل يكمن فى الاستقلال الذاتى ..

ثم أضاف نادر كأنه تذكر شيئا غاب عنه من قبل :

ــ تصورى أننى لا أعرف وظيفة مجدى حتى الآن ؟!

قالت فريدة وهى تتفادى النظر إلى عينيه السوداوين الواسعتين :

ــ ليست له وظيفة !

تجسدت الدهشة على وجه نادر عندما قال :

ــ لا أتصور أن مثله عاجز عن البحث عن وظيفة !!

ــ إنه لا يريد الوظيفة لأنه ليس فى حاجة إليها !

— لا تؤاخذينى مرة أخرى !! فأنا لا أتصور إنسانا فى هذه الحياة بلا وظيفة !!

— إنه يرعى شئون الأسرة وممتلكاتها ..

— هنا مكمن الخطر !!

اهتزت فريدة فوق مقعدها وتساءلت بصوت مرتعش :

— ماذا تقصد ؟!

— إن هذا يعنى استحالة الاستقلال الذى تكلمت عنه !

— لكننى أشعر أن مجدى مثل هذه الدبلة فى يدى !!

قالتها فريدة وهى تشير إلى الدبلة الذهبية اللامعة فى يدها اليمنى ، لكن نادرا لم يبد عليه الاقتناع الكامل فسألها :

— وهل وجد مجدى الشقة المناسبة لكما ؟!

— الشقة موجودة بالدور التاسع وهو يقوم بتجهيزها الآن .

— تقصدين فى عمارته ؟! وأين تقطن أمه ؟!

— فى الدور العاشر ..

— وماذا عن شقة الدور الأرضى التى تمت فيها الخطبة ؟!

— تقوم أمه بتأجيرها مفروشة للسياح الأجانب والعرب ..

— ألم تحاولى كسب ود أمه بطريقة أو بأخرى ؟!

— حاولت كل الطرق الممكنة لكننى فشلت !!

— وماذا عن موقف مجدى من كل هذا ؟!

— أكد لى أنها كما عجزت عن الوقوف فى طريق خطبتنا .. فلن تستطيع أيضا أن تعوق زواجنا !!

— كان من الأفضل أن يبحث عن شقة مستقلة بعيدة عن عرين الأسد ؟

ابتسمت فريدة عند ذكر « عرين الأسد » وقالت :

— قلت له هذا الاقتراح مرارا لكنه قال إن شقته شبه جاهزة لاستقبالنا .. كما أنه لا يستطيع أن يترك أمه فى هذه السن المتأخرة كى تعيش بمفردها ..

— إذا .. عليك أن تخوضى معركة طويلة الأمد .. ولكن بكل الوسائل الدبلوماسة الذكية الممكنة .. وبشرط أن يستمر مجدى فى صموده أو فى حياده على أسوأ الفروض ..

— لقد طمأننى بأن أمه تقضى أشهر الصيف فى سويسرا التى تقيم فيها ابنتها مع زوجها رجل الأعمال اللبنانى ..

— وماذا عن أشهر الشتاء ؟! ألن يحدث فيها احتكاك ؟!

— سأكون منهمكة فى عملى ..

— وهل مجدى مستريح لعملك الذى تعودين منه بعد الخامسة ؟!

— إنه متحمس له تماما وإن كانت أمه تؤكد أن البيت هو المكان الطبيعى للمرأة .. أما المرأة الفقيرة فمضطرة إلى العمل كى تساعد زوجها ..

— إنها تريد أن تعود بعجلة الزمن إلى عصر الحريم !

— هذه هى عقليتها ومن الصعب تغييرها بعد كل هذا العمر .

— على كل حال .. أنا واثق من ذكائك وحكمتك وقوة شخصيتك .. وفى الوقت نفسه واثق من أن مجدى سيستمد منك إصراره وصموده طالما أنه يحبك كل هذا الحب ..

— إننى أستمد من نصيحتك العزم والأمل ..

ارتسمت ابتسامة الارتياح والتفاؤل على وجه فريدة وهى تنهض قائلة :

— لن أضيع من وقتك أكثر من هذا .. وإن كنت فى قرارة نفسى أكاد أحسد سعيدة الحظ التى ستفوز بك وبسعة أفقك وبعمق تجربتك وبعد نظرك

للحياة والناس ..

نهض نادر مبتسما للإطراء وخاصة أنه جاء من فريدة فقال ضاحكا :

— لا داعى للمديح والإطراء حتى لا أزداد غرورا فوق غرور .

— ليت كل الشباب فى غرورك !!

قالتها فريدة ضاحكة فى نفس اللحظة التى دوى فيها بوق موسيقى لسيارة فاخرة . نظرت إلى ساعة يدها وقالت بصوت هامس كأنها تحدث نفسها :

— لقد أتى مبكرا نصف ساعة قبل ميعاده !

قال نادر بصوت يجمع بين الجد والهزل :

— أسرعى إليه .. فالشركة كلها تعرف بوق سيارته !!

أحست فريدة ببعض الحرج ، فاستأذنت وخرجت مسرعة فى حين استمر البوق الموسيقى فى دويه المتقطع .

٤

عاد مجدى إلى حيث يعيش مع أمه فى شقة الدور العاشر بعد أن قام بتوصيل فريدة إلى منزلها . كانت الساعة قد جاوزت الحادية عشرة مساء ، وكانت الشقة معتمة باستثناء المصباح الصغير فى قاعة المدخل . أيقن أن أمه قد نامت . لكنه لم يذهب إلى فراشه فقد غلبه إحساسه بالنشوة بعد لقاء فريدة فخرج إلى الشرفة واستلقى على المقعد الهزاز الذى ظل يتأرجح به فى خفة .

كانت بقايا الخريف لا تزال تحتل العاصمة الساحرة أسفل الشرفة برغم حلول نوفمبر . سعد مجدى بمشهد النيل الذى يجرى بين كوبرى الجيزة

وكوبرى الجامعة عاكسا أضواء المصابيح على ضفتيه ، فى حين لا تزال السيارت الآتية بمصابيحها الساطعة والسيارات الذاهبة بمصابيحها الحمراء الخافتة تنطلق بلا صوت تحت الأشجار ، بينما قبعت العوامات على صفحته كأنها لعب أطفال . ذلك أن كل شىء يبدو من هذه الشرفة العالية صامتا صغيرا ما عدا النيل الذى يفرض جلاله على كل الأشياء ، والذى يذكره دائما بفريدة ، فى سمرته وحنانه وكرمه المتدفق .

كان يحلو دائما لمجدى أن يقارن بين القاهرة التى يعرفها عندما يقود عربته ، والقاهرة التى يراها من هذه الشرفة . إنهما قاهرتان مختلفتان تماما . قاهرة متربة صاخبة مثيرة للأعصاب برغم عربته المغلقة المكيفة الهواء ، وقاهرة صامتة مهيبة نقية الهواء . لكنه فى كلا القاهرتين تلازمه صورة فريدة سواء أكانت حاضرة أم غائبة ؟! ومن هذه الصورة يستمد سعادته بل ونشوته التى تسرى فى كيانه الآن فتدغدغه .

كان لقاء ممتعا حالما . ذهبا سويا إلى إحدى الكازينوهات الواقعة على طريق سقارة ، وشاهدا غروب الشمس خلف الحقول الممتدة حتى خط الأفق ، والتى تدرج لونها من الأخضر الشفاف إلى الأخضر الداكن إلى الرمادى ثم الأسود مع حلول الظلام . لكن بمجرد بزوغ القمر محاطا بكوكبة من النجوم اكتسبت قمم المزروعات وحوافيها اللون الفضى الذى انعكس على ملامح فريدة فتحولت إلى كائن أثيرى يصدح صوته مع حفيف الرياح التى تداعب الحقول فى رقة . حتى نباح الكلاب البعيدة والذى قد يختلط فى بعض الأحيان بعواء ذئب ، كان مثيرا لأحاسيس البهجة والنشوة .

من مجرد لمسة يدها كانت النشوة تسرى مع الصمت ، من مجرد نظرة عينيها كان السحر يحلق فوق أجنحة السكون . كانت الأحاديث معادة بل

والألفاظ مكررة ، والقضايا كما هى كالعادة لم تحسم ، لكن الحب غلف كل الأشياء ببريقه الساحر فلم تر العيون سوى الحلم فى الواقع . وبلغ الحلم قمته عندما ركبا العربة وقبل أن ينطلق بها أمسك بيدها وقرب شفتيه من وجنتها ثم طبع عليها قبلة فيها كثير من الوجد والتقديس . لكن الكيان الأثيرى سرعان ما تحول إلى امرأة ساخنة متفجرة بالأنوثة ومشعلة للرغبة فلم يدر إلا وقد انهال على شفتيها بشفتيه يعتصرهما فى ملحمة متصلة بعد أن كان قد تعود أن يخطف أو يختلس منها قبلة بين حين وآخر كلما واتته الفرصة .

لكنها سرعان ما اعتدلت فى جلستها وطلبت منه فى رقة توصيلها فورا إلى البيت لأن الوقت متأخر . وظل يحتضنها بيده اليمنى ويقود السيارة بيده اليسرى برغم وعورة الطريق وضيقه وظلامه حتى شارع الهرم حيث المصابيح الصفراء التى تكشف ما بداخل السيارات ، والتى جعلت العقد الماسى الذى اشتراه لها يتلألأ بلون ذهبى بعد أن كان يومض بلون فضى فى ضوء القمر . وكانت فريدة قد قاومت كثيرا فى قبول هذه الهدية لثمنها الفادح لكن مجدى أصر وأوشك على الغضب والمقاطعة إذا لم تلبسه . فقد كانت كل الهدايا — مهما كانت باهظة الثمن — تتضاءل فى مواجهة هدية الحب نفسه الذى تعيش على هديه .

استيقظ مجدى من خواطره على صوت يشبه الانفجار . نهض مذعورا من جلسته المسترخية ونظر فى اتجاه الصوت فوجد تصادما بين عربة لورى وعربة أتوبيس عند نهاية كوبرى الجيزة من ناحية المنيل حيث توقف المرور تماما بين الجيزة والمنيل . لم يتبق من النشوة سوى لمحات خاطفة تلاشت بمجرد أن استدار مجدى وذعر مرة أخرى عندما فوجىء بأمه واقفة عند باب الشرفة وقد وضعت شالا أبيض على كتفيها . قالت :

— أيقظنى هذا الصوت المزعج ؟! ماذا حدث ؟!

— إنه تصادم بين أتوبيس ولورى ..

أشاحت بيدها بلا مبالاة وهى تقول متسائلة :

— يبدو أنك عدت متأخرا الليلة ؟!

— عدت منذ حوالى ساعة ..

— أقل من ساعة .. لأن النعاس لم يغلبنى إلا منذ نصف ساعة فقط ..

جلست نظيرة هانم فوق المقعد البامبو الطويل المواجه للكرسى الهزاز فتنبأ مجدى بجلسة طويلة زاخرة بالأسئلة واستجواب كالعادة فى كل مرة يعود فيها بعد لقاء مع فريدة . قالت :

— شهر نوفمبر هذا العام لطيف للغاية .. لدرجة أنه يحبب السهر فى الشرفة ..

جلس مجدى على الكرسى الهزاز لكنه أمسك عن التأرجح وفى نيته أن يختصر الجلسة إلى أقصر وقت ممكن . قال :

— أخاف عليك يا ماما من أن تزيد رطوبة الجو من الروماتيزم عندك !!

— ولذلك وضعت هذا الشال الطويل على كتفى .. عموما لن أمكث طويلا ..

تهلل وجه مجدى للجملة الأخيرة لكن سرعان ما أعقبتها نظيرة هانم بقولها :

— المهم .. كيف حالك ؟!

أجاب فى اقتضاب وهو ينظر تجاه حادث التصادم :

— الحمد لله ..

ــ هل فكرت فيما قلته لك ؟!

ــ فكرت كثيرا .. لكننى لم أجد فى سلوك فريدة ما يؤكد كلامك !!

ــ يبدو أنها تستخدم معك كل أسلحة الخبث والدهاء .. اسألنى أنا .. فأنا أدرى بهذه الطبقة ..

ــ اسمحى لى يا ماما أن أقول لك إنك سيئة الظن بفريدة بلا مبرر معقول ..

ــ لو كنت فقيرا ، هل كان من الممكن أن تحبك بنفس الدرجة ؟! لا أعتقد أنها من الممكن أن تحبك فى هذه الحالة ؟

ــ إن الحب لا يعرف الحدود والحواجز !

ــ كلام فارغ .. كل شيء فى هذه الحياة أخذ وعطاء .. ستأخذ كل ثروتك وتعطيك الوهم فى مقابلها .. إنها تترقب بفارغ الصبر اليوم الذى سأموت فيه حتى يخلو لها الجو تماما .. فهى تدرك جيدا أن أختك قد استقرت مع زوجها فى سويسرا .. وإذا عادت إلى مصر فستعود كضيفة أو سائحة عابرة ..

ــ إن الأعمار بيد الله ..

ــ هل تريد أن توهمنى أنها يمكن أن تموت قبلى ؟! هذا الصنف يظل يدب على الأرض حتى يبلغ من العمر أرذله !!

أدرك مجدى أن الحوار سينتهى كعادته إلى المتاهات الجانبية التى لا خروج له منها ، فأراد أن يحسمه بنفس التساؤل التقليدى الذى اعتاده فقال :

ــ موجز القول .. هل تصرين على فسخ الخطبة ؟!

لمعت عينا الأم وتألق لونهما الرمادى بوميض خبيث ينم عن جمال قديم وقالت :

— لم أقل هذا على الإطلاق !! وإنما قصدت إلى وضعها موضع الاختبار حتى نكتشف حقيقة نواياها !!

— أطعت تعليماتك بالفعل وقلت لها إننى أنوى السكن بعيدا عن العمارة لسوء تفاهم بينى وبينك .. وأن دخلى الفعلى لن يسمح سوى بشقة متواضعة ..

امتزج حب الاستطلاع بالوميض الخبيث فى عينيها وتساءلت :

— وماذا كان ردها ؟!

— كانت فرحة العمر بالنسبة لها .. وأخبرتنى أنها تريدنى لشخصى فحسب حتى لو قضينا العمر كله فى شقة فوق السطح .

— إننى أعذرها .. فهى لم تتعود على السكن الفاخر !! عموما فليس هذا هو الاختبار الذى أقصده !!

— ماذا تقصدين إذا !!

— إننى أقصد اختبار أخلاقها !!

اهتز الكرسى الهزاز تحت مجدى برغم محاولته التماسك . وقال :

— إن أخلاق فريدة لن تكون محل اختبار أو شك ؟!

— يا حبيبى لقد علمتنى الحياة أن كل شيء فى هذه الدنيا لابد أن يكون محل اختبار وشك بل واتهام فى بعض الأحيان . فليس هناك إنسان معصوم من الخطأ . وكلما كان الإنسان فقيرا ، كانت مقاومته ضعيفة حتى فى مواجهة أتفه الإغراءات ..

أمسك الإحساس بالضيق بخناق مجدى لكنه قاوم :

— الشرف ليس مرتبطا بالغنى أو الفقر .. وأنا أعرف فتيات من أسر أرستقراطية ثرية سواء فى الجامعة أو النادى يفعلن ما لا يخطر على بال فتاة

بريئة نقية مثل فريدة !!

ــ لا تصدق كل ما تسمعه .. إنها إشاعات الحقد يبثها الحاقدون على سبيل الانتقام منا وتشويه صورتنا .. ولو ملكوا ما نملك لما أثاروا مثل هذه الأكاذيب الحقيرة !!

ــ بصرف النظر عن موضوع الأخلاق .. فإننى أريد زوجة قوية مثل فريدة كى أعتمد عليها .. فقد عشت عمرى كله معتمدا عليك .. ولا يعقل أن أجد نفسى فجأة بلا إنسان أعتمد عليه ..

أشعلت نظيرة هانم سيجارة من العلبة الصدفية أمامها وأخذت نفسا عميقا وتساءلت :

ــ وأين راحت أمك ؟!

ــ منحك الله يا ماما طول العمر .. لكننى من الحساسية بحيث لا أسمح لنفسى أن أثقل عليك أكثر من هذا وأنت فى هذه السن المتقدمة ..

ــ وهل تعتقد أن الزوجة الغنية المترفة لا يمكن الاعتماد عليها ؟!

ــ إن النماذج التى رأيتها فى أسرتنا أو فى النادى .. لا تهتم إلا بنفسها !!

لاحظت نظيرة هانم أن ابنها لم يدخن سيجارة كعادته كلما وجدها تدخن . ففتحت العلبة وقدمتها إليه متسائلة :

ــ لماذا لا تدخن ؟!

ــ لقد وعدت فريدة بأن أتوقف عن التدخين !

ــ لهذه الدرجة !! تطيع تعليماتها وأوامرها .. يبدو أنك أدمنتها بدلا من التدخين ..

ــ إنها لا تأمرنى بشىء .. وإنما تخاف على صحتى .. وبالفعل منذ أن امتنعت عن التدخين ونوبات السعال التى كانت تنتابنى ليلا خفت إلى حد

كبير . وأصبح تنفسى أكثر راحة ..

ــ يبدو أنها تعرف كل شىء .. حتى الطب !! لكنك لم تقل لى رأيك حتى الآن فى اقتراحى وقد بدأت أشعر بآلام الروماتزم .

ــ لقد قلت لك يا ماما إن رطوبة الجو مؤذية لك .. ومن الأفضل أن تدخلى لتنامى !!

سعلت الأم بشدة فأطفأت السيجارة وهو تصر :

ــ لن أدخل قبل أن تقول لى رأيك فى اقتراحى ؟!

ــ أى اقتراح ؟!

ــ سرعان ما نسيت .. كل ما أطلبه منك أن تعرف السبب الحقيقى وراء فسخ فريدة لخطبتها من ابن عمها ضابط الآداب .

أجاب مجدى فى مزيج من الضيق والسأم :

ــ لقد قلت لك يا ماما أكثر من مرة إن فسخ خطبتها كان نتيجة طبيعية لخشونة ابن عمها وفظاظته وعدم ثقته فى أية امرأة على وجه الأرض ..

نظرت إليه أمه فى تحفز ثم انقضت عليه بسؤالها :

ــ عدم ثقته فى أية امرأة على وجه الأرض أم عدم ثقته فيها على وجه الخصوص ؟!

لم يرد مجدى ونظر عبر الشرفة تجاه كوبرى الجيزة من ناحية المنيل فوجد المرور لا يزال متوقفا بسبب حادث التصادم بين اللورى والأتوبيس وقد جاءت عربات إسعاف لنقل المصابين فى حين تجمهر عدد غفير من المارة .

سعدت نظيرة هانم بتجاهل ابنها الرد عليها واعتبرته بداية لاستسلامه لمنطقها القوى . تساءلت :

ــ لماذ لا ترد ؟! أعتقد أن ابن عمها ضابط الشرطة المحنك لم يكن من

السذاجة بحيث يفسخ خطبته بهذه البساطة ؟!

قال مجدى مستسلما تماما على سبيل التخلص من هذا الاستجواب :

— وماذا تريدين أن أفعل بالضبط ؟!

— تقوم باستجوابها إلى أن تقر بالسبب الحقيقى !! فالزواج ليس لعبة !! ومن الضرورى أن تعرف ماضى الفتاة التى ستكون أم أطفالك !! إنها مسألة مستقبل ومصير !!

أضاف مجدى وكأنه يريد إنهاء الاستجواب بالاستسلام الكامل :

— وماذا أيضا ؟! سأنفذ كل ما تطلبين !

قالت نظيرة هانم والرضا يقطر من كلماتها :

— هذا هو ابنى حبيبى .. كنت أريد أن أسألك سؤالا آخر .. لكننى خجلت من نفسى !!

— ليس بيننا خجل يا ماما !! تفضلى .. أنا تحت أمرك !!

نظرت أمه تجاه كوبرى الجيزة بعيدا عن بريق عينيه فى ظلام الشرفة وسألته :

— هل سمحت فريدة لك بأن تقبلها ؟!

تحول الضيق والملل عند مجدى إلى دهشة وذهول :

— لماذ هذا السؤال ؟!

ابتسمت نظيرة هانم فى شبه حرج :

— لهذا قلت لك إن الخجل منعنى مرارا من إلقاء مثل هذا السؤال ؟!

تحولت الدهشة والذهول إلى حب استطلاع جامح :

— إن ما يحدث بينى وبين فريدة شيء طبيعى للغاية .. إنه ما يحدث بين كل حبيبين أو خطيبين !!

— إذا .. ما يحدث بينك وبينها قد حدث من قبل بينها وبين ابن عمها ..

— شىء طبيعى !! ألم يكن خطيبها ؟!

— فعلا خطيبها !! لكن ما الذى يضمن لك أن علاقتهما توقفت عند حد القبل ؟!

نهض مجدى من كرسيه الهزاز كمن لدغته عقرب . أمسك بسور الشرفة كغريق يتشبث بلوح خشبى وسط محيط متلاطم .. سأل أمه بصوت مبحوح :

— هل تريدين أن أذهب بها إلى الطبيب للكشف عليها ؟!

— وهل تظن أن أمك من السخافة بحيث تطلب منك القيام بعمل سخيف مثل هذا ؟!

سألها مجدى وكأنه طفل على وشك البكاء :

— بالله عليك .. ماذا تريدين أن أفعل بالضبط ؟!

نهضت أمه وأمسكت به سعيدة بجسمه المرتعش المشدود وأجلسته مرة أخرى على كرسيه الهزاز وعادت إلى مكانها وهى تقول :

— إن مستقبلك هو شغلى الشاغل !! وأنا على استعداد أن أفعل أى شىء من أجلك .. فأنت وحيدى وكل ما لى فى هذه الدنيا .. ولذلك كل ما أطلبه منك أن تختبرها بنفسك !! وأنت قادر على القيام بهذه المهمة خير قيام !!

تساءل مجدى بصوت مختنق :

— كيف ؟! لا أكاد أفهم شيئا ؟!

— الأمر فى منتهى البساطة ! اطلب منها أن تصل معها إلى نهاية المطاف . فإذا أصرت على الرفض فقد ثبتت براءتها ، أما إذا قبلت ورضخت فهذا أكبر دليل على أنها تعودت من قبل مثل هذا القبول والرضوخ سواء لخطيبها

أو لغيره !!

نهض مجدى مرة أخرى وتشبث بالسور قائلا :

— لا .. مستحيل أن أفعل هذا .. فأنا لست بهذه الخسة والنذالة !

نهضت نظيرة هانم بمنتهى العصبية والتشدد وقالت وهى فى طريقها إلى غرفة نومها :

— أتتهم أمك يا مجدى على آخر الزمن بالخسة والنذالة ؟! هذا جزاء خوفى على مستقبلك !! ومع ذلك فإننى ألتمس لك العذر .. فأنت لا تعرف قلب الأم ..

هرعت إلى غرفة نومها وفى أعقابها مجدى لا يدرى ماذا يفعل أو ماذا يقول ؟! استرخت على فراشها فى حين وقف ابنها أمامها يقتله الإحساس بالذنب :

— لا تؤاخذينى يا ماما .. إن أعصابى مرهقة ولم أعرف ماذا أفعل أو أقول !! أرجوك .. لا تغضبى منى !!

أفسحت عند قدميها مكانا وأشارت إليه بالجلوس فجلس كالتلميذ المذنب المعاقب . قالت :

— يا حبيبى .. إننى لا أغضب منك مهما فعلت أو قلت .. على كل حال .. افعل ما يتراءى لك إذا كانت نصائحى لا تعجبك !!

قال وهو ينظر إلى السجادة الفاخرة تحت قدميه :

— إننى لا أستطيع العيش بدون نصائحك ..

فوجئ بضحكة خفيفة . رفع عينيه فوجدها تنظر إليه باسمة وتقول :

— يبدو أنك لا تحب الإثارة ؟! ألست تحب فريدة ؟!

— إننى أعبدها !

— أليست جميلة وفاتنة فى نظرك ؟!

— ليست هناك على وجه هذه الأرض من هى أجمل منها !!

— وأنت ؟! ألست شابا وسيما ومن الطبيعى أن ترغب فيك فتاة جميلة فاتنة مثلها ؟!

ابتسم مجدى ونظر مرة أخرى إلى قدميه خجلا وقال :

— ولهذا السبب أحببتها وخطبتها !

— إذا .. ما المشكلة ؟!

لم يفهم مجدى مغزى السؤال لكنه قال بعفوية بالغة :

— إننى لا أرى أية مشكلة على الإطلاق !

— ولا .. أنا !!

تعجب مجدى للرد الغامض لكنه سعد به على أية حال .. وزادت سعادته عندما أضافت قولها :

— ولكى أثبت لك أننى لست منحازة ضدها كما قد يتبادر لك .. فإننى أحب أن أستقبلها وأرحب بها هنا .

لم يدر مجدى سر التحول المفاجئ فى كلام أمه ، لكنه علله بأنها قد تكون أدركت عدم منطقية تحيزها ضدها نتيجة للحوار الساخن الملتهب الذى صمد فيه لأول مرة لدرجة أنه اتهمها بالخسة والنذالة . نهض مجدى وقبل جبهتها قائلا :

— ستسعد فريدة للغاية بترحيبك بها .. تصبحين على خير.

خرج مجدى واتجه إلى باب الشرفة ليغلقه فرأى رافعة ضخمة أتت لتعيد اللورى المقلوب إلى وضعه الصحيح عند نهاية كوبرى الجيزة من ناحية المنيل ولا يزال المرور متوقفا فى المنطقة . أغلق الباب وذهب إلى غرفة نومه حيث ارتدى البيجاما

ودس نفسه تحت الغطاء . وبرغم الوقت المتأخر لم يزر النوم جفونه . سبحت عيناه فى ظلام الغرفة حيث طفت كلمات أمه وتردد صداها فى أذنيه : عدم ثقته فى أية امرأة على وجه الأرض أم عدم ثقته فيها على وجه الخصوص ؟ — لم يكن من السذاجة بحيث يفسخ خطبته بهذه البساطة ! — من الضرورى أن تعرف ماضى الفتاة التى ستكون أم أطفالك — إنها مسألة مستقبل ومصير — ما الذى يضمن لك أن علاقتهما توقفت عند حد القبل — كل ما أطلبه منك أن تختبرها بنفسك — أليست جميلة وفاتنة فى نظرك ؟! — من الطبيعى أن ترغب فيك فتاة جميلة فاتنة مثلها !! — إننى أحب أن أستقبلها وأرحب بها هنا !!

أسعده الخاطر الأخير فى مرحلة ما بين اليقظة والمنام لكن الخواطر السابقة جعلته يغوص بين أمواج الحيرة والإحباط ، تلك الأمواج التى طغت على أحلامه والتى رآها تغرق فريدة بين طياتها . فلم يكن الاثنان يجيدان السباحة .

٥

وجد مجدى فى كلام أمه من السخف ما أقنعه بعدم التفكير فيه ، مجرد التفكير . عاد إلى لقاء فريدة بنفس الحب والحماس لكن شيئا داخله قال له إنه لن يخسر شيئا إذا تجاذب أطراف الحديث عن حياة فريدة قبل أن تعرفه على سبيل الثرثرة ، مجرد الثرثرة . فإذا كان كلامهما عن المستقبل دائما . فلا ضرر من الحديث عن الماضى . بل إن الحديث عن الماضى ضرروة ملحة لإقامة المستقبل على أسس راسخة كما قرأ من قبل فى كتاب فى علم النفس . وطالما أنه يثق فى فريدة ، وطالما أنه لا يستطيع أن يحاسبها إلا منذ اليوم الذى

ارتبطت فيه به برباط الحب ، فلا ضير من أن يصبح الماضى موضوعا للحديث الطريف ، وخاصة أن ثقافة فريدة العميقة وقراءاتها الواسعة كثيرا ما تجعله يشعر بضآلته عندما تناقش قضايا المجتمع والفكر والفن ، ولذلك فهو يلزم الصمت ويتحول إلى تلميذ غير منصت وإن كان يجارى الموقف .
أما عند الحديث عن الأمور العائلية فإنه يبز فريدة التى يبدو أنها غير فخورة كثيرا بعائلتها بدليل أنها لا تتحدث باستمرار عنها ، أما هو فحديثه المفضل : أمه وعائلته . فهو لا يميل إلى القراءة ولا يهتم بما يسمونه بالأمور الثقافية ، ولا تزيد الكتب التى قرأها خارج مناهج الدراسة على كتابين أو ثلاثة .

لكن بمجرد حلول شهر ديسمبر ببرده الثقيل اكتشف مجدى مدى فخر فريدة بأسرتها . فقد أصبح اللقاء فى الأماكن المفتوحة للهواء الطلق مستحيلا ، ورفضت فريدة التردد على الأماكن المغلقة حيث زحام الموائد ودخان السجائر وسخونة التكييف ثم الخروج إلى الشارع حيث البرد اللافح ، وفضلت اللقاء فى بيتها مما أصاب مجدى بإحباط شديد لأن الأسرة كانت متواجدة باستمرار مما ضيع فرص الخلوة والقبل والأحضان ، كذلك فقد عجز عن مناقشتها فى علاقاتها السابقة وخاصة علاقتها بابن عمها .

ولم يستطع أن يكتم ضيقه من الوضع الجديد عن أمه فأشارت عليه بالامتناع عن زيارتها فى بيتها مدة كافية بأن تجعلها تشعر بقيمته وتضعها تحت أمره . وعندما يعود عليه أن يجبرها على الخروج معه وإذا لم ترضخ فلتذهب إلى الجحيم هى وأسرتها . لكن مجدى لم يستطع الابتعاد عنها أكثر من أسبوع وخاصة أنها لم تتصل به تليفونيا من الشركة للاستفسار عن سبب غيابه .. قرر حسم الموقف وإعادة الأمور إلى مجاريها لتتفق مع هواه .

ركب عربته البيضاء الفاخرة وانطلق بها إلى الترعة البولاقية وأمام

المنزل أعلن البوق الموسيقى وصوله أكثر من مرة ، فقد قرر ألا يصعد حتى تنزل فريدة راضخة لإرادته . لكنه فوجئ بأمينة تقول من الشرفة بصوت عال مسموع برغم ضجيج الشارع وهدير السيارات ونداء الباعة :

— اتفضل يا أستاذ مجدى .. اتفضل ..

هبط مجدى من عربته ووقف صائحا دون أن يغلق الباب :

— أنا فى انتظار فريدة .. لن أصعد ..

— فريدة عندها إنفلوانزا .. وحرارتها مرتفعة ولن تستطيع الخروج ..

شعر مجدى بموجة خجل تكاد تغرقه فقال دون أن يفكر :

— طالع حالا ..

أغلق العربة بعد أن صعد بها فوق الرصيف وقفز السلم صاعدا كل درجتين فى خطوة واحدة . كانت أمينة بالباب فى انتظاره شدت على يده فى حرارة سعيدة ثم وجهته بحركة من يدها إلى غرفة فريدة التى سبقته إليها حيث وجد العائلة مجتمعة حول فراشها . جلست الأم بجوارها مرتدية فستانا من الكستور الأصفر ومنديلا فوق رأسها ، وإلى يسار الفراش جلس نادر على مقعد خيزران ، وعند المؤخرة جلس الأب مرتديا بيجاما من الكستور المقلم وعلى رأسه طاقيته المعتادة ، أما أمينة فظلت واقفة سعيدة بمقدم مجدى الذى ألقى بالتحية على الجميع ، وتوجه مباشرة إلى فريدة المسترخية فى فراشها تحت لحاف وبطانية وقد ارتدت قميصا من الصوف الأحمر . زادت سمرتها مع ذبولها الذى أحاط عينيها بهالات سوداء ، أما أنفها فكانت حمرته دليلا على الزكام أو الرشح . سرعان ما تركت الأم مكانها على الفراش لمجدى الذى جلس دون أن يشكرها ، فى حين جلست هى على مقعد فى ركن قصى دون أن ترفع عينيها عنه . قال مجدى لفريدة :

ـــ سلامتك ألف سلامة . متى جاءت إليك الإنفلوانزا ؟!

أجابت فريدة وابتسامة عتاب ترتسم على وجهها :

ـــ جاءت منذ خمسة أيام .. ولو كنت تسأل عنى وتمر على كعادتك لما سألت هذا السؤال ؟! ما سر غيبتك الطويلة ؟!

تلعثم مجدى وهو يقول بمزيد من الحيرة والتردد :

ـــ أنت تعلمين أن دور الإنفلوانزا هذا الشتاء لم يترك أحدا دون أن يزوره .. وكنت واحدا من الذين استضافوه لمدة ستة أيام ..

نمت نظرات الأم عن عدم تصديقها لكلمة واحدة مما قاله لكن فريدة استمرت بنفس تلقائيتها المحببة :

ـــ سلامتك ألف سلامة .. كان من المفروض أن تتصل بالشركة وتقول لنادر ما يجعلنا نطمئن عليك ..

ـــ اتصلت بالفعل .. وكان الرقم مشغولاً باستمرار !!

عندئذ تدخل نادر فى الحوار بعد أن نظر فى ساعته الذهبية :

ـــ هل اتصلت برقمى المباشر يا أستاذ مجدى ؟!

أسقط فى يد مجدى وقد ازداد تلعثمه :

ـــ كنت أتصل بالرقم الذى أخذته من فريدة !!

ابتسم نادر قائلا لمجدى وهو ينظر إلى فريدة :

ـــ إنه الرقم الذى اتصلت به مرارا من قبل .. وكنت أنا الذى يرد عليك ويحضر لك فريدة !!

ظهرت بوادر عدم الاقتناع فى نبرة فريدة لكنها أخفتها بقولها :

ـــ إنها غلطة نادر الذى احتفظ بالتليفون مشغولا لمدة أسبوع !!

ضحك نادر لمداعبة فريدة بحيث أظهر لها مغزى لم تقصده هى ببراءتها

وعفويتها ، مما ضايق مجدى الذى شعر بوجود ارتياح متبادل بين فريدة ونادر ، فتضاعف توتره وحيرته إلى أن وجد نفسه يقول دون أن يدرى لفريدة :

— لو كان عندكم تليفون لما وقعت فى هذه المشكلة ؟!

لم تلزم الست بهية الصمت هذه المرة :

— كان من الممكن أن يكون مشغولا هو الآخر لسؤال الأحباء والأصدقاء عن فافى !!

التفت مجدى إلى الست بهية حائرا بعينين زائغتين . لم يدر ماذا يقول إلى أن أنقذه الأستاذ صبرى برده على زوجته :

— الحمد لله أنه لا يوجد لدينا تليفون .. وإلا كنت قد استوليت عليه طول النهار لحساب مكالماتك مع الست نعيمة والست تفيدة .. ثم أصل من عملى ميتا من الجوع فأجد الخط مشغولا دون طعام معد .. وفى النهاية لن يوجد من يدفع المكالمات الزائدة سواى .. ليس هناك أفضل وأرخص من مكالمات السلم والشباك والبلكونة !!

ضحك الجميع لدعابات الأستاذ صبرى الساخرة فى حين لم تظهر الست بهية تجاوبها بالقدر نفسه . وبمجرد انتهاء الضحك قالت فريدة لمجدى بعد أن أحست بحرجه البالغ :

— على العموم .. سأعطيك تليفون منزل نادر .. إنه يسكن فى البيت المواجه لنا .. ومن السهل إبلاغه بأية رسالة !!

لم يتوان نادر لحظة عن الاستجابة لاقتراح فريدة مما ضاعف من عدم ارتياح مجدى . أخرج نادر من جيب حلته الرمادية الأنيقة بطاقة فاخرة منحها لمجدى قائلا وهو يشير إلى المكتوب فيها :

ـــ ها هى أرقام تليفوناتى .. الرقم الأول هو تليفون مكتبى المباشر والثانى والثالث عمومى الشركة .. أما الذى على اليمين فهو تليفون منزلى ..

وضع مجدى البطاقة فى جيبه شاكرا ، فى حين نهض نادر مستأذنا وهو يشد على يد فريدة قائلا دون أن يتركها :

ـــ إن إرهاقك فى العمل أضاع مناعتك ضد الإنفلوانزا .. ولن أسمح لك مرة أخرى بهذا الإجهاد المستمر ..

ضحكت فريدة وقالت :

ـــ لأول مرة أرى رئيسا فى العمل يحرض موظفيه على البلطجة ؟!

استمر نادر فى حديثه الذى أخذ صبغة رجل الأعمال :

ـــ كان من الممكن أن تنجزى ما قمت به فى ليالى السهر ، بطريقة مريحة للغاية طوال الأسبوع الذى لزمت فيه الفراش . فالمحصلة النهائية واحدة ولكن بدون إنفلوانزا وبدون إجازة مرضية .

استأنفت فريدة دعابتها :

ـــ إذا .. لم تكن قلقا على بقدر ما كنت قلقا على الإجازة التى اقتطعتها من وقت الشركة ..

لم يسكت نادر الذى استمرأ الدعابة :

ـــ رئيس العمل الذى يخاف على شركته لابد أن يخاف بالتالى على موظفيه .. فبدونهم لن يستطيع أن يقوم هو نفسه بأى عمل !!

تضايق مجدى لهذه الدعابات المتبادلة لدرجة أنه تذكر كلام أمه عن فريدة وخاصة أن نادرا لم يترك يد فريدة طوال هذه المداعبات . فلم يملك سوى أن يقول فى عصبية واضحة :

ـــ كانت فريدة تقول لى إن الإنفلوانزا تصيب الذين يترددون على

الأماكن المغلقة فى الشتاء حيث زحام الموائد ودخان السجائر وسخونة التكييف ثم الخروج إلى الشارع حيث البرد اللافح .. واتضح الآن أن الإنفوانزا تصيب المرهقين فى عملهم لأنها تفقدهم المناعة اللازمة ..

شعر مجدى أنه انتقم أخيرا لنفسه لكن إحساسه سرعان ما تبدد عندما ضحك نادر وهو يربت على يد فريدة قائلا :

— عندك حق .. ليس لها فى الطيب نصيب ..

ثم نظر إلى الجميع وهو يقول بابتسامة عذبة :

— تصبحون على خير ..

خرج نادر بخطوات رياضية رشيقة وفى أعقابه أمينة وأمها التى وضح إعزازها البالغ لنادر . وسرعان ما عادت الست بهية سائلة مجدى عند باب الغرفة :

— ماذا يحب الأستاذ مجدى أن يشرب ؟!

التفت إليها مجدى وقال :

— لا داعى لتعبك يا طنط ..

قال الأستاذ صبرى معلقا :

— يا حبيبى لا تعب ولا حاجة .. على الأقل أشرب معك !!

تخلص مجدى من الموقف بأسرع ما يمكن :

— شاى .. شاى يا طنط ..

اختفت الست بهية وفى أعقابها نهض الأستاذ صبرى متعللا بمشاهدة الأخبار فى التلفزيون .

وجد مجدى نفسه منفردا بفريدة . لقد تركهما الخبثاء وحدهما لأنهم يعلمون جيدا أنه لن يجرؤ حتى على تقبيلها . لكنه سيخيب ظنهم حتى

لو أصيب فعلا بالإنفلوانزا .

فتحت فريدة علبة شيكولاتة بجوارها على الكومودينو وقدمتها إلى مجدى الذى أخذ منها قطعة تأملها قبل أن يفتحها ويأكلها . قال :

— إنها شيكولاتة مستوردة فاخرة .. من أين اشتريتها ؟!

— لقد أحضر نادر العلبة معه اليوم ..

عاود مجدى إحساسه بالضيق وقال لفريدة وهو يكاد يبتلع الشيكولاتة ابتلاعا :

— لو كنت أعلم لما أتيت بيدى خاوية ..

ربتت فريدة على ركبة مجدى الجالس إلى جوارها والمستند إلى وسادتها بكوعه وقالت :

— يكفى مجيئك أنت .. إنه يساوى الدنيا كلها !

أمسك مجدى بيد فريدة بحنان بالغ لكنها سحبتها منه برقة قائلة :

— لا أريدك أن تصاب بالإنفلوانزا مرة خرى .. أرجوك اجلس بعيدا .. فلا زالت حرارتى مرتفعة نصف درجة بالإضافة إلى الرشح والزكام والسعال ..

وكأن فريدة عندما تذكرت السعال ، جاءها بشدة جعلتها تنتفض . لكن مجدى تعجب . كيف تركت فريدة يدها فى يد نادر طوال مدة مداعبته لها ؟! فى حين تتعلل الآن بخوفها عليه من الإصابة بالإنفلوانزا فتسحب يدها من يده وهو الذى ينوى تقبيلها ؟!

مرة أخرى تذكر مجدى رأى أمه . لكن الشىء الذى أثار دهشته أن هزال فريدة وضعفها فى فراشها أثارا فى نفسه إحساسا غريبا بالقوة والتفوق ، بل إنها بدت مغرية ومثيرة أكثر من أى وقت مضى كانت فيه فى أتم صحة .

رفض الابتعاد عنها بل استعاد يدها مرة أخرى وبإصرار أشد مما اضطرها إلى الاستسلام الذى ضايقه لأنه شعر بعدم ارتياحها الكامل وخاصة أن عينيها كانتا مركزتين على باب الغرفة . فقد كان حضور أمها متوقعا بين لحظة وأخرى . وبالفعل شدت يدها منه بسرعة عندما دخلت أمينة بدلا من أمها وهى تحمل صينية عليها الشاى وبعض قطع الكيك المنزلية . وضعت الصينية على ترابيزة صغيرة أمامه وهى تغمز بعينيها اليمنى لأختها قائلة :

ـــ خذا راحتكما .. لقد صعدت ماما إلى الدور الثالث لزيارة طنط تفيدة .. فى حين غلب النعاس بابا أمام التلفزيون أما أنا فسأذاكر دروسى فى غرفة المكتب حتى مطلع الفجر ..

ضحكت أمينة فى خفة ورشاقة ثم اختفت فى لمح البصر . شاركها مجدى الضحك فى سعادة واضحة لكنه سرعان ما تذكر فاروق ابن عم فريدة وخطيبها السابق !! هل كانت أمينة تحرص دائما على أن يخلو لهما الجو هكذا ؟! تذكر رأى أمه وهو يرتشف أول رشفة من الشاى فى حين قالت فريدة :

ـــ جرب كيك مونى .. لقد أقر الجميع بأستاذيتها فى صنعه !!

ـــ ليست لى شهية .. وعندما أجوع سآكل بنفسى ..

ـــ على راحتك .. فأنت لست ضيفا ..

انتهى مجدى من تناول نصف الفنجان ثم وضعه أمامه وعاد إلى الإمساك بيد فريدة وتقبيلها . لم تحاول أن تسحبها هذه المرة حتى لا يتضايق مرة أخرى ، لكنه لم يقنع بيدها وقبلها قبلة سريعة فى وجنتها التى شعر بسخونتها ، فنظرت إليه نظرة مشحونة بالعتاب :

ـــ يبدو أنك مصر على الإصابة مرة أخرى الإنفلوانزا !!؟

قال لها وهو يمسح وجنتها بشفتيه مغمض العينين :

— حتى أفوز بزيارتك لى فى فراشى ..

ضربته على يده بدلال واضح قائلة :

— أخاف أن يدخل علينا أحد ؟!

— لا تخافى .. فمونى تقوم بواجب الحراسة الليلية .. كما أن فى إمكانى أن أسمع دبيب النملة عندما تقترب من الغرفة ..

لكن فريدة أصرت أن تبتعد بوجهها عنه فى الوقت الذى بلغ فيه إحساسه بالإثارة قمة من القمم التى يعرفها جيدا ، والتى يفقد فيها تماما قدرته على التحكم فى نفسه ، لولا صمام الأمن الذى تلعبه فريدة . لم يدر إلا وهو يدس يده تحت الغطاء ضاغطا على فخذها الساخن مما جعلها تنتفض بعيدا فى الفراش وهى تشد يده فى عصبية قائلة :

— هل جننت يا مجدى .. ما هذا الذى تريد أن تفعله ؟!

تراجع مجدى إلى الخلف بعد أن أفاق لنفسه ، لكنه لم يرد وظل صامتا ناظرا إلى السقف لعدة لحظات مشحونة بالأحاسيس المتناقضة الصاخبة . فجأة برزت صورة فاروق ابن عمها أمام مخيلته فسألها دون أن يدرى :

— هل لا يزال فاروق يأتى لزيارتكم ؟!

— ماذا تقول ؟! من فاروق هذا ؟!

أجاب فى شبه استنكار ممزوج بالدهشة :

— كأنك لا تعرفين ؟!! .. فاروق ابن عمك وخطيبك السابق طبعا !!!

تحول ظن فريدة إلى ما يشبه التأكد من أنه يهذى :

— وما الذى ذكرك به الآن ؟! إنه سؤال لا معنى له ؟!

أجاب مثل طفل يعاود الإلحاح فى طلب شىء أعلن عن رغبته فيه من

قبل :

— لم أطلب رأيك فى السؤال وإنما طلبت الإجابة عليه !!

— هل هو استجواب ؟!

— من حقى أن أسألك أى سؤال .. ومن حقى أيضا أن أعرف الإجابة ..

— إن سلوكك اليوم غير طبيعى يا مجدى .. ما الذى جرى ؟!

— لا تحاولى إيهامى بأنى غير طبيعى !! ولا تحاولى أيضا التهرب من الإجابة على السؤال !!

حاولت فريدة أن تجاريه حتى لا يتمادى فى عناده الطفولى المفاجىء ، فابتسمت قائلة :

— سأجيبك لكن بشرط أن تقولى لى السبب فى السؤال !!

— ليس هناك سبب .. وإنما من حقى أن أقول لك كل ما يخطر على بالى كما اتفقنا من قبل ..

ارتاحت فريدة بعض الشىء لهذا المنطق الذى ابتعد بمجدى — فى نظرها — عن هذيانه المفاجىء وقالت :

— لم يحدث أن زارنا على الإطلاق بعد فسخ الخطبة !!

— هل أستمر فى أن أقول لك كل ما يخطر على بالى ؟!

قالت فريدة وقد بدا الضيق والسأم يتسللان إلى كلماتها :

— يبدو أنها ليلة الغرائب .. تفضل !!

— إلى أى حد بلغت معه فى علاقتكما ؟!

ابتعدت عنه أكثر وقالت بنظرات متحفزة :

— كان من أسباب إعجابى بك .. أنك لم تسلنى قط عن فاروق .. فلم تكن تهتم إلا بمستقبلنا سويا .. ولذلك فأنا مذهولة من هذه النغمة الجديدة

والمفاجئة !!

قال وكأنه تحت تأثير تنويم مغناطيسى :

ـــ من حقى أن أعرف كل شيء عن ماضى من ستكون أم أطفالى !!

لم تجد فريدة بدا من الاستمرار فى خوض بحور التفاهة :

ـــ تتكلم كما لو كنت امرأة لها ماض .. لكننى سأريحك وسأجيب على كل أسئلتك بمنتهى الصراحة حتى تعود إلى طبيعتك السمحة الطيبة .. ولذلك أقول لك إن علاقتى بفاروق كانت علاقة عادية بين أى خطيبين ..

ـــ هل بلغت معه مثلما بلغت معى ؟!

ـــ كنت أكثر تحفظا معه لأن ثقتى فيه كانت أقل !

ـــ كم مرة تبادلتما فيها القبل والأحضان ؟!

سايرته فريدة وهى تكاد تنفجر من الداخل :

ـــ لا أتذكر .. لكنها مرات قليلة جدا ..

ـــ وتوقفت علاقتكما عند هذا الحد ؟!

ـــ طبعا ..

ـــ وماذا عن نادر ؟!

انتفضت فريدة جالسة فى فراشها وهى تقول فى صراخ هامس مكتوم :

ـــ إحساسى يؤكد لى أن هذه الليلة لن تمر على خير .. لكننى سأجيبك أيضا .. نادر جارنا منذ كنا أطفالا .. وهو نعم الأخ الذى عوضنا تماما عن عدم وجود أخ لنا .. هيه !! هل لا يزال التحقيق مستمرا ؟!

ضحك مجدى مما ضاعف من ذهول فريدة وقال :

ـــ أرجو ألا تكونى قد ظننت أننى رجعى ومتخلف .. لقد أردت فقط أن أستفزك كرد على استفزازك لى عندما ألقيت بذراعى بعيدا عن الغطاء ..

فأنت لا تعلمين أننى من أنصار ممارسة الجنس قبل الزواج وخاصة فى فترة الخطبة حتى يصل الخطيبان إلى أفضل فرص التفاهم عندما يبدءان الحياة الزوجية بالفعل .

لم تقتنع فريدة كثيرا بمنطقه لكن إحساسها بانقشاع العاصفة جعلها تسترخى بعض الشىء . فقدت شهيتها تماما لفتح الحوار من جديد ، لكنه استأنف :

— هيه !! ماذا قلت فى ممارسة الجنس قبل الزواج ؟!

— وماذا يحدث للفتاة لو تخلى عنها خطيبها بعد ذلك ؟!

— لن يحدث طالما أن الثقة عميقة ومتبادلة بين الطرفين !!

— وهل الجنس كل شىء فى الحياة الزوجية ؟!

— إنه أهم شىء .. وإذا كان مضطربا فلابد أن تكون الحياة الزوجية مضطربة .. ومن هنا كانت ضرورة فترة الخطبة لوضع النقط على الحروف !!

— وأين قرأت مثل هذا الكلام ؟!

— قرأته فى كتاب لعالم نفس أمريكى لا أتذكر اسمه !

— هناك فروق شاسعة بين المصريين والأمريكيين !!

— لكننا كلنا فى النهاية بشر !

— ما هذه الأفكار الطليعية ؟! أنسيت الفوارق الحضارية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ؟! وأنت الذى نشأت فى أسرة تقدس الفوارق الطبقية داخل المجتمع الواحد ؟!

قال مجدى وكأنه يتكلم عن حالة الطقس اليوم :

— كلها فوارق مصطنعة !!

عاد الذهول ليستولى على فريدة :

ـــ أمرك عجيب هذه الليلة !! يبدو أن أصلك التركى أو الشركسى يدفعك أحيانا إلى العناد سواء فى الرأى أو فى نقيضه .. وهى حالات يتعذر على فيها فهمك !!

ـــ الرجوع إلى الحق فضيلة .. وليس عنادا فى الرأى أو فى نقيضه .. ولذلك فإن ماما هى الأخرى غيرت من فكرتها تماما عنك .. وهى فى أشد الاشتياق لرؤيتك ..

ـــ ألم أقل لك إنها ليلة العجائب ؟!

ـــ سنقوم بزيارتها سويا وسترين بنفسك ؟!

ـــ سبحان مغير الأحوال !!

لكنها استدركت غير مصدقة :

ـــ إياك أن تحاول إرضائى بمجرد الكلام المعسول .. إننى أفضل أكثر الحقائق مرارة على أحلى الأوهام العذبة !!

ـــ سترين بنفسك !

ـــ وما السر فى كل هذه التحولات الخطيرة ؟!

ـــ الرجوع إلى الحق فضيلة كما قلت لك !!

ـــ إننى أكاد أحسد نفسى !!

أمسك مجدى بيد فريدة وقبلها فى حنان ، ثم قبل وجنتها قائلا :

ـــ إنك تستحقين كل خير .. فحياتى بدونك لا طعم لها !!

ربتت على يده فى ملامسة رقيقة :

ـــ إننى أعشق براءتك ونقاءك .. يكفى أنك لا تعرف الخبث الذى يتسلح به معظم شبان هذه الأيام ..

اقتربت منه فريدة لتقدم إليه طبق الكيك لكنه انتهز الفرصة واختلس قبلة من شفتيها فتراجعت مستنكرة :

ـــ لا أريد أن تصاب بالإنفلوانزا مرة أخرى !! أحب أن أراك دائما عاقلا متزنا !!

ـــ كلما أراك لا أستطيع مقاومة الجنون الذى يجتاحنى ..

ـــ يستحسن أن تستأذن الآن حتى لا تفعل شيئا يعكر علينا الأنباء السعيدة التى أتيت بها الليلة !!

ـــ هل تطردينني بهذه البساطة ؟!

ـــ أنت تدرك جيدا كم أحب أن تبقى معى الليل بطوله .. لكننى أسمع الآن مفتاح ماما فى باب الشقة !!

ـــ أتخافين منها ؟!

ـــ المسألة ليست مسألة خوف .. لكننا لن نكون على حريتنا !!

فتح باب الشقة ثم أغلق . وسمعت صوت أقدام تجاه الغرفة ابتعد مجدى عن فريدة وسرعان ما كانت الست بهية بالباب . قالت :

ـــ مساء الخير ..

رد الاثنان فى تلعثم خجل ثم سألت الأم :

ـــ كيف حالك يا فافى ؟!

ـــ الحمد لله .. أحسن بكثير .

نهض مجدى وهو ينظر إلى ساعته . شد على يد فريدة مستأذنا فى حين اختفت الأم . وفى اللحظة نفسها ألصق مجدى شفتيه على شفتيها لكنها دفعته بعنف وقد ركزت عينيها على الباب . ابتسم مجدى ابتسامة من رغب شيئا وحصل عليه وقال :

— تصبحين على خير ..

ردت وقد أخذ منها الحرج كل مأخذ :

— وأنت من أهله .

خرج مجدى إلى الصالة فوجد الأب غارقا فى نعاسه أمام التلفزيون ففتح الباب وفى لحظات كان أمام عربته فوق الرصيف فى حين صرخ بائع الفطير الواقف بعربته على الناصية فى طفلين كانا يقفزان فوق مقدمة السيارة الفارهة . وسرعان ما كان الطفلان ملتصقين فى خوف بأبيهما . لم يستطع مجدى أن يتخلص من إحساسه المفاجئ الجارف بالضيق عندما رأى أقدام الطفلين وأيديهما وقد لوثت اللون الأبيض اللامع للسيارة . ركب سيارته وانطلق بها وقد قرر أن يحكى لأمه كل تفاصيل الليلة حتى لو أيقظها من النوم .

٦

تردد مجدى يوميا على فريدة طوال فترة النقاهة مغرقا أسرتها بالهدايا التى كانت أمينة أكثرهم سعادة بها . كانت زيارات طويلة تمتد إلى منتصف الليل ، ولم يضايقه فيها سوى نظرات الست بهية وسؤال نادر المنتظم عن فريدة . وعندما سمح الطبيب بخروج فريدة أصر مجدى على أن تقوم بزيارة أمه ولمشاهدة العش السعيد الذى أوشك مهندس الديكور على الانتهاء منه .

كانت فريدة مترددة وخائفة من نتائج هذه الزيارة ، وخاصة أنه لم يحدث بينها وبين أمه أى حوار حقيقى من قبل ، لكنها رضخت تحت إلحاحه . وهى كثيرا ما كانت ترضخ لإلحاحه الطفولى حتى لا يسىء الظن بها ، وخاصة

فى تلك الليلة ، ليلة رأس السنة !

وصلت السيارة إلى العمارة التى لم ترها منذ حفل الخطبة . ركبا المصعد الذى توقف أمام الطابق العاشر . أخرج مجدى المفتاح وسرعان ما كان داخل الشقة الفاخرة التى بهرت فريدة بأثاثها الثمين وديكوراتها الجميلة . ومع ذلك شعرت بالفخر العميق بشقتها المتواضعة فى الترعة البولاقية . كانت تقول لنفسها دائما إن الإنسان جوهر الوجود ومعناه وفيما عداه فمظاهر تستمد معناها من وجوده .

قادها مجدى إلى صالون عريق مذهب تتربع مقاعده الفرنسية الطراز على سجادة تبريزى تغوص فيها الأحذية . جلست فريدة واستأذن مجدى لإخبار أمه بمجيئها . كانت الهواجس المتناقضة والخواطر المثيرة تجتاحها فأحست ببرودة ديسمبر تسرى فى أطرافها برغم أن الشقة مكيفة مركزيا والدفء يشع من كل أركانها.كانت الليلة ليلة رأس السنة ، وقد اقترح مجدى عليها قضاءها فى أحد الأندية الليلية ، وكان على وشك أن يحجز مقعدين لولا أنها أصرت على رفضها بدء العام الجديد بين قىء السكارى وهذيان المخمورين . وهى لا تذكر فى حياتها أنها قضت ليلة رأس السنة من قبل خارج بيتها سوى مرة واحدة دعاها فيها نادر هى وأختها إلى حفل أقامته الجالية اليونانية فى القاهرة حيث قدمت مأكولاتهم ورقصاتهم الشعبية ، وكان من الطريف أن تشترك أم نادر — وهى التى جاوزت الستين — فى بعض الرقصات على إيقاع الطبلة وتصفيق الأيدى .

دقت الساعة الذهبية الأثرية فى الصالون الثامنة مساء . لم يعد إليها مجدى سواء بمفرده أو مع أمه . شغلت نفسها بتأمل الغرفة الفسيحة فرأت على الجدار الأوسط صورة ضخمة بإطار مذهب لكهل يرتدى الحلة التركية

أو البذلة العثمانلى كما يحلو لنظيرة هانم أن تسميها . كانت النياشين أو المجوهرات ترصع صدره فى حين انتصب شاربه ذات اليمين وذات اليسار مغريا الصقور بالوقوف عليه ، وانطبق الطربوش القصير على رأسه ، مما ذكر فريدة بصورة السلطان عبد الحميد التى رأتها فى كتاب التاريخ عندما كانت فى الثانوية العامة . لابد أن يكون هذا الرجل أحد أجداد مجدى سواء من ناحية الأب أو الأم .

وعلى الجدار خلفها رأت فريدة صورة قديمة أخرى بإطار بنى اللون تضم مجموعة من الحلل والشوارب والطرابيش وسلاسل الساعات الذهبية المعلقة على صديرى كل رجل من رجال الصورة التذكارية . وعلى الكارتونة البيضاء المحيطة بالصورة والتى تحول بياضها إلى صفرة داكنة كتب : سراى رأس التين ١٩٢٨ . وخلف الرجال شمخت أعمدة البهو الذى التقطت به الصورة ، وتماوجت الستائر التى لابد أن تكون من القطيفة الحمراء .

أطبق الصمت على فريدة فداهمتها الهواجس عندما تذكرت أنها فى انتظار لقاء نظيرة هانم . عادت إلى تأمل الغرفة فرأت فى ركنين منها زهريتين ضخمتين من البللور الصافى الذى يكاد يشع بالضياء ، فى حين قبعت على أرض الركن الثالث زهرية ضخمة كحلية اللون موشاة بمناظر يابانية بارزة ، وتكاد تصل فى ارتفاعها إلى قامة الإنسان الواقف بجوارها .

خرجت فريدة من تأملاتها على صوت أقدام قادمة فغاص قلبها حتى قدميها . لكنها كانت أقدام مجدى الذى عاد وعلى وجهه ابتسامة عريضة . جلس على الأريكة وطلب من فريدة الجلوس بجواره لكنها رفضت لإحساسها أنها تستعد لدخول امتحان رهيب . فما كان من مجدى إلا أن جذبها قسرا وأجلسها بجواره وانهال تقبيلا لشفتيها ووجنتيها لكنها دفعته

بعنف وصاحت بصوت هامس :

ــ أتريد أن ترانا أمك على هذا الوضع ؟!

ثم عادت إلى مقعدها فأصلح مجدى من شأن خصلات شعره التى تساقطت على جبهته وعينيه وقال بلا مبالاة :

ــ إنها خرجت لتوها من الحمام .. وهى تأخذ وقتا طويلا فى زينتها وارتداء ملابسها !!

أحست فريدة ببعض الارتياح لابتعاد الامتحان عنها بعض الوقت . لمت شتات تفكيرها وقالت :

ــ أليست لك مهنة فى الدنيا سوى القبل والأحضان ؟!

ــ ألست حبيبك إلى حد الجنون ؟!

ــ الحب أعظم وأسمى وأشمل من مجرد قبل وأحضان !!

ــ لكن القبل والأحضان هى لغة الحب . وأنا لا أحب أن يكون حبنا أخرس !

ــ يبدو أننى أخطأت عندما رفضت دعوتك لقضاء رأس السنة خارج المنزل ؟!

ــ ظنك ليس فى محله !! إنها ليلة القبل والأحضان حتى فى الأماكن العامة ! لكن لماذا تقولين مثل هذا الكلام ؟! يبدو أنك خائفة من لقاء ماما ؟! على كل حال أبشرى .. لقد تهلل وجهها عندما أخبرتها فى الحمام بقدومك السعيد .. وقالت إنها ستخرج حالا لاستقبالك !

دهشت فريدة وسألت مجدى :

ــ وكيف أخبرتها فى الحمام ؟! هل فتحت عليها الباب ؟!

ــ وما الغريب فى هذا ؟! لقد عودتنى منذ أن كنت صبيا أن أدلك لها

ظهرها بالإسفنج والصابون .. فمن الطبيعى ألا تطول ظهرها بذراعيها !!

لم ترد فريدة وإن كانت الدهشة قد استولت عليها ورأت مجدى فى ضوء جديد لم تستطع تحديده بالضبط . ساد الصمت لحظات شعرت فيها برغبات مجدى المكبوتة فى احتضانها وتقبيلها ولأول مرة تبدل حبها إلى شفقة لم تتخلص منها إلا بدخول نظيرة هانم وقد ارتدت فستانا أسود غطى قدميها تماما وأخفت شعرها الأبيض الفضى تحت شال حريرى أبيض التف حول رأسها كالعمامة .

انتفضت فريدة واقفة فى حين لم يعبأ مجدى بدخول أمه . مدت فريدة يدها وهى تنظر إلى السجادة متلعثمة :

— أهلا يا فندم ..

فإذا الذهول يجتاح فريدة عندما شدتها نظيرة هانم واحتوتها بين أحضانها وقبلتها فى وجنتيها :

— أهلا يا حبيبتى .. أهلا يا روحى .. خطوة عزيزة .. ولو أننى أعاتبك لأننى لم أرك منذ الخطبة ..

تمالكت فريدة نفسها برغم عدم تصديقها لما يحدث وقالت كلاما لم تتبين نظيرة هانم مخارج ألفاظه ، لكنها أجلستها على الأريكة بجوارها وهى لا تزال تلف كتفها بذراعها قائلة :

— كيف حال بابا وماما وأختك ؟!

قالت فريدة متلعثمة متمنية ألا تكون فى حلم جميل :

— يقبلون الأيادى ؟!

احتضنتها أكثر وقالت مظهرة اعتزازها الشديد بها :

— كلامك كالسكر !!

— متشكرة ..

— كل عام وأنتم بخير ..

— وسيادتك بالصحة والسلامة ..

— دعك من هذه الألقاب والرسميات .. فأنا طنط نظيرة فقط !!

قالت فريدة فى نفسها « اللهم اجعله خيرا » فى حين استأنفت نظيرة هانم حديثها الحار المتدفق :

— أخبرنى مجدى برفضك قضاء رأس السنة خارج البيت .. وقد أعجبت جدا برأيك .. فالعشاق متعتهم فى عزلتهم بعيدا عن الصخب والضجيج ..

لم تعرف فريدة بماذا تجيب لكن نظيرة هانم وفرت عليها مشقة التفكير عندما استمرت فى حديثها المنهمر كالسيل الذى وجهته إلى ابنها هذه المرة :

— ألست تريد أن تقدم أسرتك وأجدادك إلى خطيبتك ؟!

لم يفهم مجدى ، ونظر إلى أمه فى حيرة فأوضحت مقصدها :

— قم وأحضر بعض ألبومات الصور لتراها فريدة !

أطاع مجدى الأمر وخرج فى حين مدت نظيرة هانم يدها وفتحت علبة شيكولاتة صدفية موسيقية لفريدة التى خجلت أن تأخذ قطعة ، فما كان من نظيرة هانم إلا أن فتحت حقيبة فريدة الصغيرة وقبضت بيدها على عدد من القطع وألقتها فى حقيبتها . ثم سألت فريدة التى استسلمت تماما لما يجرى :

— اسمك لطيف جدا .. هل كان على اسم الملكة فريدة ؟!

— فعلا .. كان أبى معجبا جدا بشخصية الملكة فريدة .. كما قال لى إن الشعب المصرى كله كان يراها مثلا أعلى للأصالة المصرية .. برغم مظاهر أبهة السلطان ..

تضايقت نظيرة هانم من فخر فريدة بما أسمته الأصالة لكنها تظاهرت

بالابتسام والدهشة عندما قالت :

— والعجيب أن اسم ابن عمك وخطيبك السابق كان فاروقا .. لكن كل شيء قسمة ونصيب !!

تضاعف قلق فريدة وحيرتها عندما تحدثت نظيرة هانم عن ابن عمها وخطيبها السابق بهذه البساطة . وهو ما لم تتوقعه على الإطلاق . لم تجد حكمة أعظم من الصمت وابتسامة المجاملة . أشارت نظيرة هانم إلى صورة الكهل المتصدرة الصالون وقالت :

— إنها صورة حشمت باشا الكبير مؤسس الأسرة . لا أتذكره جيدا لأنه مات وأنا طفلة لم أتعد العامين . وكان كثيرا ما يتردد على الباب العالى فى أواخر حكم السلطان عبد الحميد ، وكان من أحب أصدقاء الملك فؤاد عندما كان أميرا برغم أن حشمت باشا كان يكبره بعشرين عاما . ولم يكن الأمير فؤاد يتصور جولاته فى ربوع أوروبا بدون صحبة حشمت باشا . وعندما أصبح فؤاد سلطانا ثم ملكا أنعم عليه برتبة الباشوية وقرر تعيينه رئيسا للوزراء لكنه مات قبل صدور قرار تعيينه بيوم واحد .

ثم التفتت نظيرة هانم خلفها إلى الصورة التذكارية وأشارت إلى الرجل الواقف فى المنتصف وقالت :

— وهذا هو الملك فؤاد وحوله وفد من أعضاء مجلس النواب لتقديم التهنئة لجلالته . أما الثالث الذى يقف على يمين جلالته فهو حشمت بك أبو مجدى ..

تساءلت فريدة على سبيل مجاراتها فى اهتماماتها :

— وماذا كانت مناسبة تقديم التهنئة ؟!

— لا أتذكر .. فقد تزوجت من حشمت بك بعد ذلك بأكثر من عشرة

أعوام وكان يكبرنى فى السن بحوالى عشرين عاما .

دخل مجدى حاملا عدة ألبومات تكاد تنطق صفرتها ورائحتها بالقدم .

أخذت نظيرة هانم أحدها ووضعت الباقين إلى جوارها وهى تقول :

ــ والآن بعد أن رأيت جد مجدى وأباه .. تعالى نستعرض ـ معا باقى أعضاء الأسرة .

قلبت نظيرة هانم صفحات الألبوم الواحدة بعد الأخرى فى حين تحولت فريدة إلى كتلة من الاهتمام البالغ لإرضائها . وكان مجدى قد جلس بجوار فريدة من الناحية الأخرى على الأريكة نفسها ملصقا فخذه بفخذها ، ومتعمقا بكوعه فى جانبها لدرجة آلمتها لكنها احتملتها إكراما لوجود نظيرة هانم التى كانت تستعرض الصور مثل إمبراطورة تستعرض حرس الشرف المصطف لاستقبالها : هذه السيدة الجميلة التى ترتدى الياشمك هى أمى جلنار هانم . وهذا هو أبى شوكت بك فى رحلة له فى الأناضول ، وهذه هى نفيسة هانم جدة مجدى لأبيه لا تجرى فى عروقها سوى الدماء المصرية :

عند هذه اللحظة ابتسمت نظيرة هانم وقالت لفريدة :

ــ ويبدو أن مجدى يحن للدم المصرى الذى ورثه عن جدته !! لكن نفيسة هانم كانت من عائلة باشوات !

أدركت فريدة ما تقصده نظيرة هانم لكنها استمرت فى المجاملة ومتابعة الصور التى استمرت ما يقرب من الساعتين حتى فقدت القدرة على التركيز . وبمجرد انتهاء العرض نهضت نظيرة هانم وعادت حاملة صينية عليها زجاجة ويسكى محاطة بكؤوس بللورية صغيرة وضعتها أمام فريدة وهى تقول :

ــ سنحتفل برأس السنة معا !!

لكن فريدة قالت فى حياء بالغ :

— لكننى يا فندم لم أتعود على مثل هذه المشروبات !!

قالت لها بلهجة فيها كثير من الأمر :

— ستتعودين .. يقول المثل الإنجليزى : عندما تكونين فى روما ، افعلى ما يفعله الرومان .. ثم إننا لا نشرب باستمرار .. لقد ذهبت أيام الشراب والاحتفالات بلا عودة .. وأصبح الشراب قاصراً الآن على المناسبات التى تقل هى الأخرى بالتدريج ..

نهض مجدى لمساعدة أمه فى صب الويسكى ثم ذهب وعاد بصينية أخرى عليها بعض قطع التوست وبعض الأنابيب التى تشبه أنابيب معجون الأسنان أو الحلاقة . تعجبت فريدة لأمر هذه الأنابيب لكنها سرعان ما أدركت أنها تحتوى على طعام عندما ضغط عليها مجدى فوق قطع التوست الواحدة بعد الأخرى وقدم واحدة منها لفريدة فوق طبق صغير . لم تعرف فريدة ماذا يمكن أن تفعل بالضبط لكنها ظلت ممسكة بطبقها ثم تناولت كأس الويسكى من نظيرة هانم صاغرة .

جلست نظيرة هانم فى المقعد المجاور لفريدة ورفعت كأسها :

— فى صحتكما .. وكل عام وأنتم بخير ..

ردت فريدة متلعثمة وتجرعت الكأس فأحست بلهيب يسرى من حلقها إلى صدرها . ضحكت نظيرة هانم بعد أن انتهت من كأسها وقالت لها :

— إن إتقان الشراب عندنا أهم من إتقان الطبيخ . ولذلك يعد مجدى من عتاة الشاربين برغم صغر سنه . فقد علمناه منذ أن كان فى العاشرة . والآن زجاجة بأكملها مثل هذه لا يمكن أن تلعب برأسه .

أحس مجدى بالزهو وأعاد ملء الكئوس الثلاث مرة أخرى بحيث

اضطرت فريدة إلى مجارة الموقف العصيب الذى حاولت التخفيف منه بتناول بعض قطع التوست المدهونة بما خرج من هذه الأنابيب ، والذى تراوح طعمه بين الجبن الحريف الطعم أو سلاطة الطحينة أو زيت كبد الحوت . لكن السجادة الفاخرة أوشكت على أن تميد تحت قدميها فأصرت بينها وبين نفسها على الامتناع عن تناول الكأس الخامسة إذا قدمت إليها مهما كانت العاقبة . لكنها لم تقدم إليها لأن مجدى وأمه انهمكا فى صب الكئوس كل لنفسه حتى أوشكت الزجاجة على الانتهاء .

سرت الحرارة الدافقة داخل فريدة طاردة أمامها التوازن الدقيق الذى تتمتع به . أحست أنها أكثر جرأة وتظاهرت بالتماسك حتى لا تتهم بأنها « فلاحة غشيمة » . ولم تر فى نظيرة هانم سوى عجوزا مخرفة تعيش بين أطلال الماضى . عندئذ وقفت مستأذنة لأن الساعة كانت قد تقترب من منتصف الليل . انحنت وشدت على يد نظيرة هانم متمنية لها عاما سعيدا لكن العجوز نهضت قائلة :

ــ لن تتركينا قبل أن تشاهدى آخر الديكورات التى تمت فى العش السعيد .. سيصحبك مجدى إلى الطابق التاسع ..

تساءلت فريدة وهى تحاول حفظ اتزانها وتماسكها :

ــ هل ستأتين معنا ؟! إن رأيك يهمنى كثيراً !!

تعجبت نظيرة هانم من الجرأة التى غلفت كلمات البنت فقالت :

ــ سألحق بكما بعد أن أهنىء أختى يلدز تليفونيا بالعام الجديد ..

نهض مجدى الذى تفجر وجهه حمرة وقاد فريدة حتى الباب فسارت خلفه بخطوات غير راسخة ، فتح الباب فخرجت خلفه لكن الباب سرعان ما أغلق من الداخل . هبط مجدى السلم مع فريدة ممسكا بسوره ومطلقا صفيرا جزلا لأغنية أجنبية فى حين أمسك بذراع فريدة التى استكانت له تماما حتى

لا تطويها درجات السلم . فتح الباب ودخلا معا فأغلقه ثم أضاء الصالة فبدت على الأرض بقايا الورق الملصق على الجدران ، وتناثرت بعض علب الطلاء الزيتى والمادة اللاصقة .

كانت رائحة الشقة تنطق بالجدة الطازجة على عكس الشقة العليا العبقة بنكهة القدم والأطلال . انشرح صدر فريدة للشقة الفاخرة الرحبة ، فلم تتمالك سوى أن تقبل مجدى فى وجنته فأحس بنفسها اللافح فاحتضنها بعنف وانهال بالقبلات على وجهها وشفتيها ورقبتها وصدرها لكنها تخلصت منه برقة وابتعدت عنه فتعقبها . لم تكن الغرف قد شغلت بالأثاث بعد ، باستثناء المطبخ وغرفة النوم التى كانا يشاهدانها عندما سمعا ضجيجا مفاجئا فى شقة الجيران التى تطل عليها . نظر مجدى فى ساعته فوجدها تمام الثانية عشرة . مد ذراعه إلى الحائط خلفه وأطفأ النور . ذعرت فريدة لكن مجدى احتواها بين أحضانه قائلا :

ــ كل عام وأنت طيبة يا روحى ..

ــ وأنت طيب يا حبيبى ..

استبدت الرغبة بمجدى فأحست فريدة بذراعه تتسلل تحت طيات فستانها الصوفى الثقيل . تخلصت منه مرة أخرى فاصطدمت بالسرير الذى وجدت نفسها دون أن تدرى جالسة عليه وسرعان ما كان مجدى بجوارها يحتويها بجسده المشتعل بالخمر والنشوة والرغبة العارمة . وإذ بها نائمة بجواره . انقض عليها مخفيا وجهها بذيل فستانها وشعرت بشفتيه تنطبعان على ساقيها وفخذيها . فنهضت صارخة منطلقة كالسهم تجاه باب الشقة لكنها ذهلت عندما وجدت مجدى صارخا باكيا منتحبا :

ــ الآن فقط أدركت حقيقة شعورك ناحيتى .. أنت لا تثقين بى ..

والمسألة فى نظرك مجرد صفقة لابد أن تتم .. فكل ما يهمك هو وثيقة الزواج .. أما الحب فليس له حساب عندك !! لن أضغط عليك مرة أخرى !!

خرج إلى الصالة حيث تسمرت قدما فريدة . تحول جسمه إلى كتلة مرتعشة منتفضة وهو يقول لها :

ــ تفضلى .. سأصطحبك إلى منزلك حتى لا يلتهمك هذا الوحش الواقف أمامك !!

فتح الباب لكنها أمسكت بذراعه قائلة :

ــ لن تستطيع أن تقود السيارة وأنت فى هذه الحالة !

ــ تتكلمين كما لو كنت أهمك بالفعل !! لقد سئمت هذا النفور والرفض .. تفضلى !!

أغلقت الباب وجذبته فى رقة بعيدا عنه وهى تقول متسائلة فى حرج وخجل :

ــ لم أكن أعرف أنك تعول كل هذه الأهمية على هذا الموضوع !! فنحن سنتزوج بعد شهر .. وإن كنت قد انتظرت كل هذه المدة .. فإن شهرا لن يؤخر أو يقدم !!

قال وجسمه لا يزال ينتفض ودموعه تسيل على وجنتيه :

ــ المسألة ليست مسألة شهر أو يوم .. المسألة ببساطة شديدة . هل تحبيننى أم لا ؟! وإذا كان الحب حقيقة بيننا فلابد أن توجد الثقة وتزول كل الحواجز المصطنعة بيننا .. أما إذا انعدمت هذه الثقة فيجب أن يذهب كل منا إلى حال سبيله كى يرتبط بالإنسان الذى يثق به !!

انقشع بعض الضباب الذى أحاط بخلايا مخ فريدة وتذكرت فى الحال ابن عمها وخطيبها السابق . صحيح أنها لا تهتم بكلام الآخرين ، لكن

ماذا سيكون موقفها إذا لاحظ هؤلاء الآخرون أن خطبتها قد فسخت للمرة الثانية ؟ إن مجدى يلوح بهذا لأول مرة منذ أن ارتبطت به ! قد يكون على حق ! فهى لم تر منه سوى الإخلاص والتفانى والحرص عليها ! إنه برىء براءة الأطفال فى نقائهم وعفويتهم وتعبيرهم المباشر قولا وسلوكا عما يجيش بداخلهم وقد أرغم أمه على إتمام الخطبة ، وها هى أمه قد غيرت موقفها أخيرا تجاهها ، وأصبحت الشقة الجديدة مستعدة لاستقبالها فى مدى أيام . إن الجدية تشكل كل تصرفات مجدى تجاهها برغم التدليل الذى شب عليه . وهى لا تطمع فى شىء أكثر من جدية خطيبها وهيامه بها ورغبته فيها !

ــ تفضلى !

استيقظت من خواطرها المحمومة على صراخ مجدى وهو يشير لها نحو الباب الذى سار إليه مرة أخرى . لكنها جذبته فانقاد لها انقياد طفل لأمه وسار خلفها إلى غرفة النوم . جلست على السرير وجذبته إلى جوارها فجلس لكنه نظر ناحية باب الغرفة . أمسكت بذقنه وأدارت رأسه تجاهها . فتحت حقيبتها وأخرجت منديلا صغيرا معطرا فمسحت به دموعه التى لم تجف بعد . قبلت وجنتيه فاستسلم لها تماما لدرجة أنه أغمض عينيه وقد بدا داخله الصاخب فى الاستكانة والهدوء . شعر بسخونة شفتيها فهتف هامسا :

ــ إننى أعبدك يا روحى !!

احتواها بذراعيه معتصرا جسدها الرقيق الدقيق فأدركت فى تلك اللحظة أنها فقدت القدرة تماما على مقاومة تحالف الخمر والخلوة والرغبة التى أغرقت شاطئيها بأمواجها الصاخبة المتلاطمة.كان السكون الذى يسبق العاصفة التى اجتاحت ملابسها فأصبحت كما ولدتها أمها . تحولت إلى سفينة يقودها

مجدى . وسط هدير العواطف الجامحة الصاعدة الهابطة . سرى الألم فتلاشت النشوة وطارت معها بقايا الخمر والرغبة ، لكنها احتملت من أجل حبيبها الطفل المجنون ! وعندما أفاقت تماما رأت شبح مجدى فى ظلام الغرفة منتصبا يرتدى ملابسه وضايقها ضوء الصالة المتسلل إلى الغرفة فالتحفت بملاءة السرير البيضاء . منظر أثار الانقباض والاكتئاب داخل مجدى الذى خرج إلى الصالة دون أن ينبس ببنت شفة .

نهضت فريدة لترتدى ملابسها بسرعة محمومة . خرجت إلى الصالة فأشاح بوجهه بعيدا عنها ، وفعلت هى نفس الشىء . وعندما هبط بهما المصعد انتابها شعور غريب بأنه قد بلغ الدور الأرضى ولا يزال فى هبوطه متوغلا فى طبقات الأرض السفلى . فتح مجدى باب المصعد وعند باب العمارة لفحهما هواء النيل المثلج فتذكرت فريدة كل ما حدث فى لحظة لكن الشلل أصاب تفكيرها وتحولت إلى كيان آلى . جلست بجوار مجدى وانطلقت السيارة المارقة الصاخبة بأبواقها وضحكات راكبيها بأقنعتهم وطراطيرهم الهزلية . كان العام الجديد قد بدأ والكل لا يلوى على شىء .

وفوق كوبرى أكتوبر انحرفت سيارة وأوشكت على الاصطدام بها لولا مهارة مجدى فى القيادة بحيث تفادى هذه المجموعة من الشباب الرقيع . لكن أحدهم أشار إليهما بحركة بذيئة بذراعه وأصابعه ثم انطلقت العربة بعيدا كالسهم . أحست فريدة بأن هذه الحركة قد ضايقت مجدى . لعلها أعادت إلى ذهنه ما حدث بينهما من لحظات !! هل أدرك هذا الشاب الرقيع أنها صيد سهل لهذه الدرجة ؟! وإن كل علاقتها بمجدى لا تتعدى حدود هذه الحركة البذيئة .

حاولت فريدة أن تتجاذب أطراف الحديث مع مجدى هربا من خواطرها المحمومة لكن الشلل أصاب لسانها و لم تجد ما تقوله . وسرعان ما كانت السيارة على مشارف الترعة البولاقية ، ومجدى منهمك فى القيادة كأنه يشرف على قيادة سفينة فضاء . وقفت العربة أمام البيت وخرج صوت مجدى من الأعماق لأول مرة :

ـــ تصبحين على خير ..

قالت فريدة وهى تضع قدمها على الرصيف :

ـــ وأنت من أهله .

وبمجرد أن خرجت وأغلقت باب السيارة انطلق مجدى كالسهم وهى لا تزال عاجزة عن التفكير والتفسير . صعدت السلم المظلم وهى تتحسس درجاته بقدميها . كانت هذه أول مرة تعود فيها إلى بيتها فى مثل هذه الساعة المتأخرة . ودهشت عندما وجدت ضوء الصالة مشعا من شراعة الباب ، وذهلت عندما وضعت المفتاح فى الباب ، وقبل أن تدير المفتاح فى الثقب انفتح الباب ووجدت أمها واقفة خلفه قائلة والقلق يكاد يخنقها :

ـــ لماذا تأخرت إلى هذه الساعة يا حبيبتى ؟! كدت أموت قلقا عليك !!

وجدت فريدة نفسها تكذب لأول مرة فى حياتها . قالت :

ـــ لقد أقامت نظيرة هانم حفلا فى بيتها بمناسبة رأس السنة .. وكانت فى منتهى الرقة والترحيب بى بحيث عجزت عن الاستئذان المبكر ..

ـــ المهم حمدا لله على سلامتك .. وربنا يتمم على خير ..

قبلتها أمها فردت فريدة القبلة قائلة :

ـــ كل سنة وأنت طيبة يا ماما ..

ـــ وأنت طيبة يا حبيبتى ..

قالتها أمها ودخلت غرفة نومها . وفعلت فريدة نفس الشيء حيث وجدت أمينة تغط فى نومها وقد ارتسمت بقايا ابتسامة ملائكية على وجهها . أبدلت ملابسها واسترخت فى سريرها ، كانت أحداث الليلة أعنف من أن تسمح للنوم بأن يزورها كما زارت مجدى فى شقته فى الليلة نفسها . جثم السؤال الكبير المحير على أنفاسها : هل ما فعلته أو ما فعل بها الليلة عين الصواب أم هو القشة التى قصمت ظهر البعير ؟! إن إرادتها فى هذا الموقف العصيب تضاءلت إلى أن تحولت إلى ريشة فى مهب الرياح . فلم تكن تملك سواء القبول أو الرفض . فقد اختلطت عليها الأشياء ودخلت فى دوامة من الحيرة والضياع ، ليس لها قرار . وكان بصيص الأمل الخافت فى تلك الليلة قد تمثل فى عزائها الوحيد بأن رضوخها لمجدى لا بد أن يضاعف من حبه لها . وخاصة أن الندم كان واضحا على وجهه فى طريق العودة . فربما يكون قد شعر أنه بإلحاحه وضغطه المتصاعدين قد نال منها ما تمناه بطريقة لا تليق بهما ؟ وأن ضميره قد أنبه لدرجة أنه خجل من مجرد مواجهتها بعينيه .

ومع ذلك لم تسترح فريدة لهذا التعليل وتركت نفسها نهبا لكل المخاوف المحتملة وغير المحتملة . و لم تجد متنفسا لها سوى فى الدموع التى انهمرت على الوسادة فأغرقتها . وتركت لنفسها العنان فتحول البكاء الصامت إلى نحيب مسموع حين امتزج الألم النفسى بالألم الجسدى . رأت أختها أمينة تتقلب فى سريرها الموازى لسريرها فتوقفت عن البكاء ، لكن يبدو أن أمينة كانت قد سمعتها لأنها نهضت وأضاءت الأباجورة . تظاهرت فريدة بالنوم لكن أمينة تركت فراشها وجلست إلى جوار أختها . وعندما لامست يدها الوسادة أحست بالبلل فهزت أختها التى تمادت فى التناوم لكنها نهضت مع استمرار

الاهتزاز وقد طغت الحمرة على عينيها . سألتها أمينة وقد أطار الخوف النوم من عينيها :

— أتبكين يا فافى ؟! ماذا حدث ؟!

استراحت فريدة لأحضان أختها .. لكنها وجدت نفسها تكذب للمرة الثانية فى حياتها فى تلك الليلة التى لا تريد أن تنقضى :

— أبدا يا مونى !! لقد تشاجرت مع مجدى !!

نظرت أمينة إلى الدبلة فى يمنى أختها وقالت بطمأنينة وليدة :

— هل هددك بفسخ الخطبة ؟!

كانت فريدة على وشك أن تقول : « وكيف عرفت ؟! » لكنها تداركت نفسها وقالت بلا مبالاة مفتعلة :

— أبدا .. سوء تفاهم !! مجرد سوء تفاهم !!

ابتسمت أمينة وذهبت إلى فراشها قائلة :

— سوء التفاهم شيء طبيعى بين أى خطيبين .. ولا يحتاج إلى كل هذه الدراما .. لقد تصورت عندما سمعت بكاءك أنها نهاية العالم .. لكن يبدو أنكما احتفلتما بالعام الجديد بطريقتكما الخاصة !!

التحفت أمينة بالغطاء وتمنت لفريدة عاما سعيدا وسرعان ما كانت تغط فى النوم الذى بخل بنفسه فى تلك الليلة على فريدة فظلت مسهدة حتى سمعت نداء بائع الفطير والبليلة الذى يقف بعربته على ناصية الشارع منذ أول شعاع لنور الفجر .

٧

مرت الأيام بطيئة متثاقلة ، وشيء داخل فريدة يؤكد لها أن مجدى قد تغير . فلـم يعد يتهافت عليها بنفس حماسه القديم ، بل لم يعد يتحدث عن تحديد ميعاد عقد القران . وفى المرات القليلة التى تقابلا فيها سواء فى بيتها أو خارجه كان هو البادئ بالاستئذان أو بإنهاء المقابلة . ولم يعد يحاول تقبيلها خلسة. ولـم تحاول هى بدورها أن تفاتحه فى هذا التحول لعله سحابة صيف لا تلبث أن تنقشع . لكن السحابة تحولت إلى غمام متكاثف مما دفعها إلى معرفة ما يدور داخله ، وإن كانت لا تزال خائفة من أن تمس منطقة وعرة يمكن أن تتحطم على صخورها خطبتها ، وتكون الطامة الكبرى . فالمسألة لم تعد مجرد فسخ خطبة والخوف من كلام الآخرين كما حدث لها مع ابن عمها وخطيبها السابق ، بل أصبحت مسألة مستقبلها كله . فالمجتمع لا يرحم من ترتكب مثل هذه الفعلة مهما كانت ظروفها قهرية وقاسية ، أما شريكها فيغدو بين الناس رافع الرأس مرفوع الهامة دون أن يمس كرامته ومستقبله شيء ، فالفعلة فعلته ، والمسئولية مسئوليتها وحدها وعليها أن تتحمل كل عواقبها وأن تدفع ثمنها من مستقبلها ، بل ومن حياتها إذا تحتم الأمر .

لكن مجدى لا يمكن أن يكون من هذا النوع الذى قرأت عنه فى بعض الروايات . فقد كانت تؤمن أن ما يدور فى الروايات الخيالية شيء وأن ما يقع فى الحياة الواقعية شيء مختلف تماما . ولكى تتأكد من موقفها بكل أبعاده أصبحت تطلب بنفسها الأشياء التى كانت ترفضها من قبل عندما كان مجدى يطلبها منها . فمثلا أصبحت تلح عليه للتردد على الأماكن العامة والمنتديات

التى يحبها . وبالفعل رضخ لإلحاحها واصطحبها ذات مساء — حسب رغبتها — إلى فندق فاخر على طريق مطار القاهرة حتى يبتعدا عن صخب القاهرة ، وحتى تتاح لهما الفرصة لتسوية كل الأمور المعلقة .

جلسا فى الكافتيريا المطلة من ناحية على صحراء مصر الجديدة ، ومن ناحية أخرى على الطريق الممتد إلى المطار حيث بدا على البعد كشاف البرج الساطع يستدير مع الجهات الأربع ملقيا بوميضه على أجسام الطائرات الهابطة والصاعدة .

كانت الكافتيريا هادئة ساكنة غير مزدحمة والحركة فيها شبه منعدمة . وزاد من هدوئها صمت مجدى الذى انهمك فى متابعة برج المطار وكشافه الساطع . جاء النادل منحنيا فى أدب فطلبت فريدة بيرة لكنها أحرجت عندما طلب مجدى مياه غازية وهو الذى وصفته أمه بأنه من عتاة الشاربين . فتحت فريدة باب الحوار :

— كيف حال نظيرة هانم ؟!

— الحمد لله ..

— لا أنسى رقتها وظرفها وترحيبها بى ليلة رأس السنة !

قال فى اقتضاب لم يسعد فريدة :

— شكرا ..

عندئذ لم تجد بدا من خوض المنطقة الوعرة والسير فوق الصخور حتى لو أدمت قدميها . إذ يبدو أن من يضع قدميه على بداية طريق الجراح عليه أن يكمل المسيرة حتى نهايتها . سألته وهى تحاول تركيز عينيها عليه بقدر الإمكان :

— ألم يساورك القلق طوال الشهر الماضى ؟!

أجابها وهو لا يزال يتابع كشاف البرج :

— لماذا ؟!

انتابها الحنق لإجابته بسؤال يدل على عدم اهتمامه بأى شيء لكنها تظاهرت بالابتسام وقالت :

— إننى اليوم سعيدة وأردت أن أبشرك بأن الشهر قد مر بسلام ..

أجاب بلا مبالاة قائلة :

— لا أفهم !!

تجمعت حوافز التحدى داخل فريدة وانتابها إحساسها القديم بالقوة والصمود وقالت :

— لا يهم .. المهم أننى لاحظت تحولا طرأ على سلوكك ومن حقى أن أعرف أبعاد هذا التحول والأسباب التى أدت إليه !

— لم يحدث أى تحول !

— إذا .. فلنتكلم فى تحديد موعد القران وخاصة أن الشقة أصبحت جاهزة لاستقبالنا !

— آه نسيت أن أقول لك إن خالة ماما التى تعيش فى مونت كارلو منذ ثلاثين عاما قد توفيت ودفنت هناك . لكن ماما تصر على نقل جثمانها وإعادة دفنه هنا . ولذلك فإنها ستصطحب ابن خالتها المتوفية إلى هناك للقيام بهذه المهمة .

لم تهتم فريدة بتعزية مجدى بل سألته ببرود ممزوج بالتحدى :

— وكم يبلغ عمر خالة أمك ؟!

— لقد تجاوزت التسعين من عمرها !

— وكم ستستغرق مهمة دفنها فى مصر ؟!

ـــ لا أعرف بالضبط . وإن كانت ماما ستمر أولا بأختى المقيمة فى سويسرا لاستشارة طبيب القلب والروماتيزم هناك !

ركبت فريدة أمواج التحدى غير عابئة بالمقصد الذى يمكن أن تبلغه :

ـــ هل يمكن أن تستغرق هذه المهمة عاما على سبيل المثال ؟!

ـــ قلت لك لا أعرف !!

كانت على وشك أن تنهره لكنها أمسكت عن الكلام لمجىء النادل حاملا البيرة والمياه الغازية . وضعهما فى أدب وصب نصف زجاجة البيرة فى كوب طويل أمام فريدة فى حين صب زجاجة المياه الغازية فى كوب أصغر أمام مجدى . وبمجرد أن تركهما قالت بحسم استمدته من المذلة التى عانتها طوال الشهر الماضى والتى لم تجربها من قبل طوال حياتها :

ـــ وأنا لا أستطيع الانتظار عاما حتى يتم دفن عجوز تجاوزت التسعين ..

ـــ وأنا لا أحب أن تتكلمى بهذا الأسلوب عن أسرتى !!

تراجعت لكن التحدى لا يزال داخلها :

ـــ إن أسرتك ليست قضيتى .. وإنما مستقبلى معك هو القضية !!

ـــ لكننى لا أستطيع أن أفصل بين مستقبلى وأسرتى !!

ـــ لم أقل لك تخل عن أسرتك .. وإنما أردت تحديد المواقف !

ـــ ليس عندى أكثر مما قلته لك !

كانت هذه الجملة بمثابة الثقاب الذى أشعل فتيل الانفجار . شعرت فريدة بأنه يكلمها بنفس لهجة أمه المتعالية . وإذا كانت احتملتها مع أمه فهى لا يمكن أن تحتملها معه وخاصة أنه تجرع كوب المياه الغازية بعد هذه الجملة كأنه نطق شيئا عابرا وعاديا للغاية . قالت له متحفزة :

ـــ إذا كنت تظن أننى لعبة مللتها بمجرد الحصول عليها فأنت مخطئ

تماما ..فأنت لم تحصل علىّ وإنما أنا منحتك نفسى بإرادتى !!

قال لها وهو يتفادى نظراتها المتنمرة :

ــ يبدو أنك تعودت ممارسة هذه اللعبة من قبل !!

احتشدت نظراتها بالاحتقار :

ــ لم أعرف أنك بهذه القسوة الجارحة !! ألم تتأكد بنفسك إذا كنت قد مارست هذه اللعبة من قبل أم لا ؟!

ــ لست متأكدا من شيء !! لقد كنت مخمورا و لم أستوعب شيئا ؟!

تحولت نظراتها إلى صفعات غير مرئية على وجهه الذى أصبح فى نظرها أقبح وجه فى الدنيا . قالت وهى تكاد تبصق عليه :

ــ و لم أعرف أيضا أنك بهذه الخسة !! لكن قبل أن أمشى أحب أن أقول لك كلمتين وأرجو أن يكون عندك القدرة على الاستيعاب هذه المرة .

بدا الخوف يتسلل إلى قلب مجدى الذى شعر أنها يمكن أن تسحقه فى سورة غضبها وندم على أنه لم يترك الأمور متميعة كما هى . لكنه أنصت إليها كالتلميذ البليد حين قالت :

ــ ليكن فى علمك يا سليل الأسر العريقة ذات الحسب والنسب ، أن الغلطة التى ارتكبتها معك فى ليلة سوداء لن تكون السبب فى إذلالى العمر كله كما قد تظن . إننى على استعداد أن أتحمل مسئوليتها كاملة . ولن أندم كثيرا لأنه أشرف لفتاة تعيش فى مجتمع فيه الكثير من أمثالك أن تقضى بقية عمرها بلا زواج من أن تحيا تحت رحمة أمثالك الذين يظنون أن المرأة قد خلقت لتكون لعبتهم وعندما يملونها يبحثون عن أخرى لاستمرار اللعب . إن دروس الذلة والمهانة والقلق والخوف التى لقنتنى إياها طوال الشهر الماضى لن تنسى . لقد كانت التجربة التى صهرتنى وخرجت منها أقوى وأقدر على

استقبال الحياة وتجنب أمثالك ..

سكتت فريدة لحظة لتبتلع ريقها . نظر مجدى حوله فى خوف وقال :

— لا داعى لمثل هذا الكلام فى مكان عام قد يسمعنا فيه الآخرون . فلنذهب فى السيارة إلى مكان آخر !!

— فلتذهب إلى الجحيم أنت وسيارتك والآخرون الذين تعمل لهم ألف حساب . لن تغادر هذا المكان قبل أن تسمع كل ما أريد قوله. فلا بد أن تعلم أن أقدار الناس ليست تحت رحمة هواجسك وعقدك التى ورثتها عن أسرتك الكريمة . لقد قالت لى ماما مرارا أننى سأعانى لأننى حاولت النظر إلى أعلى ، لكنها كانت مخطئة تماما ، لأننى نظرت إلى أسفل . فإذا كان الناس ينقسمون إلى طبقات فليس بناء على ما يملكونه وإنما على أساس ما يفعلونه . وقد اخترتك بناء على أفعالك معى ، لكننى أدركت بعد فوات الأوان أن البيئة التى ينشأ فيها الإنسان مثل الماء بالنسبة للسمك ، لا يمكن أن يتخلص منها مهما ادعى التحرر وسعة الأفق . وخاصة فى حالتك التى أرثى لها . فأنت لا تجيد الحديث إلا عن عائلتك الكريمة كأنك الوحيد على وجه هذه الأرض الذى ينتمى إلى عائلة . أما التفتح والاستيعاب والنضوج الفكرى فهذه كلها أمور لم تخطر على بالك لأنك لا تجيد فى هذه الحياة سوى لعبة واحدة : الامتلاك . وكانت غلطتى الوحيدة أننى منحتك الفرصة كى تمتلكنى . لكننى أحمد الله على أننى تخلصت منك وإن كنت قد دفعت ثمنا غاليا . لكن الحياة علمتنى أن لكل شىء ثمنا . وليكن فى علمك أن كرامتى التى حاولت إهدارها قد عادت إلى كأقوى ما تكون ومكنتنى من اتخاذ القرار الذى كنت تتمنى اتخاذه لكن ضعف شخصيتك أعجزك عنه . ولذلك فقد تخلصت منك قبل أن تتخلص منى .

نهضت فريدة شامخة الرأس كقائد عائد من معركة انتصر فيها برغم جرح أليم أصابه فى حومة الوغى . خلعت الدبلة من أصبعها وألقت بها فى كوب المياه الغازية الفارغة أمامه فى حين كان بعض الجالسين على الموائد الأخرى يراقبون الموقف المثير من طرف خفى .

خرجت مسرعة لا تلوى على شيء وهو لا يزال يجلس مذهولا من هذا البركان الذى انفجر من هذه الفتاة الدقيقة الرقيقة وأحاطه بالحمم من كل جانب . دفع الحساب بطريقة آلية وخرج خلفها وبحث عنها فى كل مكان حول الفندق لكنه لم يعثر على أثر لها . وبرغم أنه أحس ببعض الارتياح لأنها وفرت عليه اتخاذ القرار الذى لم يعرف كيف يتخذه ، فإنه تذكر أنه نسى الدبلة فى الكوب فعاد مسرعا إلى الكافتيريا لكنه لم يجد شيئا فوق المائدة . خجل أن يسأل النادل عن دبلة فى الكوب فعاد إلى سيارته وركبها عائدا إلى أمه . ولأول مرة فارقته أشباح فاروق ونادر ، لكن أحاسيس المرارة والقلق والضآلة والتخاذل والإحباط لم تفارقه .

أما فريدة فقد استقلت إحدى سيارات الأجرة الواقفة فى انتظار رواد الفندق . كان جرحها غائرا داخلها لكن الشحنة التى أفرغتها على أم رأسه منحتها كثيرا من أحاسيس الكرامة والكبرياء العائدة . ورثت للفتيات التى ينتحرن لمجرد أن حقيرا مثل مجدى كان سببا فى تورطهن . إنها تدرك عقلية الرجل الشرقى فى هذا المجال ولذلك قررت الحياة بلا زواج ، أما الانتحار فعجز فاضح وخاصة إذا كان بسبب حشرة مثل تلك التى كانت تجلس أمامها منذ لحظات . لقد انتهى عصر الحريم وآن للمرأة أن تمسك مقدراتها بيدها .

كانت هذه الخواطر والانفعالات تفور وتمور داخل فريدة فتزيد من اشتعاله برغم برودة فبراير المتسللة إليها من النافذة المفتوحة بجوار سائق

السيارة . لم تعد الكلام الذى يمكن أن تقوله لأسرتها عندما تصل إلى البيت . لأنها قررت قفل باب المناقشة فى هذا الموضوع . فليس هناك ما يمكن قوله ، وليست على استعداد أن تكذب مرة أخرى . فقد تسبب مجدى فى أن تكذب مرتين على أسرتها فى تلك الليلة المشئومة ، وكم احتقرت نفسها فى المرتين !! ولذلك فهى لن تتحمل هذا الإحساس مرة أخرى !.

كانت مصابيح الشارع تتتابع أمام مخيلتها . أخذت نفسا عميقا ملأ داخلها المشتعل بهواء فبراير الرطب المنعش ولم تعرف لماذا ارتسمت أمام مخيلتها صورة نادر فأحست بالارتياح يسرى فيها مع سريان السيارة وسط ميدان رمسيس متجهة صوب الترعة البولاقية . كان الشارع يبدو جديدا فى عينيها ، يذكرها بالشارع الذى قضت فيه طفولتها وصباها حيث الحرية والانطلاق والبراءة وحب الحياة . أما الشهر الماضى الذى انتهى منذ لحظات فقد كان امتحانا رهيبا لون كل الأشياء بلون غريب كئيب أفقدها ثقتها فى نفسها وكفاءتها فى العمل لدرجة أن نادرا لاحظ ذلك وسألها مرارا عن السبب فى الحالة النفسية التى تمر بها ، لكنها تحاشته بإجابات تقليدية عامة لم تقنعه لكنه امتنع عن سؤالها مرة أخرى احتراما لصمتها .

أسعدها خاطر جديد وهى تغادر السيارة وتصعد سلم البيت إنها لا تندم على شىء لأن الزواج من مجدى بعد أن اكتشفت حقيقة شخصيته المتميعة أسوأ من عدم الزواج برغم جرحها الغائر . إن الإنسان يعيش مرة واحدة فقط ، وهو لا يملك الحق فى إنهاء حياته لأنها ليست ملكه ، وإن كان من طبيعته أن يخطئ لضعفه البشرى .

تنفست بعمق وهى تدير المفتاح فى الباب . كانت الساعة القديمة فى الصالة تشير إلى التاسعة والنصف . رأت أباها كعادته يغط فى نومه على مقعده

أمام التليفزيون الذى كان يعرض فيلما لمدينة جميلة تغير عليها الطائرات وتدكها بالمدافع ، وشاهدت جثة فتاة ملقاة على الأرض وقد مزقت الشظايا جسمها الجميل وأحالت ملابسها إلى خرق بالية .

أطفأت التليفزيون فتململ أبوها فى مقعده لكنه لم يستيقظ . ذهبت إلى غرفتها فوجدت أمينة قابعة أمام مكتبها الصغير تستذكر محاضراتها . ألقت عليها بتحية المساء فالتفتت إليها مبتسمة ضاحكة متسائلة :

ـــ كيف حال الشاب الوسيم الأنيق ؟!

ـــ ذهب إلى الجحيم !!

دهشت أمينة لرد أختها لكنها ظنتها منتشية لدرجة التفوه بمثل هـذه الألفاظ . أضافت :

ـــ وبالطبع ذهبت معه على أحر من جمر !!

ـــ إننى لا أهزل .. لقد ذهب فعلا إلى الجحيم !! و لم أشأ أن أذهب معه !!

ذهلت أمينة للجدية الواضحة فى لهجة أختها . نهضت وجلست بجوارها على السرير عندما كانت تخلع جوربها . لم تلحظ الدبلة فى يدها . لم تصدق عينيها . أعادت التحديق وبإمعان أشد . دقت على صدرها وشهقت :

ـــ إنها مصيبة .. ماذا حدث ؟!

أجابت فريدة وقد بلغ تماسكها قمته :

ـــ لا داعى لإثارة الانفعالات يا مونى .. الموضوع بمنتهى البساطة أننى أدركت أنه لا يصلح لى . ومن أجل هذا خصصت فترة الخطبة قبل الزواج ..

ـــ لكن هذه هى المرة الثانية التى تفسخ فيها خطبتك ؟!

ـــ ويمكن أن أفسخها حتى العاشرة إلى أن أجد الشخص المناسب !

ـــ عنـدك حق .. لكن ماذا ستقول ماما وبابا ؟!

ـــ سأحاول توضيح الموضوع لهما ببساطة . فلا بد أن مستقبلى يهمهما أكثر من مجرد الشكليات الاجتماعية ..

ـــ لكن ماذا حدث بالضبط ؟!

ـــ أبدا .. اكتشفت فى الشهر الأخير أنه لعبة أمه إلى حد سلبته فيه إرادته تماما .. فى الوقت الذى أراد فيه أن يجعل منى لعبة بين يديه .. فإذا كان محكوما على المرأة أن تكون لعبة الرجل .. فعلى الأقل تكون لعبة لرجل قوى !!

ـــ وليس هناك أمل فى عودة المياه إلى مجاريها ؟!

ـــ لم تكن المياه فى مجاريها أصلا حتى تعود إليها !!

ـــ للأسف .. حسدك الكل لأنهم ظنوا أنك عثرت على كنز !!

أشارت فريدة بأصبعها إلى رأسها وقالت :

ـــ الكنز هنا يا مونى .. وهو فى هذا أفقر الناس وأشدهم بؤسا !!

ـــ فعلا .. لم يكن منظرك سعيدا فى الشهر الماضى .. لكننى لم أسألك لثقتى فى قدرتك على معالجة أى موقف ..

سمعت فريدة صوت أمها وهى تودع الست تفيدة عند الباب :

ـــ تصبحين على خير يا حبيبتى .. وألف مبروك لزيزى ..

قالت أمينة لفريدة فى صوت هامس :

ـــ لقد تقدم عريس لطلب يد زيزى ابنة طنط تفيدة .. ويبدو أن إجراءات إتمام الخطبة قائمة على قدم وساق ..

سمع صوت إغلاق الباب ثم أقدام الست بهية التى وقفت عند الباب وألقت تحية المساء على البنتين ثم سألت فريدة متعجبة :

ـــ عدت اليوم مبكرة يا فافى ؟!

دق قلب أمينة دقات سريعة لكن فريدة قالت :

ـــ أصابنى السأم فعدت مبكرة !!

ذهلت الست بهية وتقدمت من ابنتها التى استرخت على سريرها فى حين لاذت أمينة بمكتبها تتظاهر بالاستذكار لكنها كانت آذانا مصغية للحوار المرعب المتوقع . جلست الأم بجوار ابنتها وسألتها :

ـــ لماذا تقولين مثل هذا الكلام يا حبيبتى ؟! هل حدث شىء ليعكر الصفو ؟!

ـــ لم يكن هناك صفو حتى يتعكر !..

ـــ قولى لى ماذا حدث ؟! إن كل شىء يمكن إصلاحه ..

ـــ إلا هذا !!...

لمحت الست بهية أصبع ابنتها الخالى من الدبلة فدقت على صدرها دقة جعلت أمينة تقفز من مكانها فزعة :

ـــ يا للمصيبة !! أين دبلتك ؟!

ـــ قذفت بها فى وجهه ..

ـــ هكذا فجأة !! دون مقدمات ؟! هذه الأمور لا يمكن أن تحسم فى ساعة غضب .. هداك الله يابنتى .. ضعى عقلك فى رأسك .. ماذا سيقول الناس ؟! سيشمت الأعداء بنا !! تفسخين خطبتك للمرة الثانية ؟!! يا فرحة الأعادى ..

سمع الأب صوت زوجته وهو يعلو رويدا ، نهض منزعجا من مقعده وهرع إلى الغرفة . تساءلت فريدة فى نفسها : إن فسخ الخطبة فى نظر أمها مصيبة وكارثة .. لكن ماذا لو علمت حقيقة ما حدث ؟! لا بد أن قلبها سيتوقف عن النبض . قال الأب متسائلا بانزعاج :

ـــ خيرا .. ماذا حدث ؟!

قالت الست بهية لزوجها وهى تكاد تنوح :

ـــ ابنتك ياسى صبرى .. فسخت خطبتها للمرة الثانية .. أين سأخفى وجهى بعيدا عن الناس ؟!

تقدم الأب وجلس على سرير أمينة قائلا لزوجته :

ـــ ألم يكن هذا رأيك من قبل فى مجدى ؟! لم يكن فى نظرك سوى أنه « ابن أمه » !! هل تعتبرين اتفاق ابنتك معك فى الرأى مصيبة ؟!

ـــ كم من المرات نصحتها فيها وقلت لها إن « اللى يبص لفوق يتعب » .. لكنها لم تسمع النصيحة .. فنحن فى نظرها « دقة قديمة » .. وها هى الآن تتحمل نتيجة عدم سماعها النصيحة !!

تدخلت فريدة بمنتهى الحسم :

ـــ لم أنظر إلى فوق كما تتصورين .. بل كانت غلطتى أننى نظرت إلى تحت .. وهذا ما قلته له قبل أن ألقى بالدبلة فى وجهه ..

قالت الأم دون أن تعى كلام ابنتها :

ـــ لم يكن قلبى يحدثنى خيرا منذ ليلة رأس السنة !! شعرت أنك تغيرت كثيرا .. وأنك تحملين هموم الأرض كلها بعد أن كنت وردة البيت المتفتحة !!

سألتها فريدة وهى تربت على يدها :

ـــ وهل تريدين يا ماما أن أستمر فى حمل هموم الأرض كلها حتى تقصف عمرى ؟!

احتضنت الست بهية ابنتها فى منتهى الحنان :

ـــ بعد الشر عليك يا حبيبتى .. أنا فداك ..

انفعل الأب بالموقف فقال محاولا تهدئة الفورة :

— إن كل شيء قسمة ونصيب كما تقولين دائما يا بهية .. وابنتك جميلة ومتعلمة ومثقفة وتشغل وظيفة مرموقة بمرتب محترم .. وأى شاب راق محترم لابد أن يتمناها ..

لمست كلمات الأب فى فريدة وترا مشدودا أصابها باكتئاب مفاجئ لكنها تغلبت عليه قائلة :

— أشرف للفتاة أن تعيش بلا زواج .. من أن تعيش معذبة تحت رحمة وحش اسمه زوج !!

دقت الست بهية على صدرها مرة أخرى وقالت :

— ابصقى هذا الكلام من فمك !! لماذا تقولينه ؟! هل تريدين قضاء عمرك بلا زواج ؟! ليست فى أسرتنا عانس واحدة !!

ندمت فريدة على قولها لكن أباها سرعان ما أنقذها دون أن يدرى :

— إنها تتكلم بصفة عامة يا بهية !! لا تأخذى كل الأمور بصفة شخصية !!

خمد بركان اللوعة والأسى داخل الست بهية لكنها لم تشأ أن تترك شيئا داخلها دون أن تقذف به مع بقايا الحمم . قالت نائحة بصوت أكثر هدوءا وطمأنينة :

— ابنتنا تفسخ خطبتها فى حين تعقد خطبة زيزى ابنة تفيدة ؟!!

لم يسكت الأب بل سألها :

— وما رأيك فى الحكمة : من نظر إلى معيشة غيره حرمت عليه معيشته ؟ أليست حكمتك المفضلة ؟!

— يوه يا سى صبرى !! أتحرم على مجرد أن أفضفض عن نفسى ؟!

— إذا كان على الفضفضة فأمرها سهل !!

نهض الأب قائلا لزوجته :

ـــ اتركيها الآن تسترح .. ولنحمد الله أنها مرت بالتجربة مثل أقوى الرجال .. إن نصيبها لم يأت بعد !!

قبلت الأم ابنتها ثم نهضت هي الأخرى :

ـــ لا تهتمي كثيرا .. نامي جيدا .. وستفوزين إن شاء الله بسيد سيده .. تصبحين على خير ..

ـــ وأنت من أهله..

خرج الأب وفى أعقابه الأم فى حين دست فريدة نفسها مخفية وجهها تحت الغطاء الثقيل . كانت سخونة الموقف قد ساعدتها على تجاهل ألم الجرح ، ولكن بمجرد أن خلت إلى نفسها بلغ الألم أشده فقد كانت الوحيدة التى تدرك أن نصيبها أو « سيد سيده » لن يأتى أبدا .

٨

وجد مجدى نفسه فجأة بلا فريدة . صحيح أنه تخلص من هواجسه التى كانت تنهشه من الداخل وتؤكد له أنه لم يكن أول رجل فى حياتها . حتى ليلة الامتحان الرهيب لم يتأكد من شيء . كان يظن أنه سيبلغ قمة النشوة وأنه سيتعلق بها أكثر . لكن التجربة أفسدت كل شيء و لم تعد الأمور بعدها إلى طبيعتها . لو صعدت أمه معهما فى تلك الليلة لما وقع ما وقع ، لكنها ظلت تكلم خالته يلدز هانم فى التليفون حتى عاد بعد توصيل فريدة إلى بيتها ،كانت تنظر إليه نظرات غريبة لم يفهم معناها . لم تسأله عن فريدة ولا عن أى شيء آخر بل

ذهبت لتنام ومسحة من السعادة تغطى وجهها . ربما كان من أثر الويسكى لكنها اعتادت الشراب حتى أصبح مثل الماء عندها !!

لماذا رضخت فريدة له ؟! إنها بهذا أفسدت كل شيء !! كان سعيدا بالقبلات والأحضان والخيالات والأحلام . إن رضوخها فتح عليه أبواب الجحيم وأكد له قول أمه إن الفتاة التى ترضخ لأى شاب قبل الزواج حتى لو كان خطيبها ، فإنها يمكن أن ترضخ لغيره سواء قبل الزواج أو بعده . فالمبدأ لا يتجزأ . كذلك من الممكن أن يكون رضوخ فريدة نتيجة لخوفها من أن تضيع ثروته من يديها . وهذا يؤكد مرة أخرى قول أمه إن من السهل على الفقير أن يبيع شرفه !!

لكن كل هذه التفسيرات والتعليلات لم تجعل برد الارتياح يسرى فى نفسه المشوشة المشحونة بشرر الاحتكاك بين الخواطر المتضاربة والمتصادمة . فسرعان ما وجد نفسه وجها لوجه مع الحقيقة الكابوسية التى تؤكد له أن فريدة قد انتهت من حياته . كان الحنين إليها يقتله كلما تذكر ومضات الحب الساحر . صحيح أنها أهانته وجرحته فى آخر لقاء . لكن كل هذا لا يشكل انتقاما للجرح الذى أصابها والذى قضى على مستقبلها فى حياة تحلم بها كل فتاة . فكر فى الرجوع إليها لكنه شعر أن بينه وبينها قارات ومحيطات وجبالا لن يستطيع عبورها أو تسلقها ، وهو الذى لم يستطع المحافظة عليها عندما كانت بين يديه !! وعندما هاجمه الإحساس بالذنب تخلص منه بأن أقسم لنفسه أنه سيحفظ سرها إلى الأبد .

كانت أمه أسعد الناس بفسخ الخطبة وإن كانت قد علقت كل الأسباب على شماعة القسمة والنصيب . فلم تكن تتوقع أن ينتهى الموضوع بهذه السرعة الحاسمة . لكنها شعرت فى قرارة نفسها أنها استيقظت من كابوس

جثم على أنفاسها منذ الليلة التى عقدت فيها الخطبة . وفسرت فسخها لأسرتها باختلاف المستويات الاجتماعية والاقتصادية .

أراد مجدى أن يهرب من نفسه المكدودة ، فقرر السفر مع أمه إلى سويسرا ومونت كارلو . صحيح أنها مهمة ثقيلة على القلب أن يعود الإنسان فى طائرة ومعه جثة ميت لدفنها فى مصر ، لكنها لن تكون أثقل من جثة الحب الذى مات داخله وانطفأت معه شرارة الحياة الحقيقية . كذلك فإنه سيزور أخته التى تعيش فى سويسرا والتى لم يرها منذ سنوات عديدة .

سأل أمه ذات صباح بعد أن أصدرت تعليماتها للطاهى بإقامة مأدبة لم يدر عنها شيئا :

ــ متى ستسافرين للعودة بجثمان خالتك ؟!

ــ لقد اكتشفت أن السفر سيكلفنا الكثير .. وسواء أكانت خالتى مدفونة فى مونت كارلو أم فى مصر فكلها أرض الله الواسعة !

ــ وماذا عن استشارة طبيب القلب والروماتيزم فى سويسرا !؟

ــ الجليد يغطى سويسرا الآن .. وربما ضاعف هذا من الروماتيزم عندى ولذلك قررت أن أؤجل الزيارة إلى الصيف كعادتى كل عام ..

ــ كنت أتمنى أن أسافر معك .. فأنا فى أشد الحاجة إلى تغيير المناظر والهواء !!

ــ لا يصح أن تسلك هكذا !! فشهيرة ابنة خالتك قد طلقت من زوجها فى الشهر الماضى و لم تهتم بما حدث !! فهى تمارس حياتها وتستمتع بها .. لم أكن أعرف أن مجرد فسخ الخطبة يمكن أن يفعل برجل قوى مثلك هكذا ؟! هل نقول إن شهيرة السيدة المطلقة أقوى من مجدى الرجل الذى فسخ خطبته ؟!

سعد مجدى عندما وصفته أمه بأنه رجل قوى . قال بتصميم :

ـــ إن ابنك يا ماما رجل قوى .. يكفى أننى وضعت حدا لعلاقتى بفريدة فى لحظات ..

ربتت أمه على كتفه وقبلته فى وجنته قائلة :

ـــ هكذا كان عهدى بك دائما .. والآن جهز نفسك لمأدبة الغداء التى سنقيمها اليوم لشهيرة والتى ستحضرها يلدز وزوجها ..

ابتسم مجدى متسائلا :

ـــ هل هذه المأدبة بمناسبة طلاق شهيرة ؟!

ضحكت نظيرة هانم وقالت :

ـــ وبمناسبة فسخ خطبتك أيضا ! إن على الإنسان أن يستمتع بحياته تحت أية ظروف .. فالإنسان يعيش حياته مرة واحدة فقط !!

ها هى أمه تردد الحكمة المفضلة لدى فريدة والتى ظل يرددها بعدها إلى أن استخدمتها أمه ! لكن من وجهة نظرها طبعا . إنها تجد فى فسخ خطبته مناسبة جديرة بالاحتفال وفرصة للتمتع بالحياة . كما لو كان فقد كل متع الدنيا مع فريدة وهى التى كانت متعته الكبرى سواء أكانت حقيقية أو وهمية ؟! فالأمر عنده الآن سيان . لكن الأمر المؤكد عنده أنه لم يعد سعيدا ، ويبدو أن طاقته فى الحب قد ضاعت بضياع فريدة بحيث أصبح يشعر بعجزه عن أن تثيره أية امرأة أخرى مثلما كانت تفعل فريدة ، التى لم تكن تفعل شيئا على الإطلاق فى واقع الأمر . لم يعد يفكر فى الجنس الآخر مما أثار فى داخله المخاوف ، لكنه هرب من هذه المخاوف بتعليل أراحه وأكد له أنه بتجاوز مرحلة الانتقال سيعود كل شيء أفضل من ذى قبل .

عندما تجاوزت الساعة الواحدة والنصف ظهرا دق جرس الباب الموسيقى

الذى سمعه مجدى فى جلسته المشمسة فى الشرفة المطلة على النيل . لا يعرف لماذا تذكر حادث تصادم اللورى بالأتوبيس عند نهاية كوبرى الجيزة من ناحية المنيل ؟ لكن حبل الذكريات انقطع بدخول شهيرة وأمها يلدز هانم وزوج أمها ناظم بك وفى أعقابهم جاءت نظيرة هانم مرحبة بهم مع ابنها .

جلس الجميع على شكل دائرة فى الشرفة الفسيحة . كانت شهيرة ترتدى فستانا من الصوف الأحمر القانى ذى فتحة تصل إلى منتصف فخذها وقد تركت شعرها البلاتينى الطويل يتهدل على كتفيها ، ووضعت على عينيها نظارة شمسية من أحدث طراز ، وفاح منها عطر ذكر مجدى برائحة الباريسيات فى شارع الشانزلزيه . أما أمها فكانت تشبه نظيرة هانم إلى حد كبير : نفس الشعر الفضى المذهب والعيون اللازوردية والرشاقة التى تصل إلى حد النحافة . لكن يلدز هانم كانت تبدو أصغر من نظيرة هانم بسنوات عديدة برغم أن الفارق بينهما ثلاث سنوات فقط . أما ناظم بك فقد أعلن لون شعره البنى عن صبغة ثقيلة أراد أن يخفى بها سنه الحقيقية . ساعده على ذلك جسمه الأبيض السمين الذى جعل جلده مشدودا . وكان قد تزوج من يلدز هانم بعد طلاقها من عبد الحميد بك الذى هاجر إلى روما ليدير أعماله فى أوروبا .

قالت شهيرة ضاحكة :

ـــ لو كنت أعرف أن الشمس ممتعة هكذا فى الشرفة ، كنت أحضرت معى البكينى لآخذ حمام شمس ..

هز ناظم بك رأسه موافقا :

ـــ فعلا .. شمس مارس هذا العام حارة أكثر من المعتاد !

أضافت يلدز هانم بعربية ذات لكنة أجنبية :

— جو مصر كله حار أكثر من اللازم !!

كان مجدى يجلس على الكرسى الهزاز دون أن يهتز به فقالت شهيرة :

— إن من لم يتعود مثل هذا الكرسى لابد أن يصاب بالدوار .

قال مجدى مبتسما :

— ومن اعتاده لا يستطيع أن يجلس على غيره !!

دخلت نظيرة هانم فى الحوار مخاطبة شهيرة :

— إنك أول من استطاع رسم الابتسامة على وجهه !!

قالت شهيرة :

— ولماذا كل هذه الجهامة ؟! إن الحياة لا تستحق العبوس لحظة واحدة ؟! حتى الطلاق الذى يعتبره الناس كارثة يبدو فى نظرى حلا سعيدا لمشاكل كثيرة !!

علق مجدى وقد بدأ فى الارتياح لشهيرة :

— إننى أحسدك على هذه القدرة الفائقة على التفاؤل ؟!

— إنها ليست قدرة على التفاؤل .. وإنما هى قدرة على التحكم فى العواطف .. فقد تعلمت من الثقافة الألمانية أن الإنسان السعيد هو الذى يتعامل مع اللحظة الراهنة فى حياته كما هى .. وليس كما يجب أن تكون ..

تذكر مجدى محاورات فريدة الثقافية معه فقال لشهيرة :

— يبدو أنك من المغرمين بالثقافة !

— لم أقرأ كتابا واحدا منذ تخرجى فى قسم اللغة الألمانية .. لكننى أجيد استغلال ما تعلمته أيام الدراسة .. أما دراستك الحقوقية فيبدو أنها كشفت لك فقط عن الجانب المتجهم للحياة .

— إن طبيعتى مرحة وأحب الحياة .. لكن عندما يرتبط الإنسان بآخر ..

وفجأة يتلاشى هذا الآخر من حياته .. فإن المسألة فى حاجة إلى بعض الوقت كى تعود الأمور إلى طبيعتها ..

ـــ لقد حضرت حفل خطبتك .. وبصراحة ـــ وأرجو ألا تغضب منى ـــ لم أجد هناك شيئا يستحق الاهتمام أو الاحترام سوى ذلك الشاب الوسيم الذى راقصنى وأخبرنى أن أمه يونانية .. وعلى ما أذكر كان اسمه نادرا .

أثارت شهيرة بالفعل غضب مجدى ـــ ليس لأنها أهانت عائلة فريدة ، ولكن لأنها امتدحت نادرا وأشادت بوسامته وسحره .. إنه يطارده دائما سواء أكان مع فريدة أو حتى شهيرة ؟! لو طال عنقه لخنقه . كتم مجدى غضبه وإن كان قد ظهر على هزات كرسيه غير المنتظمة . قال لشهيرة :

ـــ غالبا ما يبهر الإنسان بالناس لأول وهلة ، لكن عندما يعرفهم على حقيقتهم فإن الانبهار سرعان ما يزول ، بل وقد يحل محله النفور ..

سعدت شهيرة بالغيرة التى نجحت فى إشعالها داخل مجدى ، واستمتعت بالمزيد من اللعب :

ـــ لكنه شاب ساحر فعلا .. لف العالم كله .. ويجيد عدة لغات .. ويعرف كيف يعامل الجنس اللطيف .. إن أية فتاة تتمناه لنفسها !!

قال مجدى بعناد طفولى :

ـــ إنه من أسرة متوسطة الحال .. ويقطن فى الترعة البولاقية !!

ضحكت شهيرة وقالت بدلال واضح :

ـــ لكنك تمتاز عليه بالأصل العريق !!

سرى الارتياح داخل مجدى عندما انتقلت شهيرة بالحديث عن نادر إلى الحديث عنه . وكانت نظيرة هانم قد لاحظت توتر ابنها فقالت له :

ـــ إنها مداعبات شهيرة الشهيرة !! فهى تهوى استفزاز من تحبهم !!

وقعت جملة « من تحبهم » فى أذنى مجدى موقعا مفاجئا غريبا لكنه سرعان ما أدرك خطورة أخذ الأمور من وجهة نظر شخصية بحتة . شرع فى قدح زناد فكره بحثا عن كلام مناسب لكن البحث أعياه ، و لم ينقذه من معاناته سوى السفرجى الذى جاء معلنا بداية المأدبة .

فى الصدارة جلس ناظم بك وعلى الضلع الأيسر جلست يلدز هانم وبجوارها أختها ، وعلى الضلع المقابل كانت شهيرة ومجدى الذى لاحظ فخذ شهيرة الشمعى يطل من فتحة فستانها الأحمر القانى عندما وضعت ساقا على ساق . لم يتأكد إذا كانت قد فعلت هذا سهوا أو عن قصد ؟ استمتع بالمنظر لكنه لم يجد فيه سخونة فريدة التى كان يشعر بإشعاعاتها بمجرد أن تقع عيناه على وجهها الخمرى المسكر .

دار السفرجى على الجالسين بفواتح الشهية والحساء فكان ناظم أكثرهم إقبالا على ما يقدم له بحيث لم يفتح فمه بكلمة واحدة .

قالت نظيرة هانم لابنها مستدركة :

ـــ نسيت أن أقول لك يا مجدى إن شهيرة أحضرت معها هدية جميلة لك .. حتى تشكرها !!

نظر إليها مجدى سعيدا وكله عرفان بالجميل :

ـــ شكرا .. لكن لماذا التعب والتكاليف ؟!

ـــ أبدا .. ليس هناك شكر بيننا .. فقد أحضرت لك مجرد مضرب للتنس .. كى أتدرب معك فى النادى وكى أخرجك من حالة الكآبة التى تمر بها .. فأنت فى أشد الحاجة إلى الخروج والاندماج مع الأصدقاء ..

قال مجدى وهو يكاد يقبلها بعينيه :

ـــ هذا شعور جميل منك .. وأرجو أن أرد لك الجميل ..

ردت شهيرة وهى تقضم قطعة صغيرة من اللحم ضاحكة :

— ولو أن التنس كان السبب فى المشاكل التى أدت إلى الطلاق ؟!

كان مجدى على وشك أن يسألها إشباعا لحب استطلاعه لكنه أمسك نفسه فى آخر لحظة . سرعان ما شعرت شهيرة بما يدور داخله فقالت وكأنها تتكلم عن شىء لا يخصها :

— كان زوجى السابق يشعر بالغيرة من حريش مدرب التنس ..

نظرت يلدز هانم نظرات محذرة لابنتها لكنها لم تعبأ واستمرت فى حديثها المنطلق :

— وأصر فى النهاية على الامتناع عن ممارسة التنس .. لكننى رفضت إصراره بإصرار أشد .. وكانت النتيجة كما تعرفون جميعا !!

تذكر مجدى غيرته من فاروق ونادر لكنه تظاهر باللامبالاة الأرستقراطية :

— وكيف يشعر بالغيرة من مجرد مدرب للتنس ؟!

— فى هذه الحالة يتساوى كل الرجال وتتهاوى بينهم كل الفوارق ..

أخيرا تكلم ناظم بك وهو يلتهم قطعة من الكافيار :

— اسمحى لى يا شوشو أن أختلف معك فى هذا .. فلا يصح لأى إنسان أن يغار إلا ممن هو فى مستواه ..

علق مجدى متجاهلا فى داخله كل ما وقع بينه وبين فريدة :

— إن الغيرة قد تكون قناعا للحب الجامح .. لكنها فى النهاية تؤخذ على أنها انعدام الثقة فى الطرف الآخر !

أعجبت شهيرة برأى مجدى فأيدته وهى ترتشف كوب بيرة :

— ولذلك لم أحتمل انعدام ثقة زوجى فى سلوكى !!

لاحظت يلدز هانم أن مجدى يتكلم ولا يأكل :

ــ إنك لم تمس الطعام منذ أن جلست ..

قبل أن يفتح فمه بكلمة كانت نظيرة هانم تعلق :

ــ لقد هزل كثيرا فى الشهر الأخير ..

قاطعها مجدى بحسم :

ــ أصبحت بهذا أكثر رشاقة !

قالت شهيرة لمجدى وهى تعيد الشوكة والسكين إلى طبقها :

ــ لكننى لاحظت أنك لم تدخن منذ وصولنا ؟!

ــ امتنعت عن التدخين حوالى ثلاثة أشهر حتى الآن . وبرغم رغبتى الملحة فى العودة إليه ، فإننى لازلت أقاوم !!

قالت شهيرة وقد استرخت فى كرسيها إلى الخلف :

ــ لا تمنع نفسك فى هذه الدنيا من أى شىء ترغبه .. فالحياة قصيرة ومتعها كثيرة !!

رفع السفرجى الأطباق الفارغة وبقايا الطعام ثم عاد فقام بتوزيع أطباق نظيفة وفى منتصف المائدة وضع ثلاثة أطباق سرفيس عليها تفاح وبرتقال وموز وأناناس . وسرعان ما امتدت الأذرع والأيدى وانهالت السكاكين على الفاكهة تقطيعا وتقشيرا .

انتهى الغداء وعاد الجميع إلى الشرفة مواصلين استمتاعهم بالشمس الحانية والقاهرة التى تبدو مسترخية أسفل الشرفة العالية . جلس مجدى على كرسيه الهزاز متأملا شهيرة التى أخرجت من حقيبتها الحمراء الصغيرة علبة سجائرها وقدمت له واحدة قبلها شاكرا ثم أشعلتها له بولاعتها الذهبية وفعلت نفس الشىء لنفسها . ضحكا الاثنان عندما سحب كل منهما نفسا عميقا ، وإذ

بالنفسين يندمجان فى خط أبيض طويل عندما التقيا . قال مجدى :

— أول سيجارة منذ ثلاثة أشهر !!

قالت شهيرة بدلال واضح وهى تسبل عينيها :

— إن لسيجارة شوشو نكهة أخرى !!

ضحكت نظيرة هانم وفى أعقابها يلدز هانم التى قالت لمجدى :

— سنترك شوشو معك لأننا جئنا فى سيارة واحدة .. فى حين تركت شوشو سيارتها فى النادى لاستئناف تدريبها ..

دخلت شهيرة فى الحوار :

— مجدى لن يأتى معى لمجرد توصيلى .. فهو سيبدأ لعب التنس اليوم ..

قال مجدى شاعرا بضياع إرادته :

— لم أمسك مضربا للتنس فى حياتى .. كما أننى لم أمارس أية رياضة من قبل ..

— ستمارسها على يدى !! إنك فى حاجة إلى من يخرجك من هذه الحالة !

— على كل يشرفنى اصطحابك !

دخل السفرجى حاملا تورته كبيرة بيضاء وضعها على المائدة المنخفضة فى المنتصف فى حين أتى مساعده بصينية عليها إبريق شاى من الصينى المنقوش بالورود محاطا بفناجين كبيرة من نفس النوع . أخذت شهيرة السكين الكبيرة من السفرجى وقامت بتقطيع التورتة على أطباق وزعتها على الحاضرين ، ثم قامت بصب الشاى وتوزيع الفناجين . فى حين كانت نظيرة هانم تراقبها بسعادة وهى تميل على أختها وتقول بصوت مسموع :

— يا بخت من يكون هذا الجمال كله من نصيبه !!

تظاهرت شهيرة بأنها لم تسمع شيئا وانهمكت فى رشف الشاى وتناول

التورتة . وحذا مجدى حذوها . وبمجرد انتهاء التورتة التى كان ناظم بك يتناولها بتلذذ واضح ، نهضت يلدز هانم مستأذنة ومعها زوجها . وعندما نهض مجدى لاصطحابهما مع أمه حتى باب المصعد أوقفته يلدز هانم عند مدخل الشرفة قائلة :

ــ لا تتعب نفسك .. ولا تترك شوشو وحدها !!

استسلم مجدى ووجد نفسه منفردا بشهيرة التى نظرت إليه مبتسمة دون أن تنبس ببنت شفة لدرجة أنه أرخى عينيه عندما لم يجد شيئا بقوله . انتظر عودة أمه لكنها لم تعد . أجهد فكره فى البحث عن شىء يقوله ويكسر به جدار الصمت وأخيرا فتح الله عليه :

ــ لكن ليس لدى ملابس للتنس !

قالت ولا تزال نظراتها مركزة على وجهه الطفولى :

ــ ستشاهدنى اليوم وأنا ألعب .. وغدا نذهب سويا لشراء الملابس والأحذية والكرات ..

ساد الصمت مرة أخرى وتوقع مجدى أن تنهض للذهاب إلى النادى لكنها لم تفعل . وكلما رفع عينيه رآها تنظر إليه نفس النظرة الباسمة دون كلمة . نهض مستأذنا لإحضار سجائر من الداخل لكنها جذبته من يده وأجلسته على مقعده الذى تأرجح به دون أن يتحكم فيه . أخرجت شهيرة علبة سجائرها وأشعلت له واحدة ولنفسها أخرى وقالت :

ــ تصور يا مجدى أننا لم نقض طفولتنا سويا برغم أنك ابن خالتى ؟

ــ أبعدتنا المدارس الداخلية التى قضينا فيها طفولتنا وصبانا عن بعضنا البعض !!

ــ وعندما جاءت المرحلة الجامعية دخلت أنت الحقوق وأنا الآداب !!

— ولم نلتق بعد ذلك سوى فى المناسبات العائلية !!

— وهذا أول لقاء بيننا دون مناسبة !!

ابتسم مجدى ولم يدر ماذا يقول :

— إن هذا اللقاء فى ذاته مناسبة طيبة !

— فعلا .. يجب أن نكون أسرة واحدة اسما وفعلا !

عاد الصمت مرة أخرى للحظات لكنها هى التى قطعته هذه المرة وهى تنظر إلى ساعتها :

— هيا بنا .. إن حريشا فى انتظارى الآن !!

نهضت شهيرة وفى أعقابها مجدى . مرت على نظيرة هانم مستأذنة شاكرة ومقبلة إياها . وسرعان ما هبط بهما المصعد ثم استويا فى السيارة التى انطلقت إلى النادى .

ضبطت شهيرة مؤشر المذياع على موسيقى صاخبة عالية لم يسترح لها مجدى لكنه تظاهر بالابتسام . طلبت منه مضاعفة سرعة السيارة حتى لا يقلق حريش ويظن أنها تكاسلت . كان مجدى يحب السرعة المعقولة أما السرعة الجنونية فلم تكن من طبيعته الهادئة الحالمة . لكنه أطاعها وانطلق مسابقا كل السيارات الموازية له مما أسمعه لعنات بعض راكبيها . تجاهل مجدى اللعنات والسباب ، فى حين أثارته ضحكات شهيرة العالية . تذكر مجدى الحركة البذيئة التى قام بها الشاب الرقيع فى العربة المارقة ليلة رأس السنة فوق كوبرى أكتوبر ، والتى كادت تصطدم بسيارته وهو فى طريقه لتوصيل فريدة إلى بيتها . ها هى شهيرة الآن تجلس فى نفس مقعد فريدة التى منحته من القبل ما لا يزال يجتره حتى الآن . امتد حبل الذكريات لكن سرعان ما قطعه عندما أوشك أن يصطدم بسيارة أخرى مسرعة . لم تهتز شهيرة بل علت ضحكاتها

وهى تحثه على أن يسبقها . لم يطعها هذه المرة وتذكر مداعبة فريدة له ذات مرة : لا تسرع .. فالوصول المتأخر خير من عدم الوصول على الإطلاق .

ومع ذلك فقد سعد بشهيرة لأن جنونها واستهانتها بالخطر واستمتاعها بالحياة ملأ الفراغ المخيف الذى تركته فريدة ، وإن كان امتلاء مختلف النوع ، لكنه كان على استعداد للتعود عليه .

دخلت العربة من الباب الحديدى للنادى بعد أن حيا الواقفون شهيرة . بلغت ملاعب التنس وتوقفت بجوار عربة شهيرة المرسيدس الحمراء . خرجا منها وعندما اقتربا من الملعب رأى حريش شهيرة فترك اللاعب الذى كان يقوم بتدريبه وأسرع إليها . كان طويل القامة ، أسمر سمرة شديدة ، وشعره أكرت غير قصير ، وشاربه كث يهبط من طرفيه حول فمه مثل المغول . حيا شهيرة ومجدى قائلا لها :

ـــ ظننت أنك لن تأتى اليوم ؟! لولا وجود عربتك !

قدمت مجدى إليه :

ـــ مجدى بك .. ابن خالتى .. أحضرته معى خصيصا اليوم ليتدرب على يديك .. إنه سيبدأ من ألف باء .. لكنك أستاذ قدير !!

ثم أضافت ضاحكة :

ـــ وهو السبب فى تأخيرى !

شاركها الضحك وانحنى لمجدى مرحبا فى حركة رياضية . توجه الثلاثة إلى الملعب فى حين تركزت عيون المشاهدين على شهيرة فشعر بالفخر لأنه فى صحبة الفتاة محط الأنظار والإعجاب .

دفنت فريدة أحزانها فى العمل الذى تفانت فيه لدرجة أذهلت نادرا . لم تكن قد أخبرته بفسخ الخطبة لكن الدبلة التى اختفت من إصبعها قالت كل شيء . احترم صمتها و لم يفاتحها فى الموضوع وإن كان حب الاستطلاع ينتابه من حين لآخر يوشك فيه على الكلام . لكنه سرعان ما يعود إلى الحديث فى العمل وتطوراته الأخيرة .

أما الظاهرة الغريبة التى أدهشته لأنها لم تخطر له على بال ، أنه شعر بسعادة غامضة خفية عندما اكتشف فسخ الخطبة . فى بادىء الأمر أنكر على نفسه هذه السعادة على أساس أنها مجرد وهم ، وهو رجل لم تعرف الأوهام طريقا إلى حياته . وظل على تجاهله لهذا الإحساس النامى داخله إلى أن تحول إلى إحساس ملح .

هل تعامله مع الواقع الراهن كما هو جعله يتقبل ارتباط فريدة بمجدى على أنه شيء طبيعى للغاية ولا يضايقه فى كثير أو قليل ؟! وعندما انتهى هذا الارتباط بدأ يفكر فى الواقع الجديد ويتعامل معه ؟! إنه لا ينكر أمام نفسه أنه كان دائم الاهتمام بها ، لكن أى نوع من الاهتمام ؟! إن الحب كلمة لم ترد من قبل بمفهومها الشائع فى قاموسه . فقد جرفته دوامة العمل الذى نجح فيه وبلغ قمته وهو لم يتعد بعد الخامسة والثلاثين . وكان كل نجاح يحرزه يغريه بنجاح جديد . وهكذا لم يجد فرصة يرتبط فيها بفتاة . صحيح أنه التقى بفتيات كثيرات من قبل وخاصة فى سفرياته ، لكنها كانت كلها علاقات عابرة على سبيل التسلية وتخفيف عبء الحياة .

أما الآن فإن الحقيقة الوحيدة التى تأكد منها تثبت له أن نظرته إلى فريدة تغيرت عما كانت عليه قبل فسخ الخطبة . وكان يرى منذ البداية أن هذه الخطبة جمع بين الأضداد ، لكنه لم يكن يسمح لنفسه بالتدخل فى شئون فريدة طالما أن هذه هى إرادتها . وعندما سألته النصيحة فى أعقاب الخطبة عالج الموضوع كأنه يعالج أحد موضوعات العمل المطروحة للدراسة . ومع ذلك كان يخاف على فريدة خوفه على شىء ثمين . كانت مكانتها عنده أثيرة للغاية . وكان يقول لنفسه دائما : ما أروع أن يجتمع جمال الخلقة ورجاحة العقل فى امرأة ؟!

وجد نفسه دون أن يدرى يحمد الله على أن الموقف انفجر من تلقاء نفسه فى فترة الخطبة ، و لم ينفجر بعد الزواج حتى لا يترك جراحا غائرة لا تندمل داخل فريدة . إن شخصيتها قوية وإرادتها حديدية ويمكنها اجتياز أية محنة . لكن قلبها نقى وروحها عذبة ولا تستحق الدخول فى أزمات هى فى غنى عنها .

تضاعف قلقه عليها عندما وجد تفانيها فى العمل أوشك على التحول إلى نوع من الانتحار . كانت تستمر فى فحص الملفات ودراسة القوانين الاقتصادية الجديدة حتى الساعة السابعة أو الثامنة مساء معظم أيام الأسبوع . تضاعف هزالها و لم يكن جسمها الرقيق الدقيق يحتمل المزيد من الهزال . كذلك ضاعفت الهالات السوداء حول عينيها من اتساعهما ، لكنهما فقدا بريقهما الجميل الجذاب . أما ابتسامتها المشعة فقد تحولت إلى خطوط ترسمها على وجهها لزوم المجاملة . وقد حاول نادر إجبارها أكثر من مرة على اصطحابها فى عربته حتى بيتها ، كى تتفادى مشقة البحث عن تاكسى ، لكنها كانت تصر دائما على البقاء بحجة الانتهاء من العمل المتأخر . وآثر أن

يتركها على راحتها حتى تجتاز الأزمة .

وذات مغرب كان نادر مسترخيا فى سريره بين اليقظة والنوم بعد يوم حافل بالمقابلات والاجتماعات والمناقشات ، أيقظته أمه قائلة إن الأستاذ صبرى فى انتظاره فى الصالون والقلق على ابنته يكاد ينهشه . نهض نادر مذعورا يكاد يسمع دقات قلبه سائلا أمه :

— ماذا حدث لفريدة ؟!

ابتسمت أمه وربتت على ظهره مطمئنة إياه وقالت بلكنتها اليونانية :

— أبدا .. قلت له فريدة فى الشغل فطلب إيقاظك !!

وضع نادر الروب فوق بيجامته وألقى بشعره الأسود الناعم إلى الخلف بأصابعه . أسرع إلى الصالون فوقف له الأستاذ صبرى محييا قائلا :

— آسف يا بنى على الإزعاج .. لكن حال فريدة لا يطمئن !!

— ماذا حدث يا عمى ؟! تفضل .. اجلس .. استرح ..

جلس الاثنان متجاورين . قال الأستاذ صبرى :

— إنها لم تأت حتى الآن .. وأمها تبكى فى صمت ولا تدرى ماذا تفعل ؟!

— إنها فى الشركة يا عمى !! أنا متأكد من هذا !!

— نحن نعلم هذا .. لكن المشكلة أنها تنتحر ببطء . لا تشرب سوى الشاى والقهوة .. وتعيش النهار كله على نصف ساندويتش لا يسمن ولا يغنى عن جوع .. ثم تعمل اليوم بطوله دون أن ترحم نفسها . و لم أجد أنا وبهية بدا من اللجوء إليك فى النهاية لأنها لا تستطيع أن ترفض لك طلبا ..

قال نادر وقلبه يفيض حبا للكهل الذى أنجب هذه المخلوقة الباهرة :

— لا تظن يا عمى أننى تركت الموضوع دون أن أبالى .. فقد حاولت

التفاهم معها أكثر من مرة لكنها كانت تصر على موقفها ..

ـــ إننا لا نريد منك التفاهم .. نريد أن تأمرها بصفتك رئيسها فى العمل !!

ابتسم نادر قائلا فى دهشة :

ـــ لأول مرة يجبر رئيش مرءوسه على الإقلال من العمل .. حاضر يا عمى طلبك أمر !!

ربت صبرى على يد نادر :

ـــ إنه لم يكن يستحق منها كل هذه المعاناة .. كانت شخصيته ضعيفة ومهزوزة ولا يمكن القول بأن الفراغ الذى تركه يكاد يقتلها .

نهض نادر مطمئنا الكهل :

ـــ لا تخف يا عمى .. كل الأمور ستكون على ما يرام بإذن الله ..

اختفى نادر للحظات ثم عاد حاملا التليفون . وضعه فى حجره وأدار القرص عدة مرات . وضع السماعة على أذنه :

ـــ مساء الخير .. كيف حالك يا فريدة ؟!

ابتسم الأب فى ارتياح .. استأنف نادر :

ـــ لا أريدك مغادرة الشركة حتى آتى .. هناك بعض الأعمال العاجلة التى لابد أن تنجز الليلة .. أنا قادم فى الطريق .. مع السلامة ..

وضع نادر السماعة فنهض الأستاذ صبرى مستأذنا شاكرا داعيا لـه بالصحة والتوفيق وطول العمر ثم خرج .

ارتدى نادر ملابسه مسرعا . وفى دقائق كان يقود عربته مخترقا شارع شبرا ثم شارع الجلاء وانحنى إلى شارع طلعت حرب حيث تقع الشركة . صعد إلى الطابق الخامس وفتح الباب مندهشا للعزلة المحيطة بفريدة فى هذه

الشقة الواسعة الضخمة ذات الحجرات العشر . دخل مكتبها فوجدها منكبة على بعض الملفات . رفعت رأسها ونهضت مسرعة لإعداد مقعد له . فقد كانت الملفات تشغل المقاعد الثلاثة فى الغرفة . رفعتها عن أحدها ثم مسحته بيدها وقربته من مكتبها متسائلة :

ــ خيرا .. ما الأعمال العاجلة التى لابد من إنجازها الليلة ؟!

ظل نادر واقفا :

ــ الأعمال العاجلة هى أن تنزلى معى فورا إلى البيت كى تستريحى !!

ظنت فريدة أنه يداعبها كعادته فقالت :

ــ إننى جادة فى سؤالى !

ــ وأنا جاد فى إجابتى !

ــ هل يعقل أنك أتيت خصيصا لتصدر لى هذا الأمر ؟

ــ نعم !

ــ كان من الممكن أن تصدره بالتليفون !!

ــ فى هذه الحالة لن تنفذيه .. فأنا أدرى برأسك الحجرى !!

ــ أنت خير من يعرف أن أعمال الشركة قد تضاعفت ولا تحتمل الانتظار ؟

ــ أعرف هذا .. وقد قررنا بالفعل تعيين مساعدين لك حتى يقتصر عملك على التوجيه والإشراف ..

ــ إلى أن يتم هذا فسأظل مسئولة عن كل كبيرة وصغيرة فى المكتب !

لاحظت فريدة أنه لا يزال واقفا فقالت له برقة :

ــ تفضل اجلس ..

ــ لن أتفضل !! ولن أجلس !! لأن هناك موضوعا لابد أن أناقشه معك

.. وهذا المكان لا يصلح له !!

ساور فريدة الخوف الممزوج بالدهشة وسألته :

ـــ موضوع ليست له علاقة بالعمل ؟!

ـــ تستطيعين القول بأن له علاقة وفى الوقت نفسه ليست له علاقة !

ـــ لا أفهم شيئا .. إنك تتكلم هذه الليلة بالألغاز ؟!

ـــ هيا بنا .. ستعرفين كل شيء حالا !

قالها نادر وأقفل الملفات المفتوحة أمام فريدة ثم جذبها من يدها ، فاستسلمت ليده تماما ونهضت حاملة حقيبتها بعد أن اطمأنت على منظرها فى مرآة المدخل وإن لم تسترح لهزالها وشحوبها .

هبطا بالمصعد صامتين ثم انطلق نادر بسيارته وهى تتساءل فى نفسها عن الموضوع الذى لا يصلح للحديث عنه فى المكتب . لم تنتابها الحيرة بقدر ما سيطر عليها حب الاستطلاع . فالحيرة لا توجد حيث يوجد نادر وهى على استعداد للذهاب معه إلى نهاية العالم . بلغ حب استطلاعها قمته عندما خرج بالسيارة من قلب المدينة حتى بلغ كورنيش النيل المؤدى إلى روض الفرج . هدأ من سرعة السيارة وسألها :

ـــ ألا يوجد مكان هنا نستطيع أن نتكلم فيه بهدوء ؟!

شعرت فريدة بغموض لذيذ يكاد ينقلها إلى جو أسطورى . لم تكن تحلم أن يطلب منها نادر طلبا مثل هذا . استجمعت فكرها ورفضت فى الحال أن تحمل الأمور أكثر مما تحتمل . فليس لمثلها أن تسبح فى هذه الأوهام . أجابت ضاحكة :

ـــ معظم هذه الكازينوهات التى على اليسار ملتقى للعشاق .. ولذلك لا تصلح للمناقشات ذات الصوت العالى ..

ـــ إذا .. سنقف بالسيارة بجوار الكورنيش لمدة لا تزيد على ربع ساعة على أكثر تقدير .. فالموضوع لن يستغرق أكثر من هذا ..

لم ينتظر ردها بل عبر الطريق حتى احتضن رصيف الكورنيش الإطارات واختار شجرة ضخمة باسقة ليقف تحتها . أبطل المحرك فساد الصمت : صمت لذيذ غامض مثير ذكرها بطفولتها عندما كانت تستيقظ صباح العيد وهى تخمن أى نوع من اللعب والهدايا أحضرها لها أبوها .

كانت الطبيعة خارج السيارة تتنفس نسمات الربيع . الأشجار كثيفة باسقة تعلن عن وجودها برغم الظلام المحيط بها . رائحة الحشائش الممتدة بطول الكورنيش تسرى فى الأنوف حاملة معها طاقات الحيوية والتجدد . وفى السماء سطع القمر بدرا بعد أن تخلص من السحب التى أحاطت به معظم فصل الشتاء .

أحست فريدة بهذه اللحظات وكأن تعب اليوم كله قد تلاشى ، بل ومآسى الشهور الأخيرة كلها . يقولون عن أبريل أنه شهر الأكاذيب ، لكنه مع نادر شهر الحقائق المبهرة . ومضت عينا نادر بكل اتساعهما وسوادهما وقال بصوت هامس لكنه مشحون بالقوة والرجولة :

ـــ إن السبب يا فريدة الذى جعلنى أحضر خصيصا اليوم لأخذك من العمل أن أباك حضر إلى ..

غاص قلبها حتى قدميها مما جعلها تقاطعه :

ـــ ماذا ؟! هل حدث شىء ؟!

فهم نادر ما يدور داخلها فقال مطمئنا :

ـــ لم يحدث شىء ! لقد اشتكى أبوك منك لأنه شعر مع أمك أنك تنتحرين ببطء بدعوى إنجاز أعمال الشركة المتأخرة . وبصرف النظر عن

اتفاقك أو اختلافك معهما ، فإننى أتفق معهما إلى حد كبير ..

استعادت فريدة سكينة قلبها وإن كانت دقاته لا تزال مسرعة :

— إننى لا يمكن أن أكذب أبدا .. وعليك أنت بالذات .. صحيح أننى أحب حمل المسئولية والوفاء بها .. لكننى أجد فى عملى أيضا مهربا من محنتى ..

ندمت فريدة على استخدام كلمة « محنتى » لكن نادرا لم يترك لها فرصة التفكير :

— إذا كان فسخ الخطبة محنة فماذا يكون الطلاق فى نظرك ؟! إننا نسمع عن العشرات والمئات والآلاف الذين ينهون حياتهم الزوجية بالطلاق يوميا .. ولا تزال الشمس تشرق والأرض تدور ..

أسقط فى يد فريدة لكنها قاومت كعادتها :

— لا تنس أن خطبتى فسخت للمرة الثانية !!

قال نادر باستهانة :

— وللمرة العاشرة !! لم تقم القيامة بعد !! إن قوة شخصيتك وإرادتك الحديدية لا يمكن أن تسمح لحدث عابر عارض مثل هذا أن يفعل بك ما تفعلينه بنفسك !!

شعرت فريدة أنه يقودها من حيث لا يدرى إلى الكهف المظلم المخيف الذى سدته بأحجار العالم كلها . حاولت الابتعاد عنه قدر الإمكان :

— إنها أزمة عابرة تمر بها أى بنت .. ولابد أن تعود الحياة إلى طبيعتها !!

— لكن الله منحنا الإرادة لنسرع بعودة حياتنا إلى طبيعتها .. وأنت بالذات لا تنقصك هذه الإرادة !!

اجتاحتها موجة من الكآبة العارمة عندما أدركت استحالة عودة حياتها إلى طبيعتها . فقوانين المجتمع القدرية لا تسمح بهذا . فى نفس اللحظة وقف

بجوارهما قرداتى يدق الرق وقرده يدور حوله بسلسلته ثم استند بذراعيه إلى نافذة فريدة ينظر إليها نظرات مستعطفة بعينيه الصغيرتين كحبات الخرز الأسود . قال الرجل لنادر :

ـــ نوم العازب .. ربنا يخلى لك الست !

تمرغ القرد على الرصيف والرجل يقول لهما :

ـــ إن شاء الله .. ستكون كل خطوة لكما موفقة !!

ابتسمت فريدة وبادلها نادر الابتسام وهو يمد يده للرجل بمبلغ من المال قائلا لها فى همس :

ـــ ليس أدرى منى بنوم العازب !!

أخذ الرجل المبلغ واستدار بقرده لكنه عندما اكتشف أنه مبلغ كبير عاد وأطل برأسه داخل النافذة :

ـــ ستعيشان فى سعادة وسيطيل الله من عمركما !!

قالها الرجل وذهب إلى حال سبيله سعيدا بعد أن خلف وراءه جوا موحيا بالبهجة والتفاؤل الذى سرعان ما اكتشفت فريدة زيفه ، فقالت محاولة إشباع حب الاستطلاع الذى برز فى سلوك نادر حتى لا يشعر أنها تعامله كغريب :

ـــ أتعرف لماذا تأخرت اليوم فى عملى أكثر من اللازم ؟!

ـــ لا تقولى هربا من محنتك ؟!

ـــ لأن اليوم بالذات سيتقدم لى عريس جديد وسيحضر لزيارتنا فى تمام الثامنة والنصف مع جارتنا طنط تفيدة التى تقطن فوقنا ..

ـــ لم يخبرنى أبوك بهذا ؟!

ـــ لم يجد داعيا لذلك عندما تبرعت بإحضارى شخصيا وفورا !!

ـــ ولماذا ترفضين لقاء العريس ؟!

— لأنني لن أكرر المأساة !!

— رجعنا مرة أخرى إلى استخدام الألفاظ الضخمة مثل محنة أو مأساة !!

— المرة الأولى كان العريس من اختيار ماما وفشلت التجربة .. والمرة الثانية كان من اختيارى وكان الفشل أسوأ !!

ابتسم نادر وداعبها :

— جربى هذه المرة طنط تفيدة .. ربما كانت أفضل منك ومن أمك !

لم تستجب فريدة للدعابة :

— أريد أن ألتقط أنفاسى .. لا يمكن أن تؤخذ الأمور بهذه السرعة اللاهثة .. وخاصة هذه الأمور الحساسة الشائكة !!

— ولم لا تقابلين العريس ؟! ربما حاز إعجابك ؟!

— هل يمكن أن أعجب بشاب أراه لأول مرة وسيسافر بعد شهر بحيث لابد من إتمام كل شيء فى هذا الشهر ؟!

التفت إليها نادر وقد تضاعف اهتمامه بالموضوع :

— إذا .. لديك معلومات كافية عنه ؟!

ابتسمت فريدة دون أن تنظر إليه :

— إنه مهندس يعمل فى قطر عربى .. ويمت بصلة قرابة إلى طنط تفيدة التى لا تنقطع أخبارنا عنها بسبب زيارات ماما المتواصلة والمتبادلة ..

— لا أستطيع أن أجبرك على اتخاذ موقف ترفضينه رفضا مبدئيا فى هذه الفترة .. لكن ليس من اللائق أن تحرجى والديك طالما أنهما اتفقا على استقبال العريس !

— دون موافقتى !!

— اللقاء شيء والموافقة شيء آخر تماما ..

ــ لن يكون لقاء وإنما علقة ساخنة !!

ــ علقة تفوت ولا أحد يموت !!

نظر نادر فى ساعته فوجدها التاسعة . ربت على يدها :

ــ هيا بنا .. العريس وصل من نصف ساعة .. ولا أحب أن ينهش القلق أسرتك أكثر من هذا .. إنها عزيزة على كاعتزازك بها تماما .. ولو كنت أعلم هذا الموضوع منذ بادىء الأمر لأخذتك إلى المنزل فورا ..

تساءلت فريدة فى خبث محبب :

ــ لكنك لم تقل شيئا عن الموضوع الذى جئت من أجله خصيصا ؟!

قال فى حسم :

ــ لقد تكلمت فيه وتأكدت أنك تدركين أبعاده جيدا .. وكل ما أطلبه منك أن تحافظى على صحتك وعلى حبك للحياة .. وأن لا تتركى القلق يهدر صحة بابا وماما لأنهما فى سن لا تسمح لهما بتحمله فترة طويلة .. ولك أن ترفضى أو توافقى على أى شاب يتقدم لطلب يدك .. فالقرار فى النهاية قرارك والمستقبل مستقبلك ..

أدار نادر محرك السيارة وعبر الطريق مرة أخرى منطلقا نحو شبرا التى اخترقها حتى شارع الترعة البولاقية دون كلمة واحدة مع فريدة . لكنه لم يستطع تجاهل سعادته برفض فريدة المبدئى للعريس قبل أن تراه .

وقفت السيارة أمام البيت . ودعته شاكرة . رأت أختها أمينة فى الشرفة لكنها سرعان ما اختفت . صعدت السلم بقدمين ثقيلتين كالرصاص . كانت الأم بالباب وصدرها يعلو ويهبط لكنها تحكمت فى أعصابها وقالت لابنتها :

ــ ادخلى اغسلى وجهك .. وتزينى .. فالناس فى انتظارك منذ ساعة وأنت ولا هنا !!

لم ترد فريدة ، دخلت مسرعة لتنفيذ التعليمات لكن قلبها قال لها إن نادرا لم يخاطبها كرئيس فى العمل أو كجار قديم أو كأخ أكبر وإنما وشت لهجته بأن اهتمامه بها تجاوز كل هذه الاعتبارات . طردت هذا الخاطر وأبدلت فستانها ثم دخلت الصالون حيث جلس العريس فى الصدارة وبجواره الست تفيدة والست بهية والأستاذ صبرى .

نهض العريس محييا . تخلصت من يده ثم مدت يدها للست تفيدة التى سرعان ما أجلستها بجوارها . كان العريس منتفخ الأوداج ، زحف الصلع مبكرا على أم رأسه . وقبل أن تستأنف فريدة تأمله سألها :

ــ يبدو أن زحمة العمل على أشدها هذه الأيام ؟!

دست الست تفيدة بنفسها فى الحوار مستخدمة حاجبيها الرفيعين كما لو كانا مرسومين بقلم رصاص :

ــ فاقى اسم الله عليها .. مسئولة عن الشئون القانونية فى الشركة التى تعمل بها ..

أدلى الأستاذ صبرى بدلوه :

ــ إنها تقوم بعمل خمسة رجال !!

قالت الست بهية :

ــ فريدة طول عمرها شاطرة !!

كان العريس فى تلك الأثناء منهمكا فى تأملها : وجهها ، صدرها ، ساقاها ، ثم شعرها وفستانها وحذاؤها .. لمحت السعادة على وجهه بعد أن عاين البضاعة بنفسه ، لكن سخرية مريرة اجتاحتها من الداخل وتساءلت عن مصير سعادته الراهنة إذا عرف الحقيقة الراهنة ؟! قال :

ــ عندما تسافرين معى .. لن تضطرى إلى العمل !! فهناك المرتب ضخم

وخير ربنا كثير ..

لم تحتمل فريدة إعلانه عن آرائه بهذه الثقة دون أن تناقشه :

ـــ لكن الهدف من العمل ليس المال فحسب .. إنه إثبات عملى لوجود الإنسان وكيانه سواء أكان رجلا أم امرأة !!

لم يشأ العريس أن ينهزم فى المناقشة التى ارتفع مستواها فجأة :

ـــ اسمحى لى أن أقول إن لجوء المرأة إلى العمل كان بدافع عجز زوجها عن إعالتها هى وأطفالها !

دست الست بهية بنفسها فى الحوار تأييدا للعريس :

ـــ عندك حق ياباشمهندس .. فأنا مثلا لم أكمل تعليمى .. لكننى عشت مكرمة فى بيت أبى .. ثم انتقلت للحياة مع زوجى دون حاجة إلى عمل ..

قالت فريدة بنفس الإصرار والتحدى :

ـــ إن جيلك يا ماما مختلف عن جيلى ..

ـــ تقصدين أن جيلك أفضل من جيلى ؟!

ـــ إن المقارنة هنا لا تعنى التفضيل وإنما مجرد الاختلاف !

نظرت الست بهية إلى زوجها مستغيثة ليتدخل لكنه ترك الأمور تجرى فى أعنتها . فقالت لابنتها :

ـــ لم يفسد عقلك سوى قراءاتك المتصلة التى لا تجنى منها سوى وجع القلب !

استمرت فريدة بنفس التحدى والاستفزاز :

ـــ إن الثقافة ـــ فى نظرى ـــ هى الفارق الأساسى بين الإنسان والحيوان !!

تدخل الأستاذ صبرى مهدئا من حدة الموقف فى حين كانت الست تفيدة حائرة :

— هكذا أنت دائما يا بهية !! تريدين أن تأخذى كل جلسة لحسابك الخاص ! أليس كذلك يا ست تفيدة ؟!

ابتسمت الست تفيدة وقالت فى دبلوماسية :

— إن الست بهية قلبها على فافى .. وتريد لها كل خير !!

التفت الأستاذ صبرى إلى العريس وقال :

— وأنت يا باشمهندس .. هل تعمل فى هذا البلد العربى على أساس الإعارة أم التعيين ؟!

قال العريس :

— إننى أعمل بناء على عقد عمل يتجدد سنويا !!

— إننى أقصد : هل عينت فى مصر قبل سفرك ؟!

— لا .. لم أعين .. لأننى وجدت أن مرتب شهر هناك يعادل مرتب سنة بأكملها هنا !

— لكن ماذا تفعل لو قامت الحكومة هناك بإلغاء عقدك ؟!

— سأبحث عن عقد آخر !!

— كنت أفضل أن يتم تعيينك فى بلدك أولا .. ثم تنطلق كما تشاء فى بلاد الله الواسعة !!

— اسمح لى يا عمى أن أقول إن الميرى الذى قدسه المثل القديم بأن على الإنسان أن يتمرغ فى ترابه إذا فاته .. هذا الميرى لم يعد يغرى أى شاب يريد المكسب السريع والحياة على مستوى العصر !!

تعجبت فريدة من هذا الشاب الذى يرى أن الحياة على مستوى العصر لا تعنى سوى الكسب السريع فقالت له :

— أنا من أشد المؤمنين بالحياة على مستوى العصر سواء بالنسبة للرجل

أو بالنسبة للمرأة .. لكن زوجة الموظف المعار لن تكون على مستوى العصر أبدا إذا أجبرت على أن تلزم عقر دارها محاطة بالصحراء من كل جانب .. ويا ليتها صحراء جغرافية فحسب بل صحراء فكرية أيضا ..

تطاير الشرر من عينى الست بهية فأقحمت نفسها دون مقدمات :

— ألم أقل لك إن الكتب أفسدت عقلك ؟! إننى أتعجب من أمر بنات هذه الأيام .. تأتيهن الراحة على طبق من فضة فيفضلن عليها الشقاء وكأنه كتب عليهن !!

تدخل الأستاذ صبرى لفض الاشتباك مرة أخرى :

— ولماذا نفترض استحالة قيام المرأة بالعمل فى مثل هذه البلاد ؟!

قال العريس :

— ليس من السهل الحصول على عقد عمل للمرأة فى هذه البلاد !!

قالت فريدة بسرعة حاسمة للعريس :

— إذا .. فأنت توافق على اشتغال الزوجة إذا وفقت فى العثور على عقد عمل ؟!

تردد العريس للحظة محاولا الخروج من الفخ :

— وقتها يحلها ألف حلال !

كرهت فريدة مراوغته فلاذت بالصمت الذى شحن الغرفة بأحاسيس الحرج . حاولت الست تفيدة كسر جدار الصمت :

— عندما سألنى الباشمهندس عن عروس مناسبة .. لم أجد أنسب من فاق .. علم وجمال وأخلاق .. ربنا يتمم بخير !..

قالت الست بهية :

— كله من ذوقك وذوق الباشمهندس !

لاذت فريدة بالنظر إلى السجادة تحت قدميها و لم تتجاوب مع إطراء الست تفيدة التى نظرت إلى العريس ففهم من نظراتها أن الزيارة انتهت . تململت فى مقعدها ثم نهضت وفى أعقابها العريس . قالت الست تفيدة :

ـــ فرصة سعيدة جدا .. وربنا يتمم بخير .

سارت إلى باب الشقة حيث مالت على الست بهية قائلة فيما يشبه الهمس العالى :

ـــ نرجو الرد السريع .. حتى إذا كان بالرفض لا سمح الله فستكون الفرصة متاحة للباشمهندس للبحث عن عروس أخرى قبل انتهاء إجازته ..

قالت الست بهية بنفس الهمس :

ـــ لن تجد فاق عريسا أفضل منه !. ربنا يتمم بخير !

انتهت الزيارة وبمجرد غلق الباب تلفتت الست بهية حولها فلم تجد فريدة التى هرعت إلى غرفتها حيث سألتها أمينة :

ـــ هل أعجبك العريس ؟!

ـــ موضوع الزواج ليس فى ذهنى الآن على الإطلاق !

سمعت الست بهية الواقفة بالباب هذه الجملة فطفح بها الكيل :

ـــ ماذا تظنين نفسك ؟! هيه ؟! إنه عريس تتمناه أية فتاة ؟! كفاك غرورا وكبرا !! كان يوما أسود يوم اشتغلت بهذه الشركة وحصلت على المرتب الذى جعلك تستهينين بالناس .. لن أقول لك سوى كلمة واحدة ضعيها فى أذنك قرطا : استيقظى قبل فوات الأوان .. فمن خلقك خلق غيرك !! إن الزمن لا يرحم !! ولن نظل معك العمر كله ! استيقظى قبل أن تجدى نفسك عانسا يتساءل الناس من حولها : لماذا قضت العمر كله بلا زواج ؟!

شعرت فريدة فجأة وكأن أمها قد ألقت بها فى قلب الكهف المظلم الذى

تتحاشاه ، فانهارت باكية على سريرها ، لكن أمها لم تعبأ وقالت وهى تغادر مكانها :

ــ لم تعد تنطلى على مثل هذه الحركات ؟! عقلك فى رأسك ولابد أن تعرفى خلاصك !!

اختفت الأم فهرعت أمينة محتضنة أختها قائلة :

ــ لا تعبئى .. إنها حياتك أنت ولك مطلق الحرية فى أن تعيشيها كما تهوينها ..

مسحت فريدة دموعها وقالت لأمينة :

ــ لا تنشغلى بى يا مونى .. أهم شىء هو دراستك .. أما أنا فأستطيع أن أواجه أى موقف !

ــ أنت مجهدة .. سأتركك لتنامى .. تصبحين على خير ..

ــ وأنت من أهله ..

تبادلت الأختان القبلات . خرجت أمينة حاملة كتبها إلى غرفة المكتب حتى لا تضايق أختها بمصباح مكتبها الصغير . وجدت فريدة نفسها بمفردها . تذكرت نادراً وهى تخلع فستانها . بدا جسمها هزيلا بعض الشىء تحت ملابسها الداخلية البيضاء لكنه لم يفقد تناسقه ورقة خطوطه الانسيابية وسمرته الساخنة . رأت جسدها فى المرآة و لم تعرف لماذا تمنت أن تتحول المرآة إلى نادر ؟! إنها تشتاق إلى أن تتعرى أمامه وتحكى له عن السر الذى يزداد ثقله على كتفيها مع الأيام حتى أوشكت أن تنوء به .

ارتدت بيجامتها وأطفأت النور ودست نفسها تحت الغطاء لكن صورة نادر أضاءت وجدانها . إنه أمل لن يتحقق . لكن لماذا لا يعيش الناس على الأمل كهدف فى حد ذاته ؟! إنه لو تحقق فسيفقد سحره كأمل !! فليبق نادر هكذا فى حياتها حتى لو كان سرابا !

وأغمضت عينيها وهى تسترجع كل تفاصيل جلسته معها فى العربة ، وسرى النوم إلى جفونها وهى تكاد تشعر بذراعيه حولها .

١٠

تأكد مجدى أخيرا بأن شهيرة قد أصبحت كل شىء فى حياته . صار ظلها حيثما حلت وخاصة فى النادى الذى أمضيا فيه معظم أمسياتهما . كان القلق يقتله إذا تخلفت أو حتى تأخرت عن ميعاد للقاء . لكنه لم يتأكد أن شعوره كان حبا ، على الأقل مثل ذلك الذى جربه مع فريدة . فإذا كانت فريدة تمثل النشوة فإن شهيرة تجسد الإدمان ولذلك لم يستطع الإقلاع عنها . وبقدر ما كانت فريدة بسيطة وعفوية فإن شهيرة مثيرة وغامضة . لم يدرك أبدا أبعاد شعورها ناحيته . أحيانا كانت تثيره بحركة أو بكلمة أو بنظرة فيقبل عليها بشهية مفتوحة ، لكنها سرعان ما تصده فيدخل دائرة الإحباط التى عودته عليها . ولذلك عجز عن مفاتحتها فى موضوع الحب والزواج الذى كثيرا ما ناقشه مع فريدة وأعقبه ببعض القبلات الساخنة .

فى البداية كانت متلهفة على اشتراكه فى تدريبات التنس برغم أن حريشا أكد لها صعوبة تعلم التنس فى سن متأخرة . وقد أثبت مجدى عمليا رأى حريش لدرجة أنه اكتفى بالمشاهدة بعد شهر واحد فقط من تدريب فاشل ، لكنه أصبح مشاهدا واعيا بأسرار اللعبة واكتشف أن شهيرة لا تجيدها هى الأخرى . وإن كانت تجيد التأنق وارتداء أحدث أزياء التنس التى تثير حسد المشاهدات وإعجاب المشاهدين وأحيانا شهقاتهم . وقد أرجع مجدى هذا السلوك إلى أنها طلقت حديثا ولابد أنها تريد شغل فراغ حياتها وتجاوز الصدمة .

وقد تعجب لاهتمام حريش الزائد بها ، وكان من أسباب تردده فى مصارحتها بارتباطه بها . ولكن عندما ظهرت عليه علامات الإدمان لم يجد بدا من التساؤل فكان ردها بسيطا ومقنعا للغاية : أنها تمنحه من الأموال والمكافآت ما يجعله حريصا على تدريبها برغم عدم اشتراكها فى مباريات النادى . فهى تعشق اللعبة حتى ولو لم تحقق فيها درجة مرضية من الإجادة .

واقتنع مجدى و لم يعد إلى مثل هذه التساؤلات التى أحس بسخفها . ومع ذلك عجز عن مصارحتها بما يدور داخله . كان هناك حاجز غير مرئى بينهما ، لم يدرك كنهه أو أبعاده لكنه كلما حاول أن يتخطاه عاد على أعقابه متحينا فرصة جديدة . فى حين أن نشوته مع فريدة كانت تحيلهما فى أحيان كثيرة إلى كيان واحد سكران بخمر الحب المتجدد . أما شهيرة فمخلوقة تجمع فى داخلها كل المتناقضات التى لابد أن تجعلها فى تناقض مع الآخرين ، تناقض مثل الذى يشعر به مجدى بينه وبين السيجارة التى عاد إلى تدخينها بشراهة . فالإدمان مرحلة غريبة فى حياة الإنسان لا يعرف فيها إذا كان يحب الشيء الذى يدمنه أم أنه يكرهه ؟! ولعل هذه الحيرة هى التى تجعله عبدا كاملا له .

لم يحتمل مجدى هذه العبودية وهو الذى تعود أن يأمر فيطاع ، فلجأ إلى أمه طالبا العون فدهشت وتساءلت : كيف يندمج مع الغرباء ويصارحهم بكل شيء بل ويفرضهم على أسرته ، فى حين يعجز عن مصارحة ابنة خالته التى تنتمى إلى نفس المستوى الراق والأسرة العريقة ؟! ثم ألمحت إليه من طرف خفى أنها تحبه لكن حياء الأنثى منعها من التصريح أو حتى التلميح ، وإذا كان يبادلها نفس الشعور فعليه أن يثبت رجولته وأن يأخذ فى يده عنصر المبادرة وأن يضع الأمور فى نصابها وسيجدها عندئذ رهن إشارته .

خجل مجدى من تردده وعقد العزم على حسم أمره . كان يسبح معها فى حمام النادى ذات عصر قائظ فى يونيو ، واستراح لخلو الحمام من السابحين . قال لها وهو يمسح الماء عن وجهه :

— كنت أود يا شوشو أن أفاتحك فى موضوع حساس .. وأظن أن الفرصة قد حانت أخيرا !!

ضحكت مندهشة وهى تضرب المياه بساقيها :

— إن الحمام صنع للسباحة والهروب من قيظ الصيف . لا لمناقشة الموضوعات الحساسة !!

ارتسمت ملامح الإحباط المعتادة على وجهه وقال مستسلما :

— كما ترغبين !

بدت شهيرة وكأنها على وعى كامل بما سيتفوه به ، لكنها استمرأت لعبة القط والفأر :

— كما ترغب أنت !

— ماذا تقصدين ؟!

— أنا فى انتظار سماع الموضوع الحساس !

دق قلب مجدى بشدة ثم وقف ثابتا على أرض الحمام بحيث لم يبد منه سوى رأسه وقال :

— إننى أشعر أن ارتباطى بك لم يعد مجرد صداقة !

سكت ليلتقط أنفاسه التى أرهقها التدخين لكنها عاجلته مداعبة :

— طبعا .. فنحن أبناء خالة ولسنا مجرد أصدقاء !!

استأنف الحديث وقد زاد حرجه :

— ليس هذا ما أقصده ..

— إنك تتكلم اليوم كما لو كنت على وشك إعلان سر سيهز العالم كله !

— يبدو أنك على غير استعداد للإنصات ؟!

تداركت شهيرة موقفها وأحست بتجاوزها فسارعت بالقول :

— متأسفة .. تفضل !

فقد مجدى قدرا من تركيزه لكنه استأنف كلامه :

— كان قصدى أن ارتباطى بك جعلنى أشعر أننى لا أستطيع الابتعاد عنك أو العيش بدونك !

قالت كأنها تتحدث عن صديقة لها وليس عن نفسها :

— آه .. تقصد أنك تحبنى ؟!

ذهل مجدى لبرودها وهو الذى خطط وتردد وتلعثم قبل أن يفاتحها ، لكنه أخذ من برودها جرعة من بلادة الحس فقال :

— وأرغب فى التقدم لطلب يدك !!

— ليس هذا بالشيء الغريب .. فكثيرون فعلوا الشيء نفسه قبلك لكن الأقربين أولى بالمعروف !

ضحكت ضحكة عالية لكن مجدى لم يسترح للدعابة الثقيلة وخاصة أنها صعدت سلم الحمام بحركة استعراضية بالبكينى الأسود الذى كان بمثابة إطار رفيع ورقيق لجسمها الأبيض المرمرى . ذهبت إلى الدش ووراءها مجدى فطلبت منه إحضار الفوطة فذهب إلى حقيبتها ونفذ الأوامر . استرخت على مقعدها دون أن ترتدى ملابسها فجلس فى مواجهتها . فتح فمه ليتكلم فوجدها قد أغلقت عينيها فى جلستها المسترخية فلم يدر ماذا يفعل ؟! صمت لحظات ثم سألها بصوت عال :

— هل أفهم من كلامك أنك موافقة ؟!

فتحت عينيها نصف فتحة وتساءلت متثائبة :

ـــ موافقة على ماذا ؟!

ـــ على الزواج ؟!

ـــ ليس عندى مانع ! فأنت شاب يمكن أن يكون زوجا مثاليا !

ابتسم لما ظنه إطراء وقال مقاوما حياء العذارى :

ـــ أرجو أن أكون عند حسن ظنك !!

ـــ إنك طيب وهادىء ومرن وقد سئمت الأزواج العصبيين الذين يحاولون فرض أنفسهم على كما لو كان بيت الزوجية سجنا !!

ـــ طالما أن الثقة متوافرة فلابد أن تتوافر الحرية !!

ـــ ولابد أن تكون هذه الثقة متبادلة ؟!

ـــ أنا متفق معك تماما !

ـــ والآن هيا إلى حريش .

قامت شهيرة لارتداء ملابس التنس قائلة له :

ـــ لن أضغط عليك لاصطحابى إلى ملعب التنس .. يمكنك أن تذهب وتخبر طنط نظيرة بالاتفاق .. ولا تتصل بى فى البيت قبل العاشرة لأننى سأذهب لزيارة صديقة أجريت لها عملية المصران الأعور .

ارتدى مجدى ملابسه وركب سيارته سعيدا بأنها لم تصدمه فى عواطفه .

وعندما أخبر أمه بما تم لم يبد على وجهها أى انفعال وقالت بمنتهى البساطة :

ـــ علينا أن نبدأ من الآن الإعداد للزواج !

وعندما سألها مجدى مستفسرا :

ـــ والخطبة ؟!

تساءلت نظيرة هانم مندهشة للاستفسار :

— ألا ترى أنك عرفتها بما فيه الكفاية ؟! وآن الأوان الآن لتقع الطيور على أشكالها ؟!

— عندك حق يا ماما .

وفى الأسابيع التالية سافرت شهيرة إلى باريس وعادت بفستان الزفاف . كما انتهى مجدى من اللمسات النهائية فى شقته التى لم يقلقه فيها سوى ذكرى فريدة وخاصة تلك الليلة التى لا تنسى فى غرفة النوم .

وتم الزفاف فى نفس الفندق الواقع على طريق مطار القاهرة والذى شهد آخر لقاء بينه وبين فريدة . لكن سحر الليلة أنساه فريدة تماما . كانت ليلة من ألف ليلة وليلة . حضرها الأقارب والأصدقاء والمعارف ومن يرتبطون بالأسرة برباط الصفقات والمعاملات التجارية .

ازدانت القاعة بضوء الشموع الضخمة التى تربعت على كل موائد الحاضرين . وسبق العروسين فى كوكب الزفاف صفان من حملة المشاعل فى زيهم المملوكى ، أعقبهما صفان من الراقصات الشرقيات اللاتى تفجر لحمهن الأبيض أو الأسمر أو الخمرى تحت ملابسهن الشفافة فأعاد إلى الأذهان ذكريات أسواق الجوارى فى عصور الحريم الساحقة . وكانت دقات الدفوف فى أيديهن على إيقاع نهودهن وأردافهن بمثابة مقدمة لظهور الراقصة الشهيرة التى ظلت تتمايل يمنة ويسرة بجسدها العارى الذى ألمح للحاضرين بما سيقع بعد انفضاض الجمع .

وراء جسدها ظهر العروسان فى أبهى صورة وأمامهما أطفال فى عمر الورود ينثرن الورود يمنة ويسرة . كانت شهيرة تبدو فى فستان الزفاف وطرحته مخلوقا أثيريا يخلب الألباب ، ويحيط بالحسد ذلك الشاب الوسيم الأنيق الذى فاز بكل هذا الجمال . وخلف شهيرة سارت آنسات الشرف

الجميلات يحملن ذيل فستانها الذى امتد أمتارا .

وعندما استوى العروسان على مقعديهما مبتسمين للجميع ، افتتحت المأدبة الفاخرة وتناثر الخدم والحشم بأزيائهم المملوكية الحمراء يوزعون الأطعمة والمشروبات على جميع الموائد فى خفة ورشاقة ، فى حين صعد الفنانون ، الواحد بعد الآخر فوق خشبة مسرح القاعة يسلون الحاضرين . هذا بغنائه ، وهذه بطقاطيقها ، وذاك بنكاته وقفشاته ، وتلك برقصاتها التى قد لا تجرؤ على تقديمها فى النادى الليلى الذى تعمل به . لكن اهتمام الحاضرين كان منصبا أكثر على التهام الأطعمة بأسرع ما يمكن ، أو مناقشة آخر الصفقات التى لم تتم بعد ، أو الاتفاق على لقاءات غرامية خفية فى غيبة الزوج أو الزوجة . فى حين تهادت نظيرة هانم وأختها يلدز هانم بين الموائد لنثر التحيات والابتسامات والمداعبات والتمنيات الطيبة .

كانت ليلة عطر الأجساد ، ورائحة الورود ، ودخان السيجار وطلقات زجاجات الشمبانيا ، وغمز العيون ، ودقات الدفوف ، وهز الأرداف ، وضوء الشموع ووميض المجوهرات ، وقطرات العرق فى قيظ يوليو الذى لم تنجح القاعة المكيفة فى التخفيف من وطأته .

وعند الثالثة صباحا كان العروسان فى جناحهما الخاص بنفس الفندق . قبل مجدى عروسه وتذكر أنه يفعل ذلك لأول مرة فأسعده الخاطر . جلست بملابسها على حافة السرير لكن الخمر التى لعبت برأسه وطفحت على خلايا مخه أفقدته كل ضوابط الصبر والخجل فتقدم منها محاولا فتح مقدمة الفستان عنوة كادت تمزقه ، لكنها سرعان ما أبعدته ونهضت لخلع ملابسها بنفسها . تسابق مجدى معها فى خلع ملابسه حتى أصبح كما ولدته أمه . أما هى فجلست مرة أخرى بملابسها الداخلية التى تثير أكثر مما تخفى ، متلذذة

بعجلة مجدى . جلس بجوارها دون أن يلمسها فظلت هى ساكنة . خاف أن تنهض مرة أخرى وتبتعد عنه لكنه سمعها تقول فى صوت هامس مثير :

— يقولون إن الشباب الأرستقراطى لا يتمتع بنفس الحيوية التى يتميز بها الشباب الكادح !!

إنها تستفزه بوضعه موضع الاختبار . سيثبت لها أنه سيتفوق عليها فلا يعقل أن تكون الرفاهية سببا فى الضعف الجنسى . هجم عليها وجردها مما تبقى . ذهل عندما وجدها امرأة مجربة خبيرة ، لكن ذهوله تبدد عندما تذكر أنها تزوجت قبل ذلك . وذهبت كل محاولات التفوق أدراج الرياح ، لكن الشعور بالمتعة كان فائقا وغامضا . و لم ينغص عليه إحساسه الكامل به سوى ميله إلى النعاس فى نهايته نتيجة للإجهاد الذى سرى فى جسده فى الوقت الذى احتفظت فيه شهيرة بعينيها فى منتهى اليقظة والاتساع حتى بزوغ نور الفجر ، وتسلله من النافذة حتى بلغ جسدها العارى الذى تركته يفعل به ما شاء من الظلال والخطوط والمنحنيات فى المرآة الكبيرة الموازية للفراش حيث تأملته كثيرا ومن زوايا متعددة قبل أن يتسلل النوم الخفيف والمتقطع إلى جفونها .

***

١١

ألقت فريدة بالمجلة جانبا بعد أن شاهدت صور زفاف شهيرة إلى مجدى ، وعرفت بخبر سفرهما إلى إيطاليا وسويسرا وألمانيا وفرنسا لقضاء شهر العسل . كانت أمينة قد أحضرت المجلة لفريدة التى آثرت إبعادها عن البيت حتى لا يشعل الخبر المناقشات الساخنة مرة أخرى حول زواجها ورفضها للذين يتقدمون لطلب يدها . تصفحت الصور جيدا فوجدت معظم الوجوه الكالحة التى تعرفها جيدا وعلى رأسها وجه نظيرة هانم . انتابتها كآبة عارمة فألقت بالمجلة جانبا وانهمكت فى فحص أحد الملفات أمامها لكنها سمعت صوت نادر فى الديكتافون يطلبها فنهضت ذاهبة إليه .

كان نادر يتحدث فى التليفون عندما دخلت فأشار إليها بالجلوس فجلست ولاحظت أنه يتأمل وجهها مليا فأصابها ببعض الحرج ، وشكت فى جهله بخبر زواج مجدى الذى يبدو أنه نشر بصوره فى معظم الصحف والمجلات .

وضع نادر السماعة قائلا لها :

ــ تعرفين يا فريدة جيدا أننى لست مندفعا أو متهورا ، بل إننى أحيط العاطفة عندى دائما بسياج من العقل !!

بدت معالم الدهشة على وجه فريدة . لاحظها نادر واستمر :

ــ لك حق فى أن تدهشى لهذا الحديث المفاجئ فى وقت مثل هذا وفى مكان مثل هذا .. وكنت قد قررت بينى وبين نفسى أن أترك الظروف الطبيعية كى تمهد له .. لكننى فوجئت اليوم بضرورة سفرى إلى اليونان

وسويسرا وألمانيا لإنجاز أعمال للشركة لن تستغرق أقل من شهر .. ففكرت أيضا بأسلوب رجل الأعمال وقلت إن هذا الشهر سيكون بمثابة فرصة لك لتفكرى وتدرسى ما سوف أقوله لك دراسة موضوعية قائمة على أساس من العقل قبل العاطفة . فأنا من المؤمنين بأن العقل يمكنه أن يحب أيضا .. وأن حبه قد يكون راسخا وقويا بل وأكثر رسوخا وقوة من حب العاطفة المتقلبة !!

صمت نادر للحظات أدركت فيها فريدة ما ينوى أن يقوله ، وأن ما ظنته أملا سعيدا يمكن أن تعيش على نوره قد تحول إلى حقيقة جاثمة كالكابوس ، وتحتاج إلى معجزة كى تفلت منها إلى بر الأمان أو إلى شاطئ اليأس . وتعجبت من أمرها : كيف يصبح اليأس أملها الوحيد فى هذه الحياة ؟! خرجت من دوامة خواطرها على صوت نادر :

— لا أريد منك أن تتكلمى أو تبدى رأيا الآن .. كل ما أريده أن تستمعى إلى نهاية حديثى .. ولك أن تفكرى فيه تفكيرا صامتا حتى عودتى بإذن الله ..

نظرت فريدة إلى قدميها اللتين اهتزتا بعصبية فقال نادر :

— لقد اكتشفت يا فريدة أنك الفتاة الوحيدة التى اقتنعت بها .. وكنت أرقب موكب الخطاب والمعجبين فى صمت مؤمنا أن إرادتك فوق كل الاعتبارات .. لكن طالما أن الموقف قد تجمد على ما أعتقد .. أو أنت التى قمت بتجميده .. فمن حقى أن أجرب حظى أنا أيضا .. وخاصة أن وجودك أصبح مصدر سعادة لى لا أستطيع إنكاره .. فقد قمت باستعراض حياتى معك منذ أن قمت بتدريسك اللغة الإنجليزية فى بيتك فى المرحلة الثانوية .. كنت فى تلك الفترة بمثابة أختى الصغيرة العزيزة . ثم جرفتنى دوامة العمل بعيدا عنك لدرجة أننى لم أعلم شيئا عن خطبتك لابن عمك .. وعندما تخرجت وشرفتنى أن تعملى معى اكتشفت متأخرا أيضا أنك ارتبطت بزميل لك فى الكلية ..

لكننى قررت أن أفاتحك فى الوقت المناسب بعد أن تم فسخ خطبتك .. ومع إصرارك على رفض الذين تقدموا لك بعد ذلك .. رأيت أن أجرب حظى بعد أن أيقنت أنه لو كان الزواج مقدرا لى فستكونين زوجتى .

لم ترفع فريدة عينيها طوال هذه اللحظات التى تدفقت فيها كلمات نادر مثل موجات عنيفة على صخرة حياتها الجافة الصماء . أنهى نادر حديثه بقوله :

ــ هذا هو كل ما أردت أن أقوله .. وسأنتهى من إجراءات سفرى فى ظرف يومين أو ثلاثة .. بعدها أتركك وحيدة لتفكرى وأنا فى انتظار قرارك بعد عودتى بإذن الله .. وأرجو أن يكون قرارك كعادتك ، بملء حريتك ورغبتك دون أدنى حساسيات أو خجل .. وأنت فى كلتا الحالتين فى نظرى فريدة الرائعة المبهرة البسيطة التى تشع بالحياة على كل من حولها .

صمت نادر فشعر بالدوامة المفاجئة التى ابتلعت فريدة وشلت تفكيرها فأراد تغيير الجو بعد أن أبلغها الرسالة كاملة ، فتقمص لهجة رئيس العمل وأمرها مبتسما :

ــ أريد منك الآن أن تذهبى إلى مكتبك كى تنتهى من الدراسة التى طلبتها منك لملف الشركة اليونانية لأننى سآخذها معى فى رحلتى ..

وجدت فريدة نفسها وهى تقول بصوت بدا لها وكأنه صوت إنسان آخر :

ــ تحت أمرك ..

خرجت متماسكة قدر استطاعتها إلى أن بلغت مكتبها فأغلقته خلفها وارتمت على أول مقعد والدموع تنهمر من عينيها كسيل جارف . لأول مرة تشعر فيها أن إرادتها قد أصيبت بالشلل التام وأصبحت عاجزة عن أن

تلم شتات فكرها . نظرت إلى السقف كأنها تدعو الله أن يلهمها . فقد ارتسمت أمام عينيها علامات استفهام ضخمة عملاقة مرعبة تستحيل الإجابة على واحدة منها !! إن نادرا هو الوحيد على وجه الأرض الذى تخاف على صورتها أن تهتز فى عينيه وهذا الموضوع الذى أثاره معها كان يمكن أن يكون أسعد خبر فى حياتها ، وكان يمكن أن يحمل أمها على جناحى الفرحة العارمة ؟! لكن ما العمل وقد حولته الأيام إلى صدمة لم تفق منها ولا تعرف كيف تتجاوزها ؟! إنها لا تستطيع أن ترفض طلب أروع رجل عرفته فى حياتها ، رجل تتمناه أية فتاة أروع منها . كذلك فهى لا تستطيع فى الوقت نفسه أن تقبل طلبه وليكن ما يكون بعد ذلك . إنها لا يمكن أن تخدعه ولا تسمح لنفسها أن تصدمه . إنه شاب ككل الشباب ، ويمكنه أن يختار فى سوق الزواج أروع البنات !!

مرت اللحظات والثوانى والدقائق والساعات و لم تحرك فريدة ساكنا . ظلت على مقعدها تنوء بعبء أفكارها التى تنهشها من الداخل كالخناجر . وكانت قطرة المياه الباردة الوحيدة التى تساقطت على جحيمها المتصاعد فى الاشتعال أن أمامها شهرا وبضعة أيام للتفكير واتخاذ القرار . وتذكرت مثلا تعلمته فى حصة اللغة العربية عندما كانت طالبة بالمدرسة الثانوية يقول : ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال ! وحاولت أن تشغل نفسها بحساب كم يحتوى شهر كامل أو يزيد على طرفة عين وانتباهتها ؟ وبالتالى عدد احتمالات التغيير من حال إلى حال ..

لكن ما العمل إذا سارت الأمور على ما هى عليه و لم يتغير مجراها ؟! هربت مرة أخرى من علامة الاستفهام بتأملها لنادر وهو يقع فى رحلته فى غرام فتاة يونانية أو سويسرية أو ألمانية ، لكنها رجحت كفة اليونانية

للدماء اليونانية التى تجرى فى عروقه ، وتخيلته عائدا خجلا منها لأنه لم يستطع كبح جماح عاطفته ، لكنها بمجرد أن تراه تصفح عنه وتبارك زواجه من اليونانية بل وتضحك معه وتقول : إن ابن الوز عوام ومن شابه أباه فما ظلم .

لكنها تستيقظ مرة أخرى خجلة من أوهامها التى أوصلتها هذه المرة إلى هذا الحد من الخرافة . لقد سافر نادر من قبل مرارا إلى معظم البلاد الأوروبية والأمريكية ، وعاد حرا طليقا برغم أنه لم يكن مرتبطا بها أو بأية فتاة أخرى ، فكيف يقع هذه المرة فى غرام أجنبية بعد أن ارتبط بها ؟! إنها لو تركت نفسها لهذه الأوهام والهواجس فإنها يمكن أن تجن أو تنتحر !! وعليها الآن أن تعود تمسك بدفة حياتها ولتكن إرادة الله فى النهاية .

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة ظهرا . وقعت عيناها على صفحات المجلة المنشور عليها صور زفاف مجدى وشهيرة . أمسكت بالمجلة ومزقتها إربا وألقت بها فى صندوق القمامة . نهضت وذهبت إلى دورة المياه حيث غسلت وجهها فبدا أكثر نضرة وجمالا . فهى نادرا ما تستخدم مساحيق الزينة وألوانها .

عادت إلى مكتبها وطلبت قهوة ثم انكبت على الملف الذى طلب نادر دراسته ، وساعدها على ذلك أن سفره سيتم فى أيام معدودة وأنه سيأخذ الملف معه . وعليها بعد الانتهاء منه أن تفكر ما شاء لها التفكير . لكن خاطرا جديدا أطل برأسه عليها وأوحى إليها بمرارة الفراق عندما يسافر نادر . أيعقل أن يتحالف الحب أيضا عليها كى تصبح ريشة فى مهب الرياح ؟! هل هى فعلا تحب نادرا ولا تستطيع بعده عنها ؟! هل كان حبه كامنا فى قلبها كحمم البركان ثم انفجر عندما لمسه نادر هذا الصباح ؟! إن ألغاز الحياة وأسرار

الطبيعة قد تتبدى فى أقرب الناس إلينا دون أن ندرى !!

حاربت فريدة فى جبهتين : جبهة إتمام دراسة الملف وجبهة طرد الهواجس التى أصرت على مهاجمتها كلما ابتعدت عيناها عن صفحات الملف . وظلت على هذه الحال حتى الساعة الخامسة مساء عندما انتصرت فى الجبهة الأولى ، لكن الجبهة الثانية فتحت على مصراعيها وأوشكت أن تبتلعها وهى فى التاكسى فى طريق عودتها إلى بيتها .

لاحظت أختها أمينة حالتها المتوترة وأعصابها المشدودة ، كان قلقها على أختها فى الفترة الأخيرة قد تضاعف وخاصة أن أمها دخلت فيما يشبه المقاطعة معها . وإذا دار بينهما حوار فليس هناك موضوع سوى سيرة الزواج وقطار الزواج الذى لا ينتظر أحدا . انتظرت أمينة حتى غسلت أختها وجهها وتناولت لقمة سريعة واسترخت على سريرها صامتة فجاءت وجلست مداعبة إياها :

— لم يكن بالك مشغولا أيام الدراسة كما هو مشغول الآن ! برغم أننى أتمنى أن تنتهى أيام دراستى بأسرع ما يمكن !

أجابت فريدة وفكرها شارد :

— ليس هناك أبدع أو أروع من أيام الدراسة !! وللأسف لا يحس الإنسان بروعتها وجمالها إلا بعد أن تضيع من بين يديه !!

— أليست الأيام التى تعيشينها الآن من أروع ما يمكن ؟! الخطاب يتهافتون عليك والإعجاب يحيط بك فى كل مكان تذهبين إليه !!

— أروع من هذا كله هدوء البال الذى إذا فقده الإنسان فقد كل شىء ..

— وماذا يعكر بالك ؟!

أدركت فريدة فى الحال أنها دخلت من حيث لا تدرى فى المنطقة الوعرة القريبة من الكهف المظلم فعادت مسرعة منها :

— أبدا .. لا شىء !!

— لكننى أشعر أن هناك ما ينغص عليك حياتك ولا تريدين الإفضاء به ؟!

لم يخنها ذكاؤها وسرعة بديهتها :

— أبدا .. زادت مسئوليات العمل .. وزاد الطين بلة أن نادرا سيسافر فى ظرف يومين فى رحلة إلى اليونان وسويسرا وألمانيا تستغرق شهرا ..

أحدثت أمينة بشفتيها صوتا كمص الليمون وقالت بنظرات خبيثة :

— منذ متى كنت تحملين هم سفر نادر ؟! لقد لف العالم كله دون أن يحرك فيك شعرة ؟! الآن أصبح سفره زيادة الطين بلة .

— إنه زيادة لمسئولياتى وإجهادى فى العمل ؟!

قالت أمينة مستنكرة دبلوماسية أختها :

— لست أنا يا ست فافى التى يقال لها مثل هذا الكلام !! إننى أختك التى تحفظ شخصيتك عن ظهر قلب .. و لم أكن أظن أن استهانتك بذكائى يمكن أن تصل إلى هذا ؟!

نظرت إليها فريدة بمزيج من الريبة والخوف متسائلة :

— ماذا تقصدين يا مونى ؟! كلامك غريب هذه الليلة !!

— ما غريب إلا الشيطان !!

لم ترد فريدة وإن كان القلق ينهشها من الداخل . نظرت إليها أمينة نظرة حانية ضاحكة ثم ألقت بالقنبلة :

— أنت يا ست فافى غارقة حتى أذنيك فى حب جار العمر كما تسميه الست ماما !!

لكزتها فريدة بكوعها فى جانبها الأيمن وقد شعرت بكثير من الارتياح لتلاشى هواجسها التى أثارتها تلميحات أمينة . قالت فريدة :

— إنك تخرفين يا ست مونى ؟!

— وأنت تكذبين يا ست فافى ؟!

— أنت تعلمين كم أمقت الزيف والكذب والادعاء !!

— أنت تكذبين على نفسك !! وهذا أخطر من الكذب على الآخرين كما تعلمت منك يا أستاذتى الفاضلة !!

— لقد علمتك كلية الحقوق مقارعة الحجة بالحجة !!

— لم أفعل شيئا سوى السير على نهجك !!

— والآن ماذا تريدين بالضبط ؟!

— أريد أن أقول لك إنك فقدت قدرتك القديمة على الحسم ! لم يكن التردد والكآبة والشرود والصمت من طبيعتك .. ولو كنت متأكدة من ارتباط نادر بك فلا تترددى .. إنه معبود بنات الحى !!

قالت فريدة بحسم ذهلت له أمينة :

— لست متأكدة من شيء على الإطلاق !!

استدركت أمينة قائلة !

— آه فهمت .. إنه حب من طرف واحد !!

قالت فريدة فى ضيق من الحصار الذى تحاول أمينة أن تضربه حولها :

— أنت لا تفهمين شيئا على الإطلاق !!

— منك نستفيد .. أوافقك أنني لا أفهم شيئا على الإطلاق .. وعليك تقع مهمة إفهام أختك الغبية !!

دفعتها فريدة بكوعها حتى كادت أن توقع بها من فوق السرير قائلة !

— كفاك دلعا وتضييعا للوقت !! إن العام القادم هو عام الليسانس .. و لم تستعدى حتى الآن بقراءة المراجع الرئيسية .

قالت أمينة بنفس الإصرار والتحدى :

— إننى الآن فى العطلة الصيفية وليس من حق أحد أن يطالبنى بالمذاكرة !!

— كنت أقضى الصيف كله فى المذاكرة والاطلاع والقراءة !!

— أنت شخصية فريدة !! أى أنك اسم على مسمى .. لكننى على استعداد أن أقلدك وأذاكر الآن إذا قلت لى ماذا يضايقك ؟!

— لا تحملى همى يا مونى !! أمامك سنة حاسمة فى عمرك !!

— عموما إذا كان لك نصيب فى نادر .. فليوفقك الله .. إنه خير الشباب وأنت تستحقين كل خير ..

قبلت أمينة أختها وخرجت لمشاهدة التليفزيون فى الصالة . أما فريدة فقد مدت جسدها المنهك المشدود على الفراش وظلت تتأمل السقف بذهنها الشارد . ما الذى تحمله الأيام القادمة لها ؟! لقد جردها ذلك الأحمق المأفون من السلاح الذى تواجه به الفتاة الشرقية مجتمعها ، وكتب عليها أن تحارب بصدر عار فى معركة لا تملك فيها سوى ذكائها الذى لا يسعفها الآن بالخروج من الهوة التى فتحت فاها لتبتلعها .

غفت عيناها فحلمت بنادر وهو يقابل مجدى فى سويسرا ويقص عليه سرها الرهيب . استيقظت فزعة ونهضت جالسة فى فراشها ولسانها يلهج :

اللهم اجعله خيرا !! ماذا لو كان مجدى قد تندر بسرها بين أصدقائه وأقاربه ! لقد تاهت هذه الفكرة عن ذهنها تماما على الرغم من أنها متوقعة إلى حد كبير !! ألم تعمل على إهانته وجرحه فى آخر لقاء بينهما ؟! أليس من الطبيعى أن ينتقم لنفسه بأن يفضحها أمام الجميع ؟! لا .. إن مجدى ليس بهذه الخسة والنذالة !! إن كل مشكلته تنحصر فى ضعف شخصيته وانقياده التام لأمه ! لكنه كان يحبها حبا أقرب إلى العبادة حتى إنه هدد أمه بالانتحار إذا لم تتم الخطبة . لا .. إن مجدى ليس من هذا النوع .. وخاصة أنه تزوج من ابنة خالته وراح كل منهما إلى حال سبيله !

استراحت فريدة لهذا الخاطر لكنه ترك شيئا فى داخلها أضاف إليه منغصا جديدا ، وإن كان غامضا خافتا مثل بدايات الألم الذى يحدثه الضرس عندما يستسلم لضربات السوس .

مدت جسدها المنهك المشدود مرة أخرى فوق الفراش وغفت العينان على أحلام كان بطلها نادر . وبين النوم واليقظة تعجبت للصدفة التى دفعت بنادر إلى السفر إلى بلدين من البلاد التى سيقضى بها مجدى شهر العسل . أليس من المحتمل أن يتقابلا ؟! لكنه احتمال ضئيل ومستحيل ! إنها بلاد كبيرة وسيتردد نادر على مراكز العمل والإنتاج فى حين سيتجول مجدى وزوجته فى أماكن السياحة والترفيه . لكن بعد الأحداث التى مرت بها أصبح كل شيء محتملا وممكنا ومتوقعا ! فليكن ما يكون . وعادت فريدة إلى نومها الخفيف المتقطع .

مرت الأيام الثلاثة وفريدة تتقلب على جمر الحيرة والقلق والتشتت ، برغم من عذوبة نادر الفائقة ومداعبته المستمرة لها وخاصة حينما ذكرها بالقرداتى الذى بشرهما بالحياة السعيدة والعمر المديد . كانت تجاريه حرصا على مجاملته

حتى لا يسافر متكدرا بأية حال من الأحوال .

صممت فريدة على توديعه فى المطار . فاستيقظت فى الفجر ومعها أبوها الذى حاول أن يعد لها إفطارا سريعا لكنها اكتفت بكوب شاى لعدم تعودها تناول شيء فى مثل هذا الوقت المبكر . ارتدت بنطلونا من الجينز الأزرق الباهت وبلوزة بيضاء خفيفة تناسب رطوبة الصباح وحرارته فى شهر أغسطس . وقفت فى الشرفة فبدا الشارع وديعا ساكنا صامتا باستثناء حركة بائع البليلة والفطير الذى كان يتجاذب أطراف الحديث مع اثنين من زبائنه .

وصل الأستاذ قدرى أبو نادر بعربته من الجاراج ووقف بها أمام باب المنزل . وبعد دقائق هبط نادر حاملا حقيبة سفر كبيرة وأخرى صغيرة وخلفه أمه ، حيته فريدة من الشرفة وفى لحظات كانت معهم فى العربة التى قادها أبوه فى حين جلست أمه إلى جواره وجلست هى إلى جوار نادر . انطلقت العربة فى الشارع الخالى ومعها انطلق خاطر فى وجدان فريدة أسعده وأشقاه فى الوقت نفسه . كانت جلستها إلى جواره وكأنها زوجته تماما .

أما أمه فظلت تثرثر وتضحك طوال الطريق . أحيانا بعربيتها المتكسرة وأحيانا باليونانية التى يجيدها زوجها وابنها . قارنت فريدة بينها وبين أمها التى تبدو وكأنها تحمل هموم العالم كلها فوق كتفيها ، بحيث تبدو أكبر من أم نادر بسنوات عديدة فى حين أن الواقع يؤكد أنها تكبر أمها بعشر سنوات على الأقل . كذلك فإن أباه كان يقود العربة بحيوية الشباب ومعلقا على المشاهد التى مرت بها العربة .

وسرعان ما قطعت العربة مصر الجديدة منطلقة فى طريق المطار حيث مرت بالفندق الذى شهد آخر لقاء بينها وبين مجدى . ثم شهد بعد ذلك زواجه من شهيرة ، وها هو الآن يشهد توديعها لنادر . غمرتها فى تلك

اللحظة موجة من الحنين الجارف لنادر ، ودت لو احتضنته وقبلته . اقترب المطار فتزايدت دقات قلبها مع هدير الطائرات الصاعدة والهابطة . لم تدرك مدى ارتباطها بنادر مثلما أدركته فى تلك اللحظة . أحست أن الطائرة التى ستحمله إلى أثينا ستأخذ قطعة من قلبها وستتركه ينزف حتى يعود بالسلامة .

حمل نادر الحقيبة الكبيرة فى حين أصرت على حمل الصغيرة . انشغلت معه فى إجراءات السفر فى حين وقف الأب والأم يتضاحكان . وعندما طلب ميكروفون المطار من المسافرين إلى أثينا الاستعداد لركوب الطائرة ، قبّل نادر والديه مودعا ، ثم قبّل فريدة أربع قبلات فى وجنتيها انحرفت منها الأخيرة إلى نصف شفتيها فدفعت داخلها بشحنة كهربية كادت توقف قلبها . أوصاها بنفسها وبالمكتب وبوالديه فقالت له محاولة إيقاف طوفان الدموع : إن كل ما طلبه فى عينيها . فرد وهو يبتعد داخل صالة الخروج : وما أجملهما من عينين !!

عندما اختفى نادر داخل الصالة نظر الأب والأم إلى فريدة نظرات كلها معنى . أمسكت الأم بيدها وساروا إلى حيث العربة . جلست فريدة فى المقعد الخلفى يكاد فراغه يقتلها . سألها الأستاذ قدرى عما إذا كانت ذاهبة إلى البيت أو إلى العمل ؟! فقالت إنها ستنزل فى ميدان رمسيس ومن هناك إلى عملها لأنها لا تريد أن تثقل عليهما . فضحك الأب وأفهمها أن عملها فى طريقهما لأنهما سيقضيان اليوم وسيتناولان الغداء عند الهرم ، ودعاها لمصاحبتهما لكنها اعتذرت بضغوط العمل التى فى انتظارها .

وقفت العربة أمام مبنى الشركة فهبطت منها فريدة . دخلت مكتبها وأغلقته خلفها . ضاعف صمت المكتب من إحساسها الخانق بالفراغ . إنها

لا تستطيع تخيل الشركة بدونه ، بل الدنيا كلها !! لن ينادى عليها أو يطلبها طوال شهر كامل من الآن !! ستفتقد دعاباته ونكاته وخفة روحه وإقباله على الحياة . وعليها طوال هذا الشهر أن تصل إلى حل للمعضلة المستحيلة التى خلفها وراءه.وهذا البحث المميت كتب عليها وحدها . فمن المستحيل أن تشرك فيه حتى أقرب الأقرباء .

الأبواب كلها موصدة ، والمداخل مسدودة ، والظلمة حالكة ، والرأس يكاد ينفجر فى انتظار معجزة لا تعرف أبعادها ولا كيف تهبط !!

بعد أن انتهت من ارتشاف آخر قطرة من ثانى فنجان قهوة . استرخت قليلا على مقعدها وإذ بخاطر يومض فى الأفق مثل البرق فى ليلة مطيرة . تذكرت عندما كانت فى الجامعة حديث بعض الزميلات عمن يقوم بعمليات ترقيع غشاء البكارة . وكانت إحداهن قد أجريت لها فعلا بعد أن تورطت مع زميل لها تخلى عنها بعد ذلك . وقد تزوجت هذه الزميلة وأنجبت وتعيش الآن سعيدة مع زوجها ومن السهل الاتصال بها وسؤالها عن ذلك الأخصائى .

لكن الغريب أن هذا الخاطر بدلا من أن يسعدها للمخرج الذى وجدته فيه من ورطتها زاد حيرتها وهمها ! ويبدو أن أى خاطر سيطرأ على بالها من الآن فصاعدا لن يسبب لها سوى المزيد من التشتت والضياع والعذاب !! فهى لا يمكن أن تبنى حياتها مع نادر — ونادر بالذات — على غش وخداع . إنه أشرف لها أن ترفضه أو أن تصارحه بالحقيقة أو حتى تفقد حياتها كلها من أن تخدعه وهو مثال الصدق مع النفس ومع الآخرين .

ومع ذلك فهى لا تريد أن تصدمه . بل إنها لا تزال تستشعر طعم قبلاته فى المطار ، وإن كانت قبلات أخوية فى ظاهرها ، لكن الأخيرة أفلتت

وأعلنت عن حقيقة مشاعره . كذلك فقد أوصاها بوالديه وبمكتبه ووعدته بأن كل طلباته فى عينيها . فكيف بعد كل هذا ترفضه أو تصدمه بالحقيقة ؟! كذلك فإن حياتها فى نظرها غالية ولا تستطيع أن تفرط فيها كما تفعل الساذجات اللاتى ينتحرن .

ويعود السؤال الضخم المرعب ليجثم على أنفاسها : ما العمل ؟! وهل يمكن أن تصل إلى إجابة شافية له مع اقتراب نهاية الشهر ؟!

١٢

عاد مجدى من رحلة شهر العسل وقد اكتشف أبعادا جديدة فى شخصية زوجته . فقد كان يظن أنها تعشق كل ما هو أجنبى ، لكنه فوجىء بها وهى فى الخارج والحنين يكاد يقتلها للعودة إلى مصر . حتى عندما كانا فى إيطاليا فى صحبة أبيها رجل الأعمال المقيم هناك قدم لهما سياحة كالأحلام بين فينيسيا وفلورنسا وكابرى وروما ، كانت تفكر أو تشرد كأن شيئا ضاع منها . وعندما فاتحها فى الموضوع اكتشف أنه الحنين القاتل إلى مصر . وقد تضاعف حبه لها منذ تلك اللحظة ، فهو شخصيا يشعر بالغربة فى أى مكان خارج مصر . وقد تشرب هذا من أبيه الذى كانت أمه تقول عنه إن الدماء المصرية فى عروقه أقوى من التركية !!

وعندما سافرا إلى سويسرا لقضاء أسبوع عند أخته ، لم تسحرها خضرة السهول والوديان وشموخ الجبال والتلال وروعة المناظر الطبيعية والمشاهد البشرية من عيون زرقاء وهالات ذهبية ووجوه تنافس الطبيعة فى نقائها وشفافيتها . كان كل حديثها عن مصر وشلة النادى والأصدقاء والتنس

لدرجة أن أخته تعجبت لهذا التغيير الذى طرأ عليها بلا مبرر . فقد كانت فى صباها تستخدم كلمة « البلدى » لكل ما هو مصرى ، وتفخر بأبيها الذى سمى باسم السلطان عبد الحميد ، ثم انتقلت النعرة التركية الشركسية إلى النعرة الأوروبية . وعندما برر مجدى تغير سلوكها لأخته بأنها قد اكتشفت خطأها عندما كبرت ونضجت ، لم تقتنع أخته وعبرت عن اعتقادها عن أن فى الأمر سرا . لكن مجدى لم يأخذ كلام أخته على محمل الجد وخاصة أنها ابتعدت عن مصر أكثر من عشر سنوات .

وفى ألمانيا انتهزت شهيرة الفرصة لتمارس ألمانيتها التى تعلمتها فى المدرسة والجامعة ، مما أثار ضيق مجدى بها لأنها لم تحاول أن تترجم له أى حوار دار بينها وبين الألمان . لكن الزيارة سرعان ما انتهت عندما طارا من ميونخ إلى باريس : المحطة الأخيرة فى رحلة شهر العسل ، وهناك عرف كيف ينتقم منها لبراعته فى الفرنسية التى لا تجيدها . وفى اليوم الأخير قبل سفرهما شاهدا عرضا من عروض كباريه المولان روج فى ميدان البيجال الشهير . وفى إحدى فقرات العرض رقص زنجى مع فتاة بيضاء رقصة فاضحة مثيرة فى حين صمت الجمهور الثرى الأرستقراطى كأن على رءوسهم الطير . وإذ بشهيرة وسط هذا الصمت الذى لا تتخلله سوى دقات طبلة مجنونة مسعورة تشهق وتقول : إنه يشبه حريشا . وتأمل مجدى الراقص الزنجى مليا فلم يجد أى تشابه بينه وبين حريش سوى فى لون البشرة . وعندما قال مجدى هذا لشهيرة تراجعت محرجة وقالت إنه بدا لها هكذا لأول وهلة .

كان مجدى سعيدا برحلة شهر العسل . فقد كانت زاخرة بالتجدد والحيوية وتأكد من أنه أصبح معبود شهيرة . ذلك أنه لم يترك فرصة إلا وأمتعها فيها ، وإن كان الاختلاف الوحيد بينهما أنها تحب ممارسة الجنس

فى مظاهره الحسية البحتة فى حين أنه من عشاق توابل الجنس ومقدماته التى تستغرق معظم الوقت بحيث لا يأتى الجنس نفسه إلا فى نهاية المطاف . لكنه أثبت لها أنه الذكر الذى يملك المفتاح السرى لعالم الجنس السحرى .

لكن الأمور لم تسر على نفس المنوال بعد عودتهما إلى مصر . فقد هاجمته الذكريات بعنف بمجرد أن استقرا فى شقته بالطابق التاسع . كانت صورة فريدة وهى ملقاة على الفراش كأرنب وديع ينهشه صقر جارح تطارده كلما دخل غرفة النوم مسرح أحداث ليلة رأس السنة . ولاحظت شهيرة أن كفاءته التى لمستها فى أوروبا لم تعد على نفس المستوى لكنها لم تعبأ كثيرا مما أثار حيرة مجدى الذى جرب بنفسه نهمها المتواصل وشبقها المستعر للجنس ، ومما ضاعف من تقديره لها لاعتقاده بأنها تضغط على رغباتها وتكبتها حتى لا تحرجه ، وحتى يستعيد لياقته الطبيعية دون مجهود مفتعل .

وكلما تباعدت عنه كان إحساسه بالذنب يتضاعف . فكانت تقضى معظم وقتها فى النادى ، فى حين بدأ يميل إلى العزلة خوفا من أن ينكشف سره وأملا فى أن تنقضى الغمة . لكن الأمور سارت من سيء لى أسوأ وطارده وهم استسخفه فى بادىء الأمر لكنه عندما ألح على وجدانه أثار فيه الرعب . كان الوهم يؤكد له أن ذنب فريدة لن يضيع هباء . فقد حطم مستقبلها وقضى على أملها فى الحياة ، ولا يعقل أن يمر كل هذا دون عقاب !!

لكن ما ذنب شهيرة المتفتحة للحب والعاشقة للحياة حتى تكتشف فى أعقاب شهر العسل أن زوجها غير قادر على إرضائها وإشباعها برغم صغر سنه وحيويته المفترضة !! كانت عروقه تنبض أحيانا بالشهوة فيسرع بها إلى شهيرة ، لكن بمجرد لمسها ترتخى العروق وتنطفئ الجذوة !! والأعجب من هذا أنها كانت تتقبل الموقف كأنه شيء معتاد بحيث تنام ملء جفونها ، ويظل

يتقلب فى فراشه حتى بزوغ نور الفجر . كان يحمل سره بين جوانبه لا يستطيع أن يدلى به لأحد حتى لأمه التى اعتادت الاستماع إلى أدق أسراره من قبل .

صبر لعل الأمور تتحسن لكنها عندما تفاقمت أقنع نفسه بأنها ليست مجرد نتيجة لأسباب نفسية عابرة ، بل هى مشكلة عضوية لابد أن يحلها طبيب أخصائى . لم يستشر أحدا فى اختيار الطبيب المناسب بل فتح دليل التليفونات خلسة واختار أستاذا حاصلا على الدكتوراه فى أمراض الضعف الجنسى . وادعى أنه بصدد زيارة صديق له أصيب فى حادثة حتى لا تشك شهيرة فى حقيقة تردده على الطبيب المعالج . وقد تقبلت شهيرة الموضوع بمنتهى البساطة ، وتمنت السلامة لصديقه ، وانطلقت إلى النادى حيث التنس والأصدقاء . وطالما قال فى نفسه عنها : كم هى أصيلة ؟! إنها لا تريد أن تشعره بأى حرج ! فمن المحتمل جدا وهى المرأة الخبيرة المجربة أن تكون على وعى بما يدور فى داخله .

أوقف مجدى عربته بعيدا عن ميدان باب اللوق وسار على قدميه حتى الميدان وهو يتلفت يمنة ويسرة خوفا من أن يراه أحد أو أن يقابل أحدا . قرأ اسم الطبيب على قائمة الأطباء بجوار المصعد فى مدخل المبنى فوجد أن عيادته فى الدور التاسع مما أسعده بعض الشىء لاعتقاده أن هذا الطابق العالى سيكون بعيدا عن الأعين المتلصصة .

وقف به المصعد عند الدور التاسع بعد أن تحاشى نظرات كل الواقفين معه . دخل العيادة الهادئة النظيفة بعد ميعاد افتتاحها بخمس دقائق حتى يضمن أن يتم الكشف عليه قبل توافد المرضى . وبالفعل لم يجد سوى الممرض الذى سأله عن اسمه لتسجيل دوره فى الكشف فأدلى باسم مستعار

من وحى الخاطر . وجلس فى غرفة الانتظار . دقت ساعة الحائط السادسة والنصف و لم يطلبه أحد . سأل الممرض الذى أخبره أن الطبيب لم يصل بعد لكنه لن يتأخر وبدأ المرضى فى التوافد فندم مجدى على مجيئه مبكرا وفكر فى مغادرة العيادة بلا عودة . وعندما سيطرت عليه الفكرة وهم بالقيام شعر بحركة غير عادية وباب يفتح ويغلق وبعد لحظات وقف الممرض ينادى : « السيد نادر قدرى » ، لكن مجدى لم يرد لأنه نسى الاسم المستعار الذى أدلى به وعندما كرر الممرض النداء نهض مشدودا وسط دهشة المترددين من الرجل الذى نسى اسمه . لكن دهشتهم لم تكن أقل من دهشة مجدى نفسه لاختياره اسم نادر قدرى بالذات وبلا وعى .

كان الطبيب يرتدى معطفه الأبيض الناصع ويقف بجوار مكتبه . رحب به بابتسامة رقيقة وطلب منه الجلوس فجلس على المقعد المقابل لمكتبه فى حين لم يجلس الطبيب خلف مكتبه بل جلس قبالته . سأله والابتسامة الحانية لا تزال على وجهه :

ــ هل يمكن أن تقص لى يا سيد نادر كل الأعراض التى تشعر بها دون أدنى حرج .. فربما اكتشفنا أن المشكلة كلها لا تخرج عن حدود مشكلة عارضة أو مؤقتة ؟!

تردد مجدى ونظر إلى الطبيب نظرات حائرة ، فتظاهر الأخير بدوره بتصفح مجلة طبية أمامه ، استجمع مجدى شجاعته وقال :

ــ لقد تزوجت منذ شهرين فقط ، وكانت حياتى الزوجية فى شهر العسل طبيعية للغاية ، بل وممتعة وإن شابها بعض الإجهاد الذى أعتقد أنه كان بسبب تنقلنا الدائم بين إيطاليا وسويسرا وألمانيا وفرنسا فى فترة وجيزة لا تزيد على شهر ، لكن الغريب أن المشكلة بدأت بعد عودتنا واستقرارنا فى بيتنا ، لم

تخفت رغبتى فى زوجتى ، لكنها كانت سرعان ما تتلاشى بمجرد أن ألامسها . وظننت أن المشكلة عارضة أو مؤقتة كما تظن سيادتك .. لكنها تفاقمت لدرجة أننى بدأت أشك فى رغبتى فى الجنس الآخر بصفة عامة وليس فى زوجتى بصفة خاصة . لقد تحولت حياتى إلى جحيم نتيجة لأحاسيس الإحباط والذنب تجاه زوجتى على الرغم من أنها صامدة صابرة لدرجة أنها لم تحاول حتى مجرد التلميح إلى بأى شىء .. هذه هى مشكلتى يا دكتور ..

صمت مجدى فرأى الطبيب لا يزال يقلب فى صفحات المجلة وهو يهز رأسه علامة الإنصات الكامل . قال له :

ـــ الأمر كما يبدو لى مبدئيا يصدر عن مشكلة نفسية أكثر منها مرض عضوى .. لكن الفحوص والتحليلات ستوضح لنا كل شىء بصفة مؤكدة .. وبناء عليها سنقرر إذا كنت تحتاج إلى علاج عضوى أم نفسى . تفضل على سرير الكشف .

أشار الطبيب بيده إلى السرير الواقع خلف برافان . اختفى مجدى خلفه وخلع ملابسه واستلقى على السرير . ذهب الطبيب خلفه واستمر الفحص ما يقرب من نصف ساعة . خرج الطبيب ليغسل يديه فى حين عاد مجدى إلى ارتداء ملابسه . قال الطبيب :

ـــ سأطلب منك بعض التحليلات وبناء على نتيجتها سنقرر نوع العلاج ..

سأله مجدى قلقا من خلف البرافان :

ـــ هل اكتشفت يا دكتور شيئا غير طبيعى ؟!

ـــ أبدا .. حتى الآن كل شىء طبيعى .. وصحتك ممتازة .. لكننى فى

انتظار نتيجة التحليلات .. وسأدلك على معمل طبيب ممتاز لعملها .

أخذ مجدى بطاقة طبيب التحليلات ودفع أجر الكشف وخرج وفى اليومين التاليين تردد على المعمل مجريا التحليلات المطلوبة ، ومعتذرا لشهيرة بزيارة صديقه الراقد فى المستشفى لإصابته فى حادث . وهو العذر الذى كانت تتقبله بانشراح غريب .

عاد مجدى إلى الطبيب ومعه نتيجة التحليلات التى قرأها بعناية ومجدى يكاد يرتعش تلهفا على معرفة النتيجة . خلع الطبيب نظارته الطبية وهو يقول فى هدوء :

ـــ ليس لديك أى مرض أو ضعف عضوى يا سيد نـادر .. وكل ما أستطيع أن أكتبه لك بعض الفيتامينات .. وعليك بالتغذية المنتظمة وسأطلب منك التركيز على بعض الأطعمة المعينة .. وعليك أيضا بالابتعاد عن التوتر والقلق قدر الإمكان .. أما إذا لم تشعر بتحسن فأوصيك بالتردد على طبيب نفسى سأعطيك اسمه وعنوانه ..

شكر مجدى الطبيب وخرج إلى سيارته التى ركبها منطلقا سعيدا بخلو جسمه من أى ضعف جنسى ، ومدفوعا بالرغبة التى اشتعلت داخله إلى حيث شهيرة . انطلق مذياع السيارة بموسيقى خفيفة مرحة صاحبها مجدى بصفيره ، فى حين بدت أضواء المحال ومصابيح الشارع أكثر إبهارا وبهجة ، وصل إلى العمارة واستقل المصعد وهو لا يزال يطلق نفس الصفير الجزل . كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة مساء . فتح باب شقته ونادى على شهيرة لكنها لم تكن موجودة ، صعد إلى شقة أمه فنفت علمها بأى شىء عنها . عاد إلى شقته واتصل بالنادى فأخبروه أنها كانت تتدرب مع حريش حتى السابعة مساء وبعد ذلك لم يرها أحد .

خرج إلى الشرفة والقلق ينهشه . هل يمكن أن يكون قد وقع لها حادث ؟! إن صديقاتها قليلات ولا تزورهن إلا فى المناسبات !! ذرع الشرفة جيئة وذهابا ، ومن حين لآخر كان يطل على الشارع . سمع وقع أقدام أمه فوق أرضية الشرفة العليا نظر إلى أعلى فرأى وجه أمه مطلا ثم اختفى بسرعة . لابد أنها قلقة على شهيرة هى الأخرى ؟! فجأة استطاع أن يميز سيارة شهيرة وهى تقف أمام باب العمارة برغم ارتفاع المسافة . مرت الدقائق ثقيلة . سمع باب المصعد وهو يقف ، ثم باب الشقة وهو يفتح وشهيرة تقول له فى بساطة وبهجة :

— وجدت سيارتك تحت فتعجبت لمجيئك مبكرا اليوم !.. كيف حال صديقك !

— أين كنت ؟!

— تصور أن إنجى وقع لها نفس حادث صديقك !

— من هى إنجى ؟!

— صديقتى منذ أيام الدراسة ..

— لم أرها فى النادى ؟!

— إنها عضو فى نادى المعادى لأنها تعيش هناك !!

— وهل ستبقى فى المستشفى مدة كبيرة ؟!

— ليس أقل من شهر .. ثم تستكمل علاجها فى المنزل !!

— معدل الحوادث زاد هذه الأيام بدرجة مخيفة !

— وكيف حال صديقك ؟!

— الحمد لله .. سيخرج غدا من المستشفى ..

دخلت شهيرة غرفة النوم وخلفها مجدى . تجردت من كل شىء باستثناء

الملابس الداخلية الحمراء . لكن مجدى اكتشف أن الرغبة التى دفعت به من عيادة الطبيب إلى شهيرة كانت قد تلاشت كالبخار ، لكن شهيرة ارتدت ملابس النوم وتمددت فى سريرها بتلذذ واضح برغم أن الساعة لم تكن تجاوزت العاشرة والنصف ، خرج مجدى إلى الشرفة وجلس على مقعده الهزاز الذى أخذه من شقة أمه ، وظل يدخن حتى ساعة متأخرة من الليل وهو يفكر ويتساءل : ما العمل ؟!

١٣

لا يوجد على وجه الأرض اليوم من هو أسعد من الست بهية . إن ما يدور لم تكن تتوقعه حتى فى الأحلام والأوهام . فاليوم تتم خطبة نادر لفريدة ، نادر الجار القديم والشاب الناجح معبود بنات الحى . و لم يعكر سعادة الست بهية سوى انعقاد الخطبة فى شهر سبتمبر ، وهو الشهر الذى تمت فيه خطبتها فى مرتين سابقتين فاشلتين . لكن إحساسها بأن نادرا يختلف تماما عن الخطيبين السابقين جعل الطمأنينة تسرى فى قلبها الملهوف .

كان نادر قد عاد من رحلته من الخارج ، وقبل مرور أسبوعين من عودته تقدم بطلب يد فريدة من الأستاذ صبرى الذى لم يجد زوجا أنسب منه لابنته . بل إنه لا ينكر أنه فكر فيه من قبل عريسا لها ، لكنه كان يضحك من نفسه عندما يتخيل نفسه طالبا منه أن يتزوج ابنته ، وسرعان ما لاحظ التغير الشامل فى كلام ابنته وسلوكها . فقد انقلبت الكآبة والحزن والضيق والتوتر والقلق إلى انطلاق وحيوية وبشر وتفاؤل وسعادة . وعادت

فريدة لتشع بالحياة على كل من حولها ، فذكرته بأيام صباها المبكر عندما لم يسلم أحد من نكاتها الطريفة وتعليقاتها اللاذعة وملاحظاتها الساخرة . وفسر الأستاذ صبرى هذا التغير بأن ابنته كانت تحب نادرا حبا يائسا من طرف واحد ، ومن هنا كانت معاناتها ، لكن بمجرد أن استجاب الطرف الآخر تبخرت الآلام أمام زحف القلوب النضرة .

وقد استراحت الست بهية تماما لتفسير زوجها ، بل إن أمينة أكدت أنه كان تفسيرها منذ البداية حين قالته لأختها التى رفضته بدافع من عزة نفسها . لكن الأيام أثبتت أن نظرتها إلى الأمور لا تخيب أبدا .

أما خبر خطبة نادر لفريدة فلم تكن مفاجأة للعاملين فى الشركة . كان إعزازه لها باديا كالشمس لكل ذى عينين . ونظرا للجدية التى ميزت سلوك نادر مع كل العاملين فقد أيقنوا أن الأمر لابد أن ينتهى بالخطبة والزواج . كذلك فإن الحالة المضطربة المشوشة التى لاحظها العاملون على فريدة طوال سفر نادر أكدت لهم أنها تحبه لدرجة الجنون . ولذلك كانت الخطبة فى نظرهم تحصيل حاصل ، وود الجميع حضورها لولا أنه أخبرهم آسفا بأنها قاصرة على أفراد الأسرتين .

كانت الست بهية تريد إقامة حفل فاخر يتحدث عنه الحى كله ، مهما كلفها من نفقات . كما اشتاقت لنشر صورة الخطيبين فى الصحف . لكن نادرا بعقلية رجل الأعمال — وكانت فريدة متفقة معه تماما — أكد للست بهية أن جحا أولى بلحم ثوره . فرواد الحفل سيأكلون هنيئا ويشربون مريئا ثم يبدعون فى ممارسة هوايتهم المفضلة فى النقد والتجريح . كذلك فإن نشر صورة الخطيبين فى الصحف لن يهم سوى الصحيفة التى تكسب من وراء النشر ، كما يهم أصحاب الشأن أنفسهم الذين ليسوا فى حاجة إلى النشر

أصلا . فكلها مصاريف ونفقات من أجل المظاهر التى لن تعود بشىء على أصحابها ، وإذا عادت فربما بوجع الدماغ .

لكن الست بهية أصرت على التعبير عن فرحتها بهذا الأسلوب التقليدى . فما كان من نادر الخبير بمعاملة مختلف أنماط الناس إلا أن ألقى بالقنبلة التى احتفظ بها فى نهاية الحوار لإيمانه بأنها ستبطل كل حجج الست بهية . قال لها بمنتهى الجدية الصارمة :

ـــ إننا لن نكسب من وراء هذه المظاهر سوى الحسد والعين الشريرة !!

عندئذ تضاءلت الست بهية فى مقعدها قائلة :

ـــ عندك حق يا حبيبى !!

واصل نادر زحفه محطما كل أصنام الست بهية على مرأى من زوجها السعيد بآراء نادر الاقتصادية . قال نادر :

ـــ ولن ندعو أحدا لأننى لست على استعداد أن أجامل المدعوين بكلام تافه لا معنى له لمجرد وجودهم معى .

احتجت الست بهية :

ـــ الخطبة « الفطيس » ستثير تعليقات الناس وسخريتهم !

لم يسكت نادر :

ـــ لقد أقيمت خطبة فاخرة لفريدة من قبل .. انظرى ماذا كانت النتيجة ؟!

استسلمت الست بهية تماما :

ـــ ليكن لك ما تشاء .. المهم سعادتكما وبُعد عين الحسود عنكما .

وتم الحفل كما أراد نادر تماما . حفل لم يستغرق أكثر من نصف ساعة ، دعا بعدها نادر خطيبته للسهر خارجا .

ركبت معه العربة . لم تسأله عن وجهته . فهى على استعداد أن تذهب معه حتى نهاية العالم . انطلقت العربة وهى تتحسس الدبلة بتقديس لا مزيد عليه . عبرت العربة قلب شبرا حتى طريق الكورنيش وإذا بها تتوقف فى نفس المكان الذى توقفت فيه من قبل يوم قام نادر بتوصيل فريدة إلى بيتها لمقابلة الخطيب الذى أحضرته الست تفيدة .

نظرت فريدة إلى نادر ونضحت ابتسامتها بكل العذوبة التى يملكها البشر ، كان ليل سبتمبر الحالم قد هبط على العربة فى حين خلت السماء من القمر كما خلا الشارع من المارة فى حين كانت العربات تقطعه كالأسهم المنطلقة ، والنيل يسير بجلاله من الأزل إلى الأبد ..

أمسك نادر بيد فريدة متسائلا فيما يشبه الحلم :

— أتذكرين القرداتى الذى تمنى لنا حياة سعيدة وعمرا مديدا ؟!

قالت هامسة نعسانة :

— إنه شخصية لا تنسى !!

نظر نادر حوله ثم احتضن فريدة قائلا :

— تعرفين كم أنا متزن ووقور .. لكننى أريد الآن أن أعلن حبى لك أمام كل العالم ؟!

ثم أطبق على شفتيها فتركت نفسها مثل قطعة من السكر وسط كوب من الشاى الساخن . دخلت فى دوامة من الدوار المخدر وإذ بذراعيها تلتفان حول رقبته وخصره وتعصرانه ، ويتحول الكون كله إلى شفاه ملتهبة وصدور ملتصقة وأنفاس لاهثة وعيون مسبلة ثم مغلقة . لم يتخلص أحدهما من الآخر بل انفض الاشتباك دون سابق اتفاق فى اللحظة نفسها . قال نادر حالما مبتسما :

— ليس هناك حب أقوى من حب رجل الأعمال عندما يحب بصدق !

قالت وهى تسند رأسها إلى كتفه :

— أخشى أن تتحول إلى شاعر فتفشل فى أعمالك !!

— أنت قصيدة حياتى .. ولذلك لا يمكن أن أفشل !

— ألم أقل لك إنك أصبحت شاعرا ؟!

— فى أثناء جولتى الأوروبية كنت أرى وجهك فى كل جميل : فى بزوغ نور الفجر خلف السحاب وأنا فى الطائرة ، فى طيران النورس الأبيض النقى فوق شاطىء البحر الهادر ، فى شروق الشمس بعد غمام ومطر منهمر ، فى ضحكة الأطفال وسط حدائق سويسرا .. كان وجهك هو وطنى أحمله معى حيثما ذهبت .. ولذلك لم أشعر بالغربة لأنك كنت دائما بابتسامتك الينبوع العذب المتدفق ..

تنهدت فريدة فى همس كحفيف موجات النيل :

— كفى يا نادر .. لا أستطيع أن أتحمل أكثر من هذا .. لقد منحتنى من الحب ما لا يمكن أن تحلم به أية فتاة من جيلى .. أو من الأجيال السابقة أو اللاحقة .. أنت ينبوع الحب والصفاء والصدق .. منك استطعت أن أستمد معنى حياتى !

ضحك نادر قائلا :

— إننا لن نقضى الليل فى تأليف القصائد .. أين تريدين قضاء السهرة ؟!

— لا يهمنى « أين » طالما أنا معك !

— إذا . فلنذهب لطلب الحكمة والبركة من أجدادنا ؟!

تساءلت فريدة متعجبة :

— لم تقل لى شيئا من قبل عن أجدادك هؤلاء !!

— إنهم أجدادك أيضا !

— لا أفهم ؟!

— الذين لا يزالون يعيشون بيننا بآثارهم وحضارتهم !

ضحكت فريدة قائلة :

— لكن لا تنس أن لك أجدادا آخرين فى اليونان ؟!

قال نادر بحركة مسرحية ضاحكة :

— إننى أحنى هامتى لكل من شارك فى الحضارة الإنسانية .. ولذلك كنت فى الشهر الماضى فى الأكربول مع ابن خالتى .. والليلة معك عند سفح الأهرامات وأبى الهول ..

انطلقت العربة فى طريق الهرم وشعر فريدة الطويل الفاحم اللامع يتهدل على كتف نادر الذى شعر أنه أغنى أغنياء العالم .

***

١٤

واظب مجدى على تنفيذ تعليمات الطبيب فتناول الفيتامينات والمقويات وركز فى الطعام على الأنواع التى حددها الطبيب . لكن النتيجة لم تكن كما يرجو . لقد شعر فعلا بالطاقة الجسدية وقد تضاعفت ، والشهوة وقد نبضت بها عروقه ، لكن بمجرد ملامسة شهيرة سرعان ما كانت تتبخر . وخاصة أن شهيرة قد تركت البرود يسيطر على تصرفاتها تجاهه مما ضاعف من استحالة مهمته . لكنه التمس لها العذر . ومع الأيام أصبح يخجل منها . لكنها لم تهتم وتركته صريع هواجسه وأوهامه .

فكر فى الذهاب إلى الطبيب النفسى الذى يحتفظ ببطاقته ، لكنه تذكر أنه قرأ فى كتاب علم النفس الوحيد الذى اطلع عليه فى حياته ، أن مهمة المحلل النفسى تتركز فى مساعدة المريض على اكتشاف عقدته النفسية الكامنة داخله والتى لا يستطيع الوصول إليها لسقوطه فى ظلمات عقله الباطن . وتكاد مهمة المحلل تنتهى عند هذا الحد الذى تبدأ بعده مهمة المريض فى التخلص من كل رواسب الماضى التى تعوق سير حياته سيرا طبيعيا .

وهو يعرف عقدة حياته جيدا : إنها فريدة التى تطارده صورتها كلما اقترب من شهيرة ! ومن ثم فهو يعرف علاج حالته أفضل من أى محلل نفسى سيبدأ معه من الصفر وسينتهى إلى نفس النهاية التى بلغها هو من قبل . إذا .. من الضرورى أن يوفر على نفسه الفضيحة والإحراج ، وعليه أن يبدأ علاج نفسه بنفسه وذلك بمحو كل الآثار التى تذكره بفريدة .

بدأ ينقل غرفة النوم إلى الصالون .. و لم تناقشه شهيرة بل تركته يفعل ما يشاء وكأنه أمر طبيعى تماما . لم يسترح مجدى لهذه اللامبالاة المطلقة وسألها ذات مرة وهى تشاهد التلفزيون :

— لم تسأليني عن السبب فى إبدال غرفة النوم بالصالون ؟!

قالت دون أن ترفع عينيها عن الشاشة :

— إنها شقتك .. ولك أن تفعل ما تشاء فيها !!

— إنها شقتنا معا .. ومن حق كل واحد منا أن يسأل الآخر عما يفعله !!

— طالما أن ما فعلته يريحك فليس لى الحق فى سؤالك !

التزم الصمت بعد أن وجد أن ضغطه فى الحوار يمكن أن يدفعها إلى الدخول فى المنطقة المحرمة . نهض للجلوس على كرسيه الهزاز الأثير فى حين واصلت متابعة التليفزيون .

لم تؤد التغييرات التى أجراها فى غرف الشقة إلى تحسن ملحوظ ، فى حين أصبحت شهيرة تقضى طوال يومها فى النادى وأحيانا تعود متأخرة دون أن يجرؤ على محاسبتها .

لكن خاطرا جديدا ألح عليه بأن يسأل عن أحوال فريدة حتى يعرف ماذا فعلت بها الأيام . هل يراها ؟! هل يقابلها ؟! كيف يتم هذا بعد أن وقع ما وقع ؟! لم تواته الشجاعة كى يفعل شيئا من هذا القبيل ! لكنه مع إلحاح السؤال المتصاعد عليه ، وجد فى التليفون أكثر الطرق والوسائل أمنا وسلامة حتى لو انتهت المكالمة بسبه وإهانته . فليتصل مهما كانت النتيجة . إنه حتى لا يعرف السبب الذى يدفعه إلى ذلك ، لكنه لا يملك له صدا . ثم جبن على الاتصال بها شخصيا فقرر الاتصال بنادر . فهو شاب متفتح ويأخذ الأمور بروح رياضية .

وذات صباح مد مجدى يده المرتعشة إلى قرص التليفون وأداره . وجاء صوت نادر على الطرف الآخر . وإذ بمجدى ينطلق فى الكلام كالقذيفة طالبا من نادر توصيل أسفه لفريدة عن كل ما وقع منه سواء بقصد أو بغير قصد ، ورجائه بأن تصفح عنه وألا يكون فى نفسها شىء ناحيته لأن ضميره يؤنبه ليل نهار بعد انقطاع علاقتهما بطريقة مفاجئة لم يتوقعها أحد منهما .

بعد توقف القذائف المنطلقة من فم مجدى جاء صوت نادر هادئا رزينا كعادته . قال إن فريدة قد خطبت وهى سعيدة الآن ولا تحمل له أى سوء ، بل إنه لم يعد فى ذاكرتها على الإطلاق . وعليه أن يصرف نظره تماما عن هذا الموضوع الذى لم يعد له أى وجود حقيقى .

كادت السعادة تطفر من عينى مجدى وهو يستمع إلى هذا الكلام . إذا فهو لم يحطم مستقبلها ! فها هى مخطوبة وسعيدة وتعيش حياتها بطريقة طبيعية ! إنه لا يهمه كيف حدث هذا ؟! المهم أنه حدث وأن إحساسه بالذنب تجاهها لم يكن له أى أساس من الواقع .

شكر مجدى نادرا وهو يكاد يقفز من الفرحة التى انقلبت إلى شهوة عارمة تريد احتواء شهيرة واعتصارها . شهوة لم يشعر بمثلها منذ أيام فريدة . بحث عنها فى الشقة فلم يجدها . آه لقد ذهبت كعادتها إلى النادى .

شىء غامض يؤكد له أنه شفى تماما . لقد نجح فى علاج نفسه بنفسه . ارتدى ملابسه بسرعة وهو يطلق صفيرا جزلا لأغنيته الأجنبية المفضلة التى غالبا ما تخطر على أذنيه كلما كان منتشيا . لم ينتظر المصعد بل هبط السلم كطفل شقى يقفز فوق الدرجات ، كقط يطارد فريسته .

ألقى بنفسه فى العربة وأدار المحرك ومعه المذياع . انطلق إلى النادى وفى لحظات كان يقف بين طابور العربات حول ملعب التنس . رأى شهيرة على

البعد مرتدية الشورت الأبيض الساخن وبلوزة لا تخفى سوى نهديها وخصرها . كانت تتجاذب أطراف الحديث مع حريش . انطلق نحوها فى خفة الغزال وخاصة أن وزنه فى الفترة الأخيرة نقص حوالى عشرة كيلو جرامات .

لكنه ذهل عندما صدما بوجوده بينهما وقطعا الحديث الدائر بينهما مفتعلين الترحيب به . تساءل مجدى :

ـــ يبدو أننى قطعت حبل الحديث بينكما ؟!

قال حريش محرجا ومبررا :

ـــ أبدا .. كنت أشرح لمدام شوشو كيفية رمى الضربة القاضية !

تضايق مجدى لأول مرة من هذا الحريش الذى ينادى زوجته باسم التدليل الذى لا يستخدمه هو نفسه إلا قليلا . قال فى حسم تعجبت له شهيرة كنغمة جديدة فى كلامه :

ـــ هيا بنا يا شهيرة .. سأعود بك إلى المنزل !!

تساءلت شهيرة بمزيج من البرود والدهشة :

ـــ خيرا .. هل حدث شىء ؟!

ـــ لم يحدث شىء .. لكننى أريدك الآن فى المنزل لأمر هام !!

ـــ ما هذا الأمر الهام ؟!

ـــ ليس هنا مجال الحديث عنه !

أحس حريش بحرج موقفه فاستأذن وابتعد لكن شهيرة استمرت فى عنادها :

ـــ لقد ابتعد من نفسه !! والآن ما هذا الأمر الهام ؟!

ـــ لن أقوله لك إلا فى المنزل !!

ــ وأنا لن أتحرك من هنا إلا إذا عرفت ما هو أولا !!

ــ لا داعى للعناد !

ــ ولا داعى لفرض الرأى .. وخاصة أننى لم أجد أمرا هاما واحدا منذ زواجنا حتى الآن !!

ظنت شهيرة أنها أصابته فى مقتل لكنها فوجئت بصموده وإصراره على تنفيذ طلبه :

ــ لا تظنى أن التنس أهم منى !! فأنت لاعبة فاشلة ولا تجيدين سوى الاستعراض أمام المتفرجين !!

ــ وأنت زوج فاشل !! لا تجيد حتى مجرد الاستعراض !!

أحس مجدى بقوة خفية تحرك يده ليصفعها لكنه تمالك نفسه منعا للفضيحة وقال من بين أسنانه :

ــ تعالى معى وجربى !!

قالت والسخرية تقطر من كلماتها :

ــ جربت فى الشهور الماضية و لم أعد سوى بخيبة الأمل !! ما الجديد الذى طرأ على الموقف ؟!

رأى مجدى على البعد بعض الفاتنات اللاتى يتهادين فى لباس البحر فى طريقهم إلى حمام السباحة فاستمتع بمنظرهن ، وأيقن أنه قد شفى تماما برغم المعركة الدائرة بينه وبين شهيرة ، قال باصرار مميت :

ــ لن تلعبى التنس مرة أخرى !!

ــ حجة البليد مسح التختة !!

ــ أقصرى الشر !!

ــ كان غيرك أشطر !!

ـــ إذا لم تأتى معى .. فسأذهب إلى طنط يلدز وسأحكى لها كل شيء بالتفصيل !

زحفت صفرة غريبة على وجهها وقالت بعينين زائغتين :

ـــ ماذا ستحكى لها !

ـــ سأحكى لها أنك ترفضين طاعتى !

استردت أنفاسها وقالت :

ـــ احك لها ما تشاء !

لم يجد مجدى أمامه سوى أن يختار بين أن يتسبب فى فضيحة عندما يضربها ويجرها عنوة وبين أن يتركها ويمضى لحال سبيله . قال وهو يضم أصابع يده اليمنى على وعيد :

ـــ سترين !!

استدار وخرج مهرولا . ركب عربته فى منتهى العصبية واندفع بها دون أن يفكر حتى وجد نفسه أمام باب العمارة . صعد السلم حتى شقة أمه فى الطابق العاشر برغم أن المصعد لم يكن معطلا . رأته أمه لاهثا وسألته فى قلق :

ـــ خيرا .. ما الأمر ؟!

قال وهو يتنفس بصعوبة والعرق يتصبب من جبينه :

ـــ تصورى يا ماما .. أطلب من شهيرة أن تترك التنس وتعود معى إلى المنزل فترفض أمام الجميع !!

ـــ وما السر فى هذا الطلب ؟!

أسقط فى يده وفكر سريعا فى رد مقنع . فقال متسائلا :

ـــ أليس المفروض فى الزوجة أن تطيع زوجها ؟!

ـــ عندما يكون الطلب مقنعا !! وخاصة أن شوشو ولدت وفى فمها

ملعقة من ذهب .. وكل طلباتها مجابة .. ومن الصعب عليها إطاعة التعليمات !!

ـــ إذا .. ما قيمتى أنا عندها كزوج ؟!

ـــ لماذا لا تشاركها هواياتها فى النادى ؟! أنت غير محتاج للوظيفة .. ووقتك كله ملكك ..

ـــ أيعقل أن أسير فى موكب زوجتى حتى يقول الناس أننى « زوج الست » ؟!

ـــ لماذا لا تسرع بالإنجاب حتى تشغلها فى تربية الطفل ؟! ألا ترى أن عائلتنا قد توقفت عن الإنجاب أو أوشكت ؟! وسيأتى اليوم الذى يستولى فيه الغرباء على ثروتنا إذا استمر الحال على ما هو عليه !!

صمت مجدى ساخرا من نفسه . فلا يعقل أن يخبر أمه أنه طلب من شهيرة خصيصا العودة إلى المنزل لنفس السبب الذى تتكلم عنه دون أن تدرى . حاول مجاراة أمه :

ـــ عندك حق يا ماما .. لابد من الإنجاب .. وكفاها لعبا فى النادى ..

ـــ كن رقيقا معها .. فتجعلها خاتما فى إصبعك !

ربتت أمه على كتفه قائلة :

ـــ انهض خذ حماما حتى تستريح أعصابك .. وتناول الغداء معى لأننى أحس بالوحدة القاتلة .. كما أننى أشعر بعدم انتظام ضربات القلب ..

أمسك مجدى بيد أمه قلقا :

ـــ لابد أن آخذك اليوم إلى الطبيب !

ـــ الأمر ليس عاجلا إلى هذا الحد !! بعد الغداء اذهب وأحضر زوجتك ولاطفها .. وكفاكما كسلا .. أريد طفلا يملأ علينا البيت .. وغدا أذهب معك

إلى الطبيب !!

نفذ مجدى كعادته نصائح أمه . وبعد الغداء استرخى قليلا فغفت عيناه ولم ترد أمه أن توقظه . وعندما استيقظ من تلقاء نفسه كانت الساعة قد جاوزت السادسة . فهبط مسرعا على السلم أيضا . وفى دقائق كان أمام النادى وشهيرة تنطلق فى عربتها نادى عليها فلم تسمعه . استدار بعربته مسرعا وتبعها فوجدها تنطلق فى اتجاه عكس اتجاه المنزل تماما . عبرت كوبرى أبى العلاء فلم يرفع عينيه عنها برغم زحام السيارات وهبوط الظلام . اخترقت شارع فؤاد كما تسميه العائلة ، ثم ميدان الملكة فريدة أو العتبة حاليا ، ثم انحرفت صوب شارع محمد على وهو فى ذهول لما يجرى . كيف لشهيرة أن تقود سيارتها فى مثل هذه الشوارع بهذه الخبرة والتمكن ؟! حرص على أن يحتفظ بينه وبينها بمسافة تجعله بعيدا عن عينيها . لكنها عموما بدت منهمكة فى النظر أمامها لا تلوى على شىء .

وصلت إلى ميدان القلعة وعبرته إلى أحد الشوارع الجانبية المتربة ذات المصابيح الهزيلة ، توقفت عند نهايته التى يعقبها أرض خلاء فوقها أكوام بل أهرامات من القمامة . توقف مجدى قبل نهاية الشارع حتى لا تراه لكنه رآها تدخل بيتا من دورين ، لم يعرف الطلاء فى حياته فى حين كان التراب معلقا أمامه فى الجو ، وبعض الصبية يلعبون الكرة الشراب فى ضوء المصباح المائل القريب منه .

حدثه قلبه بأحداث رهيبة فى تلك الليلة الغريبة ! دار بعربته حول أكبر هرم من القمامة بحيث اختفى وراءه تماما ، خرج من عربته ؟! راقب المنزل فوجد النور فى الطابق الثانى يضاء من خلف خصاص النافذة المغلقة . فكر فى اقتحام المنزل لكنه تراجع عندما وجد شابا على هيئة الفتوات يخرج من

الباب بجلبابه البلدى وعصا من الخيزران فى يده .

جلس داخل عربته يكاد يموت صريع القلق والخوف والغموض والملل والعار الذى جثم على فكره فى نهاية الأمر ، إن هذا المكان هو آخر مكان فى العالم يمكن أن تأتى إليه شهيرة !! بدت حياته معها كشريط سينمائى أمام عينيه . تذكر يوم طلقت من زوجها السابق بسبب التنس ، ثم اهتمام حريش البالغ بها ، ثم شهقتها فى المولان روج فى باريس عندما ذكرها الزنجى الراقص بحريش ، ثم عدم مبالاتها به فى أزمته الجنسية وهى المقبلة على كل متع الحياة وعلى رأسها الجنس ، وكان آخر مشهد فى ذلك الصباح نفسه عندما فاجأها فى حديثها الخاص مع حريش ، حديثها الذى قطعته بمجرد وصوله .

استعاد مجدى الشريط مرة ثانية أمام عينيه فى العربة المظلمة فتذكر مشاهد كانت خافية عنه لكنه يعرف معناها الآن ! تذكر عندما قالت له إنها ستعود إلى منزلها متأخرة لأنها ستعود صديقة لها أجريت لها عملية المصران الأعور ! تذكر يوم جاءت متأخرة وكان القلق ينهشه ، وعندما سألها عن السبب قالت إنها زارت صديقة أخرى فى المعادى أصيبت فى حادث سيارة مثل صديقه تماما الذى قص عليها قصته كذبا .

لابد أن أعضاء النادى كانوا يعرفون كل شيء ويتغامزون فيما بينهم ! وكان هو آخر من يعلم ! فكر مرة أخرى فى اقتحام المنزل لكنه استراح للفكرة التى أكدت له أن حياته أغلى من أن يفقدها من أجل امرأة رخيصة مثلها . لكن الضوء المتسلل من خصاص النافذة كان سهاما نارية مصوبة إلى قلبه . خرج مرة أخرى من العربة فوجد بائعا للبن الزبادى ينادى على بضاعته ، فارتمى داخلها شاعرا باختناق قاتل . كان الضجيج الذى يحدثه الصبية بلعبهم للكرة الشراب يؤنسه فى سجنه الرهيب ، لكن سرعان ما ساد

الصمت برحيلهم و لم يعد يسمع سوى صوت الفئران والحشرات داخل هرم القمامة التى أزكمت أنفه برائحة العفن . فكر فى الرحيل لكن قوة كونية هائلة مسحت الفكرة من ذهنه .

أخيرا سمع صوت ضحكة ، إنها ضحكة شهيرة . ساد الظلام خلف خصاص النافذة ، وسمع صوت أقدام فوق سلم خشبى ثم خرجت شهيرة بمفردها . ركبت سيارتها واستدارت إلى الخلف ثم انطلقت عائدة . لم يفكر فى متابعتها . فلتذهب إلى الجحيم . المهم أن يعرف الآن من كان معها حتى لو قضى الليل بطوله تحت وطأة هذا الكابوس الحى .

استقر داخل عربته وعينه على مدخل البيت . لم يعرف كم من الوقت مر لكنه سمع صوت أقدام ثقيلة على نفس السلم الخشبى وإذ بعملاق أسود يخرج من البيت ، ويسير فى الشارع صوب القلعة . إنه حريش !! أخيرا اتضحت الأمور و لم يعد فيها أدنى شك .

انطلق بعربته فى الشارع الضيق ذى المصابيح الخافتة وكاد أن يدهم حريشا لولا أن تفاداه فى آخر لحظة سمع فيها سبابا ولعنات . لم يعرف كيف قاد عربته بهذا الجنون ؟ ولماذا لم يدهم كل الناس فى طريقه ؟! لم يدر إلا وهو يتوقف أمام مدخل العمارة ويطوى السلم طيا . فتح باب شقته كالمسعور فوجد شهيرة تتابع التليفزيون بمنتهى الهدوء واللامبالاة :

وقف أمامها ينتفض متسائلا :

— أين كنت ؟!

نظرت إليه ساخرة وسألته :

— أتريد تكرار موال الصباح ؟!

قبض على ذراعها بيد من حديد وأنهضها من جلستها :

— أين كنت ؟!

سرى الرعب فى قلبها فقالت :

— كنت أعود صديقتى التى أصيبت فى حادث السيارة ؟!

— وأين تسكن صديقتك ؟!

— فى المعادى كما قلت لك ..

حاولت التملص من قبضته ، لكنه انهال على وجهها بصفعة صاعقة وهو يصرخ :

— فى المعادى أم فى القلعة يا عاهرة !!

وانهال عليها بوابل من الصفعات والركلات حتى سقطت على السجادة وهى تخفى وجهها بيديها حتى لا يصاب . صرخ كالرعد :

— عودى إليه يا ابنة الناس الأكابر .. يا فاجرة !!

صرخت فى بكاء مرير مكتوم :

— مظلومة .. والله العظيم مظلومة !!

— لا تقسمى بلسانك النجس !

— من أبلغك كاذب حقير !!

— لم يبلغنى أحد .. رأيت كل شىء بنفسى .. أراد الله أن يزيل الغشاوة عن عينى .. أخرجى من بيتى يا فاجرة .. أنت طالق بالثلاثة ..

قالها وهو يشير إلى باب الشقة . نهضت مستأذنة فى أن ترتدى ملابسها فأذن لها لأنه يخاف كلام الآخرين . وفى لحظات كانت تقود عربتها حتى بيت أمها التى دخلت عليها باكية وقصت عليها قصتها معه فأخذتها فى حضنها قائلة :

— ولا يهمك .. غدا تتزوجين « سيد سيده » .. إنه يريد أن يغطى

خيبته بهذه المسرحية .. سأفضحه أمام الذى يسوى والذى لا يسوى !!

قالت شهيرة وهى تجفف دموعها :

— لا داعى للفضائح يا ماما .. كل واحد ذهب إلى حال سبيله وانتهى الأمر ..

وفى اليوم التالى استدعى مجدى الطبيب للكشف على أمه التى ساءت حالتها بعد معرفتها لأحداث الأمس الرهيب ، ونصحها بالراحة التامة مع تكثيف العلاج . فالأمر لم يستدع بعد نقلها إلى غرفة العناية المركزة .

أما شهيرة فقد ذهبت إلى النادى للترفيه عن نفسها . وهناك قصت على حريش قصتها فأخبرها أنه لمح سيارته التى كانت على وشك أن تدهمه أمس .

وعندما ارتدت شهيرة ملابس التنس استعدادا للتمرين سألها حريش بصوت خافت :

— لماذا لا نتزوج بدلا من هذه المآزق المتتابعة ؟!

لكزته بطرف المضرب فى صدره وتساءلت ضاحكة فى دلال :

— هل جننت ؟!

***

ساءت حالة نظيرة هانم واضطر الطبيب المعالج أن ينقلها إلى غرفة العناية المركزة حيث رافقها ابنها طوال اليوم . وظل على هذه الحال أياما لم يذق مثلها فى مرارتها . فى المستشفى كان يعيش ملهوفا على أمه ، وفى البيت تكاد الوحدة تقتله . وأخيرا تعلق ببصيص واهن من الضوء وسط هذه الظلمة المتكاثفة . ظل يجتر ذكرياته القديمة مع فريدة كأنها حدثت بالأمس . آه .. فريدة نبع الحب والإخلاص والتفانى والتضحية والعطاء !! داس على كل هذا من أجل أوهام وضعتها أمه فى ذهنه ورعتها حتى كبرت وترعرعت فأضاعت من يديه أروع أمل عاش فى نوره ، ثم رقدت أمه فى النهاية فى غرفة العناية المركزة معلقة بين الحياة والموت . وكلما تذكر أنه يمكن أن يفقدها بين لحظة وأخرى ، وأن يجد نفسه وحيدا فى هذه الغابة التى اسمها الحياة ، تشبث بجنون بذكرى فريدة كواحة له وسط هذه الصحراء الشاسعة القاحلة .

وفى الليل كانت فريدة تزوره فى أحلامه تتضاحك معه حينا ، وتتشاجر معه حينا آخر لكنه كان يستيقظ سعيدا . والعجيب أنه فى الليالى التى كان يحلم فيها بفريدة ، كان يذهب إلى أمه فى المستشفى فيجدها وقد تحسنت . وبالفعل تم نقلها إلى غرفة عادية فى المستشفى بعد أن اجتاز قلبها مرحلة الخطر .

لكن طيف فريدة لم يفارقه حتى كاد أن يجن ، وأخيرا قرر زيارتها فى محاولة لاستعادتها لعل وعسى . صحيح أنها خطبت على حد قول نادر له فى

التليفون . لكن ما أسهل فسخ مثل هذه الخطبة !! فهو يعرف عنها ما يعرف ، ولا شك أنها سترحب به مرة أخرى لأن الله أمر بالستر . لابد أنها عانت كثيرا بسبب فعلته معها ، لكنه حافظ على سرها و لم يبح لأحد ، حتى لأمه التى شعر أخيرا أنها على وشك فراقه . ونظرا لأنه تعود على وجود من يعتمد عليه فى هذه الحياة ، فلابد أن يعود إلى فريدة ، أو تعود هى إليه بطريقة أو بأخرى . ويبدو أن السبب الذى فرق بينهما سيكون هو نفسه السبب فى التئام الشمل !!

فكر فى أن يبدأ اتصاله بها بالتليفون لكنه خاف أن تصده وأن ينتهى الأمر فى دقائق . لم يكن أمامه بد من أن يستجمع كل شتات شجاعته المبعثرة وأن يذهب لمقابلتها فى مكتبها . وعليه أن يخطط جيدا لهذا اللقاء حتى يصل به إلى نتيجة إيجابية . عليه أن يكون هادئا رزينا منطقيا وقورا مقنعا حتى لا يتشتت الحوار فى متاهات العاطفة وطرقها المسدودة . لقد آن الأوان أن يقف مواقف الرجال فى اللحظات الحاسمة .

قبل أمه فى سريرها بالمستشفى وسألها عما إذا كانت تريد شيئا لأنه سيعود إلى زيارتها فى المساء فشكرته ودعت له بالتوفيق فى كل خطوة يخطوها .

ركب عربته وقد عقد العزم على طرد الخوف والتردد والحيرة من نفسه . شعر بقشعريرة تسرى فى جسده فأكد لنفسه أنها بسبب برودة ديسمبر . سار وسط مواكب السيارات المحيطة به والبطيئة بل المتوقفة عند كل إشارة . ذكره شعوره بأيام ذهابه إلى امتحان الكلية التى تخرج فيها بعد تسع سنوات من النجاح والرسوب . ولولا فريدة لما تخرج حتى الآن . إنه لا ينسى فضلها عليه وهو الآن فى طريقه للاعتراف بهذا الفضل ، والاعتذار عن كل ما وقع منه . ولابد أنها ستصفح عنه طالما أنه سيصلح ما أفسده .

ركن عربته بعيدا بعض الشيء عن مقر الشركة حتى يستعين بالمشى على تنظيم أفكاره التى ظل يدفع عنها غائلة التشتت والتمزق . وجد طابورا أمام باب المصعد فصعد السلم . ودون أن يسأل أحدا فى مدخل الشركة بالطابق الخامس توجه إلى مكتب فريدة . دق عليه بأصابعه لكن أحدا لم يرد . فتح الباب ونظر فلم يجد أحدا بالداخل . تردد قليلا لكنه كان قد عقد العزم على طرد الخوف والتردد والحيرة . دخل وجلس على أحد المقاعد بعد أن رفع عنه الملفات ووضعها على المكتب .

مرت الدقائق بل الثوانى ثقيلة كالساعات . الصمت يحيط به من كل جانب ويزيد من توتر أعصابه توقعه أن يفتح الباب بين لحظة وأخرى . وبالفعل فتح الباب وكاد مجدى أن يقفز واقفا ، لكنه كان أحد السعاة يحمل صينية صغيرة عليها فنجان من القهوة وكوب ماء . خرج بعد أن وضعها على المكتب .

لم يكن مجدى يعرف أنها تحب القهوة ، وشك فى أنه دخل المكتب الصحيح لكن سرعان ما فتح الباب وظهرت فريدة بطلعتها البهية وعينيها السوداوين الواسعتين المشعتين بالدفء والحنان والحياة . التصقت قدماها بالأرض عندما وجدته يقف مرحبا بها ، ومادا يده بالسلام . مدت يدها وهى لا تكاد تصدق عينيها . لو كانت تؤمن بوجود الأشباح لقالت إنه شبح ، لكنه ها هو بشحمه ولحمه يمد يده بالسلام . لكن أى سلام . لقد انتهى كل شيء .. ربما أتى فى عمل يرتبط بمشروعات أسرته الانفتاحية .

ذهبت وجلست إلى مكتبها سائلة إياه بأسلوب رسمى :

ـــ تحت أمرك يا فندم .. أية خدمة ؟!

لم يحتمل مجدى القناع البارد الرسمى الذى وضعته على وجهها .

فحاول تمزيقه حتى يطرح الموضوع الحرج الشائك الذى جاء من أجله :

ــ هناك موضوع كنت أريد أن أناقشه مع حضرتك منذ مدة .. و لم تسمح الظروف بمجيئى إلا الآن !!

ــ موضوع خاص بالعمل ؟!

حاول افتعال الدعابة تخفيفا لجهامة الجو :

ــ موضوع خاص فقط !!

حاول الابتسام لكن فريدة أوقفته عند حده :

ــ المكتب ليس مكانا لمناقشة الموضوعات الخاصة !!

ظن مجدى أنها فتحت باب الحوار :

ــ إذا .. تفضلى باختيار مكان آخر لمناقشته !

أحست فريدة برغبة عارمة فى أن تسحقه حسما للموضوع :

ــ أخطأت فهمى .. ليس بيننا موضوعات خاصة .. إنك الآن تضيع وقتى ووقتك إذا كانت له قيمة عندك !!

ــ فريدة .. أرجوك ..

قاطعته :

ــ اسمى أستاذة فريدة من فضلك !!

ــ أستاذة فريدة .. أنت حقوقية مثلى تماما .. وقد تعلمنا فى الكلية أن من حق المتهم أن يقدم دفاعه بكل الوسائل المشروعة .. وأن على القاضى أن يستمع إليه حتى لو كان يكذب ويناور .. ولذلك كل ما أرجوه ألا تصدرى حكمك قبل الاستماع إلى دفاعى .

ــ ليس بيننا اتهام .. وبالتالى ليس هناك حكم !!

قال وهو يدق الأرض بقدمه كطفل فى حالة عناد :

ــ لن أخرج من هنا قبل أن أدافع عن نفسى !!

شعرت فريدة بحالته اليائسة فخافت أن يتهور فى مكان عملها الذى تقدسه . فحاولت الانتهاء منه بأسرع ما يمكن :

ــ تفضل .. باختصار ..

ــ إننى يا فريدة !!

ضمت ذراعيها على صدرها ونظرت إليه محذرة فاستدرك :

ــ آسف .. إننى يا أستاذة فريدة قد ارتكبت فى حقك غلطة عمرى ..

كانت فريدة على وشك أن تقاطعه لكنها أمسكت عن الكلام حتى لا يطول الحوار عندما يكون بين طرفين . صمت برهة ثم استأنف :

ــ هذه الغلطة ارتكبتها لأننى كنت غبيا أعمى .. وتركت قيادى لأمى حتى دمرت حياتى !!

لم تستطع أن تسكت هذه المرة :

ــ أنت تعلم أن القانون يعاقب الفاعل قبل المحرض !!

ــ لكن لابد من وضع ظروف الفاعل فى الاعتبار : هل كان فى كامل قواه العقلية ؟! هل كان فى وعيه ؟!

ــ هل تدعى الجنون فى لحظة ارتكاب الفعل ؟!

ــ أنت تعلمين جيدا أننى لم أكن فى وعيى !!

ــ و لم أكن أنا أيضا فى وعيى !!

ــ إذا .. ليست هناك تهمة !!

ــ لكن الست والدتك كانت فى تمام وعيها .. وقالت لى إنك مشهور بأنك من عتاة الشاربين !! كانت تخطط بدهاء يعجز عنه أخطر زعماء العصابات !!

شعر ببوادر الانتقام التى يعرفها جيدا فى شخصيتها :

— لقد قضت أسبوعا فى غرفة الإنعاش .. وهى لا تزال فى المستشفى حتى الآن وحالتها غير مطمئنة ..

— شفاها الله ..

ظن مجدى أن الطريق أصبح ممهدا فقال كذبا :

— إنها تهديك السلام ..

— هل تعرف أنك أتيت إلى هنا ؟!

— وعبرت عن سعادتها بأننى قادم إلى هنا !

قاومت حب الاستطلاع داخلها لكنها لم تستطع السكوت :

— ما الذى قلب الأمور هكذا رأسا على عقب ؟!

اصطنع مجدى الحكمة قائلا :

— إن الأيام كفيلة بتذويب الحجر والصخر !

خافت فريدة أن يدخل فى متاهات كعادته فحاولت حسم الموضوع :

— إذا كنت تشعر بأنك ارتكبت أى خطأ فى حقى .. فأنا أصفح عنك . ولا داعى لنبش الجثث التى تم دفنها من زمن طويل وشبعت موتا !!

— لقد عادت إلى الحياة بعد تجربة مريرة مررت بها !!

قالت فريدة وقد بدأ السأم يسيطر عليها :

— إنك متزوج من نفس مستواك وأسرتك !! إننى لا أرى أى مشكلة حتى تأتى وتضيع وقتى !!

— بل هذه هى المشكلة على وجه التحديد .. إنها من نفس مستواى ومن أسرتى كما تقولين .. لكنها خانتنى !!

ذهلت فريدة للموضوعات التى يفتحها تباعا ، ومع ذلك تساءلت :

ــ يبدو أنها خانتك مع نفسك هى الأخرى ؟!

ــ لا أفهم !!

ــ أقصد ارتكبت نفس غلطتى معك ؟!

ــ أرجوك .. لا تسخرى منى !!

ــ إننى لا أسخر !! فأنا أتكلم عن أشياء حقيقية وقعت !

قال فى استسلام ذليل :

ــ لقد خانتنى مع مدرب التنس !!

ــ خيانة تليق ببنات الأكابر اللاتى يمارسن هذه اللعبة الأرستقراطية ، على الأقل كانت منطقية معك ومع نفسها !!

ــ لك الحق فى كل ما تقولين .. لكننى طلقتها وطردتها من بيتى شر طردة !

ــ وما علاقتى أنا بكل هذا ؟! إنها مشكلة تخصك أنت وحدك ؟!

ــ جئت إليك لأنك الوحيدة على وجه هذه الأرض التى يمكنها إنقاذى من الجحيم التى سقطت فيها !

تساءلت حائرة وقد ضاقت بالأمر كله :

ــ وكيف يتسنى لى ذلك ؟!

ــ برجوعك إلى !!

ذهلت فريدة وقالت دون تفكير :

ــ ألا تعلم أننى خطبت لنادر !! وأننا سنتزوج قريبا بإذن الله !!

آه .. دائما نادر يطارده حيثما حل . لكنه قاوم الضربة وقال :

ــ إن الخطبة أمرها سهل !!

ــ ماذا تقصد ؟!

لم يجب ونظر إلى قدميه خائفا . استأنفت :

— هل تقصد أننى اعتدت فسخ خطبتى ؟!

— كل ما أقصده أننى لا أستطيع العيش بدونك !!

تساقطت قطرات السخرية المريرة من كلماتها :

— ألا تخشى ألا تكون أول رجل فى حياتى ؟!

— كنت طفلا أحمق .. وأظن أن التجارب قد أنضجتنى ؟!

— طالما أنك أصبحت ناضجا فإن ما تطلبه منى يدخل فى باب الاستحالة !!

— معنى كلامك هذا أنك تفتحين بيديك باب الانتحار على مصراعيه أمامى ؟!

— وطالما أنك تقول مثل هذا الكلام .. فإنك أبعد ما تكون عن النضج !!

— إنى جاد فى كل كلمة أقولها ؟!

— لا تظن أن تهديدك بالانتحار يهم أى إنسان آخر سواك .. إنها مشكلتك أنت وحدك .. وكل إنسان يحل مشاكله بالحلول التى يراها مناسبة لها !!

— لم أعرف أنك تكرهيننى إلى هذا الحد ؟!

— إن الكره أو الحب يعنى أن هناك شيئا ما بين طرفين .. أما بيننا فلم يعد هناك أى شىء مشترك .. ولذلك فإن الحوار الدائر بيننا غير ذى موضوع !!

— سامحك الله .. إن مكانتك عندى لم تهتز أبدا .. حتى فى أثناء زواجى .. كنت أفكر فيك دائما !!

— لو كان هذا صحيحا .. فلابد أنه نتيجة للإحساس بالذنب !!

— وهذا يعنى أننى إنسان حساس أشعر بشعور الآخرين وآلامهم !!

— تشعر لكنك لا تفعل شيئا من أجلهم بعد أن ألقيتهم بيـديك فى الجحيم !!

— إننى أفعل أى شىء فى مقدورى من أجل الآخرين ؟!

— يبدو أنه لا يوجد أى شىء فى مقدورك من أجلهم ؟!

— كنت أظن أن قلبك سيكون أكبر من ذلك ؟!

— لا تطلب المستحيل من الناس .. ثم تطلب منهم أن تكون قلوبهم كبيرة ؟!

— وما الذى جعله مستحيلا ؟!

— عندما ترتبط بإنسان تحبه وتقدسه .. فمن السخف أن يطالبك إنسان آخر بتركه بحجة أن قلبك كبير !!

— لست إنسانا سيئا كما تتصورين !!

— إننى لا أتصور أى شىء على الإطلاق !!

— لقد احتفظت بسرك حتى الآن ! لم أتفوه به لأحد !!

— أتهددنى ؟!

— تعرفين أن هذا ليس من أخلاقياتى !!

نظرت فريدة إلى ساعة يدها فى سأم وقالت متسائلة :

— وما الذى منعك من إفشاء السر ؟!

— أخلاقياتى !

— وبنفس هذه الأخلاقيات أريدك اعتبار ما دار بيننا الآن من حوار كأنه ما كان !!

(عصر الحريم)

— إنك الآن تطلبين منى المستحيل ؟!

— إنك الآن تضيع وقتى ووقتك فيما لا جدوى منه !!

— أرجوك .. ارحمينى .. لم يعد لى أحد سواك فى هذه الدنيا ؟!

تدحرجت قطرات الدمع على وجنتيه فأخرج منديله مسرعا ومسحها ، لكنه لم يثر فيها سوى الرثاء له :

— إن الحب عندما يتحول إلى شفقة ثم رثاء فأشرف للإنسان أن يعيش بلا قلب .. من أن يذل نفسه مستجديا الآخرين .. إن الرثاء هو مقبرة الحب الأبدية التى لا عودة له منها ..

— إذا كان حبك مستحيلا .. فأنا قانع برثائك !!

نضحت نظرات الاشمئزاز من عينيها وتململت فى مقعدها :

— وأنا لا أستطيع الارتباط بإنسان لا يثير فى نفسى سوى الرثاء ..

— كلماتك قطرات سم فى فمى ؟! لماذا ؟!

— لم يجبرك أحد على سماعها !!

— لن أمضى قبل أن يرضى قلبك على !

قالت والضيق يكاد يخنقها :

— قلبى راض عليك تماما !

— إذا .. لم لا تعودين إلى ؟!

فكرت فى طرده من المكتب لكنها تماسكت :

— لأن الأمر ليس بيدى !

— بيد من إذا ؟!

— بيد نادر خطيبى !

— لو وافق على فسخ الخطبة .. فهل توافقين بدورك ؟!

تحول الرثاء إلى موجة عارمة من الاحتقار :

— طبعا أوافق .. فأنا لا أستطيع أن أفرض نفسى على إنسان لا يريد الارتباط بى أصلا !!

— شكرا .. هذا هو كل ما أردت معرفته !!

خافت أن يكون قد فهم كلامها على محمل خطأ وذلك عندما نهض وقد استعاد ثقته فى نفسه ، فقالت وهى تنهض بدورها :

— أرجو ألا تكون قد أسأت فهمى !!

— إطلاقا ..

مد يده بالسلام وخرج شاعرا ببعض الانتصار الذى سيكمله فى معركته القادمة مع نادر . إنه سيضطر إلى استخدام السلاح الوحيد الذى فى جعبته آسفا ! فمن السخف ألا تلجأ لسلاحك فى معركة مصيرية سوف يتحدد فيها مستقبلك بل حياتك كلها !

١٦

فكر مجدى طويلا فى لقاء نادر بعيدا عن فريدة . وهو لقاء يريد أن يحدث بأسرع ما يمكن قبل أن يتم الزواج . لكن كيف سيتم هذا الزواج ؟! يبدو أن نادرا لا يعلم شيئا عن سر فريدة ! ولو علم لتركها فى الحال ، فهو أدرى بعقلية الرجل الشرقى . لكن ما الذى فعلته فريدة حتى تكون واثقة من نفسها كل هذه الثقة ؟! عجيب أمر هذه الفتاة !! لقد ظن أنه حطم مستقبلها وقضى عليها تماما ، مما رسب فى داخله عقدة ذنب قاتلة ! وإذ به هو نفسه يعود إليها كى يستعطفها بل وتحول استعطافه إياها للعودة إلى استجـداء

مهين ، ومع ذلك ترفض بمنتهى الإباء والشمم . لابد أنها تحتفظ بسر أخطر من السر الذى يحتفظ به لها . ما هذا السر ؟! أو ما هذا اللغز ؟!

قدح زناد فكره لكنه لم يفز بسبب مقنع . لم يهنأ له بال و لم يهدأ له تفكير بحثا وراء حل للغز . حتى أمه التى لا تزال فى المستشفى أصبح يزورها زيارات روتينية مشغولا عنها بمعركة المستقبل كله .

ظل يستعرض حياته مع فريدة لحظة بلحظة منذ أن عرفها فى كليـة الحقوق : صداقتهما ثم خطبتها لابن عمها ثم فسخ خطبتها ، ثم تخرجهما سويا برغم دخوله الكلية قبلها بسنوات خمس ، ووقوعه فى غرامها ونجاحه فى فرض خطبتها على أمه ، ثم الهواجس التى أشعلتها أمه داخله مما أدى إلى تحطيم أروع علاقة عرفها فى حياته ، ثم مقابلته الأخيرة لها فى مكتبها .

كانت دائما فتاة شجاعة قوية مخلصة ، لكن كل هذه الصفات لا يمكن أن ترقى إلى المستوى الذى تكشف فيه أوراقها لنادر فيوافق بهذه البساطة ، ويبدو بالسعادة التى ظهرت على كلماته عندما اتصل به تليفونيا وأخبره أن فريدة قد خطبت و لم تعد تحمل له أية ضغينة . لابد أن فى الأمر لغزا كبيرا !!؟

بعد تفكير الأيام والليالى المتصلة ومضت فكرة فى ذهن مجدى كالبرق وسط الظلام الحالك . تذكر ذات مرة كان يتجول فيها مع فريدة فى حديقة الكلية قبل ظهور نتيجة الليسانس أنها أخبرته أن هناك من يقوم بعمليات ترقيع غشاء البكارة للفتيات اللاتى غرر بهن . وعندما أبدى ذهوله ، قالت له عن زميلة رفضت أن تذكر له اسمها ، إن العملية أجريت لها بالفعل بعد أن خدعها صديقها الذى كان قد وعدها بالزواج وتخلى عنها .

لابد أن تكون فريدة قد لجأت إلى هذا الحل السعيد إيمانا منها أنه لن يفشى سرها لأحد ! لكنه لن يكون حلا سعيدا لها . فسوف ينتقم للإذلال الذى

ذاقه على يديها فى مكتبها ! عندئذ ستعود إليه صاغرة مستعطفة مستجدية ، وساعتها سيفكر إذا كان سيقبل عودتها أم لا ؟! ستكون المرة الثالثة التى ستفسخ فيها خطبتها . وبذلك فإنه سيضرب أكثر من عصفور بحجر . من هذه العصافير نادر الذى يطارده شبحه حيثما حل .

كان كل تخطيط مجدى منصبا على لقاء نادر بعيدا عن فريدة . ولذلك فالشركة والبيت كلاهما لا يصلحان لمثل هذا اللقاء . إذا خير وسيلة أن يصطاده وهو خارج من عمله بحيث يذهب معه إلى أى مكان عام يستطيع أن يقص عليه سره الرهيب . سيصعق لكنه شاب قوى ورجل أعمال وفى إمكانه أن يجتاز الأزمة بعد أن يتخلص من فريدة ومن عارها .

فى أول مرة ذهب مجدى بعربته إلى حيث أقرب مكان من مقر الشركة ، يستطيع أن يرى منه نادرا فى أثناء خروجه . لكنه عاد بخفى حنين . كان نادر خارجا ومعه فريدة . ركبا سويا وابتسامة السعادة تقطر من وجهيهما .

فى المرة الثانية خرج نادر فى تمام الخامسة مساء بمفرده . أسرع مجدى بترك عربته وسار على قدميه للقائه ، لكن نادرا كان قد مرق بعربته التى ابتلعها طوفان العربات الأخرى فى الشارع فلم يعثر لها على أثر .

فى المرة الثالثة قرر أن يستفيد من دروس المرتين السابقتين . كان اليوم آخر أيام السنة وموجة من البرد القارس تتخلل الملابس والمعاطف الثقيلة . ظل مجدى قابعا فى سيارته منذ الرابعة والنصف برغم تحذيرات رجال المرور الذين هددوه بتسجيل عدة مخالفات له . قام بفتح غطاء المحرك وانحنى عليه كما لو كان يصلح شيئا فيه وعيناه لم تبتعدا لحظة عن مدخل العمارة . وإذ بنادر يهبط بمفرده أيضا . إنها فرصة العمر ولن يدعه يفلت منه هذه المرة .

أسرع بغلق غطاء المحرك وركوب عربته ، وبمجرد أن تحرك نـادر

بعربته تحرك وراءه فى مطاردة هادئة لكنها مستميتة . تتبعه من شارع إلى آخر ، فإذا به يدخل صالون حلاقة يظل به أكثر من ساعة ومجدى منتظرا يكاد يموت قلقا وحيرة . خرج نادر من الصالون وقد زاد هندامه وأناقته .

استمرت المطاردة الخفية فى نظر مجدى ، الواضحة المكشوفة فى نظر نادر الذى رأى فيها تسلية لا بأس بها بعد يوم حافل بالعمل الشاق . توقف مرة أخرى عند محل لتفصيل أزياء الرجال ، وقضى بداخله حوالى نصف ساعة . ظن مجدى أنه يستعد لقضاء سهرة رأس السنة بكل ما هو جديد وقشيب . خرج نادر من المحل حاملا حلة ملفوفة فى ورق .

استأنف سيره ومجدى حائر : هل يقابله فى واحدة من هذه الوقفات أم أن يترك الأمور تجرى فى أعنتها إلى أن تأتى اللحظة الطبيعية المناسبة ؟! لم يدر أيهما يقرر !! توقف نادر مرة ثالثة ليدخل محلا لبيع الحلوى والشيكولاتة . خرج منه حاملا بعض العلب واللفائف التى وضعها فى الحقيبة الخلفية للسيارة .

ثم توقف مرة أخرى أمام محل لبيع الزهور قضى فيه حوالى ربع ساعة ثم خرج وركب سيارته وهو يراقب مجدى من طرف خفى و لم يبد عليه أية دهشة لهذه المطاردة الهادئة الغريبة الغامضة .

كل هذا من أجل رأس السنة ؟! تساءل مجدى الذى استأنف المطاردة التى فقد فيها كل قدرة على التفكير المنطقى . لماذا يجد نفسه دائما فى كل موقف تحت رحمة الآخرين ؟! لماذا يفقد باستمرار عنصر المبادرة من يده ؟! حتى مجرد محاولة للقاء نادر ، يجد نفسه منقادا خلفه . ومن يدرى ؟! ربما رآه وتظاهر بغير ذلك . ألم يحن الوقت بعد ليصبح سيد موقفه ؟! إنها لحظات وسيقابله وسيثبت للجميع أنه سيد الجميع !!

استيقظ مجدى من خواطره وإذ به يرى نفسه وراء نادر فى شارع الترعة البولاقية دون أن يستطيع التراجع . بل كيف يتراجع وقد قرر إلقاء القنبلة وليكن ما يكون ؟! سيحدث نادرا سواء بمفرده أو تحت بصر فريدة وسمعها !! فقد أصبحت حياته كلها مشدودة إلى هذا اللقاء بخيط رفيع .

توقف نادر أمام بيته وتوقف مجدى خلفه . كانت أمينة تطل من الشرفة فصعقت عندما رأت مجدى يذهب لمصافحة نادر . فى لمح البصر عادت فريدة مع أختها لتطل من وراء زجاج النافذة المغلق وقد ارتدت ما يشبه فستان الزفاف الأبيض .

صافح نادر مجدى بمنتهى البساطة وضغط عليه كى يتناول معه كوبا من الشاى الساخن فى هذا الصقيع . تظاهر مجدى بالاعتذار وبأن الصدفة المحضة هى التى دفعته إلى لقائه فرأى أن يصافحه ويهنئه بالعام الجديد . رد نادر التهنئة والتمنيات الطيبة وأصر على أن يصعد مجدى معه ولو لمدة دقائق . تظاهر مجدى بالرضوخ لضغط نادر وساعده فى حمل العلب واللفائف والأكياس التى أخرجها نادر من حقيبة السيارة الخلفية . وصعد الاثنان السلم .

كانت فريدة مع أختها خلف زجاج النافذة المغلقة تبدو فى أبهى زينة ، لكن قلبها غاص فى قدميها وخاصة أنها كانت قد رجت نادرا من قبل أن يبتعد بليلة زفافهما عن رأس السنة التى ارتبطت فى ذهنها بأتعس لحظات حياتها ، لكنه قال لها بروحه الرياضية إن الإنسان هو الذى يصنع الأيام وليست الأيام هى التى تصنعه . وسيثبت لها عمليا أن تعاسة الإنسان وسعادته بيده . لكن رؤيتها لمجدى فى تلك اللحظة بالذات أغرقتها فى موجة عارمة من التشاؤم . صحيح أنها تثق فى نادر ثقتها فى نفسها . لكن لماذا تلك اللحظة بالذات ؟! ما معنى كل هذا الذى يجرى أمام عينيها دون تفسير مقنع ؟!

كانت الساعة قد جاوزت السابعة والنصف مساء حين جلس نادر مع مجدى فى غرفة الصالون . جاءت أمه لتقدم إليهما الشاى وقد ارتدت ثوبا فاخرا من ثياب السهرة . صبت الشاى فى الفنجانين وخرجت . وإذ بمجدى يستجمع شجاعته المشتتة ويقول لنادر :

ـــ طالما أن الصدفة السعيدة قد جمعتنا سويا .. فإننى انتهزها كى أناقش معك موضوعا كنت أود مناقشته منذ أن اتصلت بك تليفونيا وسألتك عن خال فريدة .

قال نادر وهو يرتشف الشاى باستمتاع :

ـــ تفضل ..

أخرج مجدى من جيبه علبة سجائره وقدمها إلى نادر الذى اعتذر بعدم التدخين فأشعل مجدى سيجارته بيد مرتعشة وقال :

ـــ إنه موضوع حساس !!

ـــ تفضل ..

ـــ وشائك !!

ـــ إنك تثير فضولى أكثر من اللازم ؟!

ـــ أرجو ألا يغضبك أو أن يثير أعصابك من قريب أو بعيد !

أمسك الضيق بخناق نادر :

ـــ إذا كنت تشعر أنه سيعكر سعادتى .. فلا داعى له لأن الليلة هى ليلة زفاف فريدة إلىّ !!

شعر مجدى بلدغة عقرب عند سماعه هذا النبأ . وقارن فى لمح البصر بين رأس السنة الماضية ورأس السنة الحالية . قال :

ـــ لكننى أشعر أنها رسالة لابد أن أؤديها حتى لا أقع ضحية تأنيب ضميرى ..

امتزج السأم بالضيق داخل نادر وقال :

ـــ تفضل ..

ـــ أنت تعلم أن فريدة كانت مخطوبة لى .. و لم يحدث نصيب حتى نتزوج !!

ـــ أعلم هذا !! بل عاصرته منذ حضورى حفل الخطبة !

ـــ عظيم .. لكنك تعلم أيضا الكثير عن طيش الشباب وسهولة ارتكابه للخطأ .. فأنت شاب وتعيش فى نفس المجتمع وتدرك جيدا ما يدور داخل هذا الشباب ..

ـــ نعم .. ثم ماذا ؟!

ـــ إن فريدة تعد نموذجا للصدق والأمانة والإخلاص والحب والوفاء .. وتستحق كل خير ..

ـــ أوافقك تماما على هذا !

ـــ وأرجو أن يسعدكما الله معا !

ـــ شكرا ..

ـــ لكن هناك نقطة لابد أن أوضحها حتى لا تنهار هذه السعادة فى لحظة كئيبة من الزمن !! فالزواج لابد أن ينهض على المصارحة المتبادلة من الطرفين حتى لا تهزه عواصف الحياة ..

انتهى نادر من شرب الشاى ونظر إلى ساعته قائلا :

ـــ تفضل .. ادخل إلى الموضوع مباشرة !!

ـــ فى لحظة طيش .. منذ عام بالضبط .. أى فى رأس السنة الماضية .. ارتكبت مع فريدة خطأ لا أريد غيرى أن يتحمل ثمنه ويصلحه .. فأنا على أتم استعداد لإصلاحه .. فالمسئولية مسئوليتى !!

نظر مجدى إلى ملامح نادر فوجدها أبعد ما تكون عن الذهول أو الدهشة أو حتى مجرد التعجب . بل قال بمنتهى البرود :

— أشكر لك ضميرك الحى .. لكننى أتعجب لماذا استيقظ ضميرك بعد عام بالكمال والتمام ؟!

— كنت فى دوامة من الضغوط المتواصلة والظروف الصعبة لم أفرغ منها إلا مؤخرا !!

— لكنك كنت تملك الفراغ الذى جعلك تتزوج وتطلق أيضا ؟!

— إنك تعلم كل شىء عنى ؟!!

— لقد قصت فريدة على كل شىء .. وخاصة ما يتصل بك سواء من قريب أو من بعيد .. وكانت لحظة الطيش التى تكلمت عنها أول شىء قصته فريدة عنك عندما عرضت عليها الزواج .

— بهذه البساطة ؟!!

— بهذه البساطة !!

— وكيف قبلت هذا الوضع ؟!

— ليس لك أن تحاسبنى !

أدرك مجدى فى الحال أنه تجاوز حدوده :

— آسف .. لم يكن قصدى .. لكن هذا النمط من السلوك جديد على تماما .. كنت أخاف عليك من الصدمة .. فإذا بالصدمة تأتى منك وتنهال على رأسى لتشتت بقايا تفكيرى المبعثر !!

نظر مجدى إلى الأرض خجلا فقال نادر :

— إن غلطة فريدة لم تكن عندما رضخت لك .. ولكنها كانت عندما عجزت عن فهم شخصيتك الحقيقية منذ بداية الأمر !!

ــ وهل صارحتها بهذا الكلام ؟!

ــ ولم لا ؟!

ــ ما أسعدها بك .. إنها تستحق كل خير .. ولابد أن الله قد أراد أن يعوضها عن كل الآلام التى تسببت فيها لها !!

ابتسم نادر ابتسامة فيها بعض السخرية وتساءل :

ــ أتعلم ماذا قالت أمى عندما قصصت عليها مأساة فريدة معك ؟

ومضت نظرات مجدى بوميض حب الاستطلاع :

ــ ماذا قالت ؟!

ــ قالت : لو كانت فريدة فى اليونان لأقيم لها تمثال للصدق والإخلاص والوفاء والتضحية !!

ــ ربما لأنها يونانية ؟!

ــ لا أعتقد هذا .. فكل البلاد فيها واسعو الأفق وضيقو الفكر .. فأنا مصرى وأحيانا أرى ملامح رجعية فى بعض تصرفات أمى اليونانية .. إن الفوارق الفكرية بين أجيال البلد الواحد تكون أحيانا أوسع بكثير من الفوارق الفكرية بين مختلف بلاد العصر الواحد .. وكانت مأساتك أنك عشت فى جيل بقيم وآراء جيل آخر انتهى فعلا فلم تستطع أن تمسك باللحظة الراهنة ، أى بحياتك ، وفى الوقت نفسه لم ترجع عجلة الزمن إلى الخلف لاستحالة المحاولة . ولذلك فأنت إنسان بلا زمن !! ولذلك تشعر بالضياع والتشتت .. ولن تخرج من هذه الدوامة إلا إذا استطعت الاندماج داخل جيلك محاولا بقدر الإمكان تجنب سلبياته والاستفادة بإيجابياته .

انتهى نادر من كلامه ونظر إلى ساعته فوجدها قد تجاوزت الثامنة ، شعر مجدى أنه أثقل عليه أكثر من اللازم فنهض قائلا وهو فى غاية الانفعال والتأثر :

ـــ كنت أظن أنك رجل أعمال فحسب .. فاكتشفت أنك فيلسوف عظيم أيضا !!

ـــ العفو .. إنها مجرد خلاصة خبرتى فى الحياة وعصارة ثقافتى من الكتب !!

ـــ اسمح لى قبل أن أتركك أن أقول لك إننى تلقيت أعظم درس فى حياتى على يديك .. وأنا سعيد بك قدر سعادة فريدة بك .. إننى أخرج من هنا وقد تسلحت بالأسلحة الحقيقية التى يمكن أن أواجه بها كل تقلبات الحياة !!

ـــ إننى أدعوك لحضور الزفاف بصفتك صديقا عزيزا !!

ـــ لن أتعلل بارتباطى بميعاد وهمى .. فقد انتهى عصر الكذب والزيف .. لكننى أقول لك : إننى كنت أود من صميم قلبى أن أحضر الزفاف السعيد حتى أهنىء العروسين بنفسى .. لكن هناك من الاعتبارات ما لا يمكن تجاهله .. وعلى رأسها عائلة فريدة التى لن تتقبل وجودى بصدر رحب على الإطلاق !!

ـــ عندك حق ..

ـــ ولذلك أرجو أن تحمل تهنئتى إلى أختى فريدة التى أتمنى لها كل سعادة معك !!

مد مجدى يده بالسلام والتهنئة الحارة و لم يتمالك نفسه فاحتضن نادرا وقبله فى وجنتيه وقد اغرورقت عيناه بالدموع .

كان نادر على وشك أن يقوم بتوصيل مجدى حتى سيارته ، لكن مجدى رفض بشدة ممسكا بيده :

ـــ لا .. أرجوك .. وقتك ضيق .. وقد استقطعت من وقتك ما ليس من حقى فى يوم كهذا !!

استدار مجدى وهبط مسرعا حتى سيارته ، رفع مجدى عينيه فرأى فريدة خلف زجاج نافذتها المغلقة . لم يعرف ماذا يفعل ؟! هل يحييها أم يبتسم لها ؟! لم يفعل شيئا على الإطلاق . فقد كانت أختها تقف بجوارها . ركب سيارته وانطلق بها وقد تذكر أمه المريضة فى المستشفى . لقد أهملها فى الأيام الأخيرة . لكنه يعود إليها الآن لرعايتها لا طلبا لرعايتها . فلكى يكسب الإنسان نفسه لابد أن يمنحها للآخرين !

تابعت فريدة السيارة وهى تختفى عند منحنى الشارع . رفعت عينيها فوجدت نادرا يقف مبتسما لها فى شرفته وقد رفع إصبعيه علامة النصر . لكنه لاحظ أختها أمينة وهى تأتى بحركات صامتة غير مفهومة فى بادىء الأمر . وعندما دقق البصر اكتشف أنها تطالبه بسرعة الانتهاء من حلاقة ذقنه ، والاستحمام ، وارتداء ملابسه ، والتعطر . ثم أشارت إلى ساعة يدها بما معناه أن الوقت أزف ، ضحك نادر ودخل مسرعا لتنفيذ التعليمات فى حين هدأ توتر فريدة الذى تسبب فيه مجىء مجدى .

وعندما استدارت فريدة لإكمال زينتها فوجئت بأمها تواجهها وتصيح بمنتهى العصبية :

ــ هل اكتشفت فجأة متعة الفرجة من النافذة ، ولم يبق سوى ساعة على ميعاد الزفاف . تفضلى أمامى بلا تلكؤ ..

سارت فريدة وخلفها أختها وأمها إلى غرفة النوم الكبيرة حيث جلست فريدة أمام المرآة الكبيرة التى عكست جمال مصر الساخن برغم صقيع العام الجديد .

كان الأستاذ صبرى يجلس على مقعد فى ركن الغرفة مرتديا حلة كحلية أنيقة ، فقال مداعبا فريدة والست بهية فى الوقت نفسه :

— تحملى أمك يا فريدة .. كلها دقائق وتهربين من السجن الذى شهد مولدك !!

مصت الست بهية شفتيها وردت على زوجها :

— غدا تترحم فافى على العز والدلال الذى اعتادته فى هذا السجن !!

لكن فريدة لم تكن يقظة لما يدور من حديث ومداعبة . بل إنها لم تر تفاصيل صورتها الدقيقة فى المرآة ، صورتها التى امتزجت بصورة نادر دون أن تدرى ، نادر الذى ملأ وجدانها حتى الثمالة .

وفى الخارج بدأت طلقات الألعاب النارية تدوى من شوارع قريبة وبعيدة احتفالا بمقدم العام الجديد ، فى حين أطلقت السيارات أبواقها بإيقاع وسط صيحات المارة وضحكاتهم ، وهطلت الأمطار الخفيفة الحانية لتقلل من حدة الصقيع ، ولتغسل الدنيا وتخلص البشر من أتربة العام المنصرم وأوجاعه .

(تمت)

للمـؤلف

١ ـــ توابل الحب
٢ ـــ جبروت امرأة
٣ ـــ سور الأزبكية
٤ ـــ سوق الجوارى
٥ ـــ الجيل الضائع
٦ ـــ عصر الحريم
٧ ـــ غرام الأفاعى
٨ ـــ المذاهب الأدبية (فى النقد ـــ يدرس فى الجامعات)
٩ ـــ قلعة الكبش
١٠ ـــ شق الثعبان
١١ ـــ درب الشوك
١٢ ـــ الكـودية
١٣ ـــ النقد الفنى
١٤ ـــ بحر الظلمات
١٥ ـــ معالم الأدب العالمى المعاصر
١٦ ـــ فن التأليف الروائى
١٧ ـــ البصرة حبيبتى
١٨ ـــ أبناء الرعد
١٩ ـــ عاشقة الضباب

رقم الإيداع ٣٣٢٦
الترقيم الدولى ٦ ــ ٧٢.. ــ ١١ ــ ٩٧٧